جامعة اليـــــــــــرموك
كـــــــلـــــــيـــّة الآداب
قسم اللغة العربية وآدابهـــا

"أدب الخطاب في سورة يوسف في ضوء لسانيات النص"

Moral Discourse in Surat Yousuf In Light of Discourse Analysis

إعداد الطالبة

هاجر أحمد رشيد المومني

إشراف الأستاذ الدكتور

سمير شريف استيتيّة

٢٠١١م _١٤٣٢هـ

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

جامعة اليـــــــــــرموك
كـــــــلـــــــيـــّة الآداب
قسم اللغة العربية وآدابهـــا

" أدب الخطاب في سورة يوسف في ضوء لسانيات النص "

Moral Discourse in Surat Yousuf In Light of Discourse Analysis

قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلّبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية
تخصص اللغة والنحو في جامعة اليرموك

إعداد الطالبة
هاجر أحمد رشيد المومني

إشراف الأستاذ الدكتور
سمير شريف استيتيّة

سنـــــــــــ ٢٠١١ـــــة

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جامعة اليـــــــــــرموك
كـــــــلـــــــيـــّة الآداب
قسم اللغة العربية وآدابهـــا

" أدب الخطاب في سورة يوسف في ضوء لسانيات النص "

Moral Discourse in Surat Yousuf In Light of Discourse Analysis

قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية
تخصص اللغة والنحو جامعة اليرموك

إعداد الطالبة
هاجر أحمد رشيد المومني
إشراف الأستاذ الدكتور
سمير شريف استيتيّة

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتيّة. ..... رئيساً ومشرفاً

الأستاذ الدكتور مخيمر صالح. ..... .عضواً

الدكتور عودة أبو عودة. ..... عضواً

تاريخ المناقشة: ١٧ / ٧ /٢٠١١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الفهرس	د
الإهداء	ح
شكر وتقدير	ط
الملخص	ك
المقدّمة	١
التمهيد	١٠
الفصل الأول: الخطاب ولسانيات النص وأدب الخطاب	١٣
مدخل	١٤
المبحث الأول: مفهوم الخطاب لغة واصطلاحاً	١٥
مفهوم الخطاب من منظور عقلي	١٧
مفهوم الخطاب من منظور لساني	٢٠
مفهوم الخطاب من منظور اجتماعي	٢٤
المبحث الثاني: عناصر الخطاب	٢٦
المرسل	٢٦
المتلقي	٢٨
الرسالة	٣٠
مكونات الخطاب	٣١
الأصوات	٣١
المعجم	٣٢
التركيب	٣٣
المقصدية	٣٤
المبحث الثالث	٣٨
لسانيات النّص	٣٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الموضوع	الصفحة
الاتساق لغةً واصطلاحاً وأدواته	٤١
الإحالة	٤٠
الاستبدال	٤١
الحذف	٤٢
الوصل	٤٢
الاتساق المعجمي	٤٣
أدوات لسانيّات الخطاب	٤٣
الترابط	٤٣
ترتيب الخطاب	٤٤
الخطاب التام والخطاب الناقص	٤٤
موضوع الخطاب(البنية الكليّة)	٤٥
الانسجام: مظاهره ووسائله	٤٧
مبادئ الانسجام	٤٨
السياق وخصائصه	٤٨
التأويل المحلي	٤٨
التشابه	٤٩
الغرضية	٥٠
الجملة وعلاقتها بلسانيات النص	٥١
المبحث الرابع: مفهوم أدب الخطاب	٥٤
مفهوم أدب الخطاب من جانب عقلي	٥٤
مفهوم أدب الخطاب من جانب لساني	٥٤
الوظائف الاجتماعية لأدب الخطاب	٥٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني: دوافع الخطاب ومظاهره اللسانية	٥٦
مدخل	٥٧
المبحث الأول: الدوافع النفسية للخطاب	٥٨
دافع التفوّق والنجاح	٥٨
تجنب الشر والسوء والأذى	٥٩
التعويض	٦٠
الحفاظ على عفّة النفس	٦١
المبحث الثاني: الدوافع الاجتماعيّة	٦٣
التكيف الاجتماعي	٦٣
التودد	٦٣
العفو عند المقدرة	٦٩
التسامح	٧١
استيعاب الأخطاء	٧٣
التكافل والترابط الاجتماعي	٧٥
المبحث الثالث: المظاهر اللسانية للخطاب	٧٩
التصعيد	٧٩
الترتيب	١١٧
الإحالة	١٣٢
الألفاظ النسقيّة	١٤٥
الفصل الثالث: استراتيجيات الخطاب	١٧٣
مدخل	١٧٤
استراتيجيات الخطاب	١٧٥
المبحث الأول: استراتيجيّة الإقناع	١٧٦
أدوات الإقناع	١٧٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الموضوع	الصفحة
الحجاج العقلي بالإثبات	١٧٩
الحجاج العقلي بالإغراء	١٨١
الحجاج البرهاني بالتّبرير	١٨٢
الحجاج العقلي بالترهيب والتخويف	١٨٥
الحجاج العقلي بالمقابلة	١٨٦
الحجاج العقلي بالترغيب	١٨٧
المبحث الثاني: استراتيجيّة التلميح	١٨٨
التلطّف	١٨٩
الكشف عن المقاصد	١٩٦
المبحث الثالث: استراتيجيّة التأدب الإيجابي	١٩٩
المبحث الرابع: استراتيجيّة التضام	٢٠٨
الخاتمة والنتائج	٢١٥
المصادر والمراجع	٢١٩
الملخص باللغة الإنجليزية	٢٢٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الإهداء

إلى طيفٍ لا يفارق عيني ولحنٍ لا يغادر شفتي .... إلى روح نابضة بالحبّ والحنان رغم عالم الرحيل .... إلى روح والدتي.... أهدي أول ثماري العلميّة .... وإلى شذاها وعبقها شقيقاتي ورفيقات عمري ودربي .... منارة حياتي، ومصدر قوّتي وعزيمتي .... إلى اللواتي أتقنّ رسم الحنان في حبّات فؤادي، وزرعن كلّ زهور الحبّ في كياني، وترجمن صدق المشاعر بدفء الكلمة ورجاحة الرأي.

وإلى الوجه الذي رسمت فيه الحياة خطوطها وأمعنت في رسمها، إلا أنّه وضّاءٌ كعادته فيه حكمة الشيوخ وسيادة الرجال .... والدي....

إلى أنفاس الحكمة وروح المودة.... إلى من حفروا على جدران الشرايين معنى الرجولة والعزّة والإباء، وسطّروا بصنيعهم قصة خالدة للأخوة الحقيقيّة ... أشقائي....

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شكرٌ وتقديرٌ

بعد انتهائي من إنجازي العلمي المتواضع، لا يسعني إلا أن أتقدّم بجزيل الشكر، وعظيم الامتنان إلى أستاذي الفاضل العالم الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتيّة الذي تفضّل برعاية هذه الرسالة رعاية غير محدودة، منذ أن كانت فكرة حتّى أصبحت على ما هي عليه، الذي كان عوناً وسنداً لإتمام هذا العمل ليظهر بهذه الصورة. فقد منحني ثقته وعلمه وإخلاصه وجَهْدَه، وقدّم لي من علمه ونصحه وإرشاداته التي أعجز عن وصفها وتقديرها. فلأستاذي كلّ التقدير والإجلال الذي لم يدّخر جهداً فكرياً إلا بذله بدقّة العلماء، فقد كان خير معلم، وخير موجّه لي في رحلتي العلميّة عبر كلّ كلمة في صفحات هذه الرسالة.

وكلّ شكري وخالص عرفاني للأستاذين الفاضلين اللذين تكرّما بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة. الأستاذ الدكتور مخيمر صالح الذي يعلّم طلابه بلاغة القرآن والسنة، ويمسكُ بأيدي طلبته للوقوف على وجوه إعجاز القرآن والسنّة النبويّة. أسالُ اللهَ أن يجزيَه عن طلابه وعن الأمّة خير الجزاء، وأن يجعل قراءته لهذه الرسالة في ميزان حسناته.

وشكري الخالص وتقديري لأستاذي الفاضل الدكتور عودة أبو عودة الذي يقفُ عند النّصّ القرآنيّ الحكيم: يتفيّأ ظلاله، ويعيش معانيه، ويقطفُ توجيهاته.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أسأل الله أن يسبغ عليه ثوب العافية، وأن يجزيه عن القرآن والأمّة خير الجزاء، وأن يجعل قراءته لهذه الرسالة في ميزان حسناته.

وأقدّم كلّ الحبّ والتقدير والعرفان والامتنان لأسرتي التي تحمّلت معي عناء رحلتي العلميّة، وصبرت على ظروفي كاملة، وتقبّلتها برحابة صدر وطيب خاطر، وخففت عنّي متاعب كلّ ما واجهت في مسيرتي العلمية، وساهمت كلّ المساهمة في دعمي وإصراري وقوّة إرادتي في مواصلتي العلميّة، ووفرت لي كلّ السبل لإنجاز هذا العمل.

وكلّ العرفان والامتنان لكلّ واحدٍ ساهم ولو بكلمة طيّبة كانت سبباً في دعم الروح المعنويّة الأكاديميّة لدي.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الملخّص

"أدب الخطاب في سورة يوسف في ضوء لسانيات النص"

إعداد

هاجر أحمد رشيد المومني

إشراف

الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتيّة

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على أدب الخطاب في سورة يوسف في ضوء لسانيات النص. وقد بُنيت على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول. تناولت في المقدمة الدراسات السابقة التي تعلّقت بسورة يوسف عليه السلام، والدراسات المتعلّقة بالخطاب وتحليله في ضوء لسانيات النّص. أمّا التمهيد، فقد اشتمل على تعريف بالسورة الكريمة، وسبب تسميتها بهذا الاسم، وسبب نزولها.

يدرس الفصل الأول حقيقة الخطاب وعناصره وعلاقة الجملة بلسانيات النص. يتكوّن هذا الفصل من ثلاثة مباحث. درستُ في المبحث الأول معنى الخطاب لغة واصطلاحاً، وناقشت مفهوم الخطاب من وجهة نظرٍ عقليّة ولسانيّة واجتماعيّة. درستُ في المبحث الثاني عناصر الخطاب: المرسل والمتلقي والرسالة، ومكوناته: الأصوات، والمعجم، والمقصدية وغيرها. أمّا المبحث الثالث فقد تناولت الدراسة فيه الاتساق وأدواته الأساسيّة وهي: الإحالة، والاستبدال، والحذف، والوصل، والاتساق المعجمي. كما تناولت الانسجام ومظاهره ووسائله. وقد ناقشت هذه الدراسة الجملة وعلاقتها بلسانيّات النص. وفي المبحث الرابع تمّ وضع مفهوم لأدب الخطاب ومناقشته من وجهة النظر العقلية واللسانيّة، ثمّ بيان الوظائف الاجتماعيّة لأدب الخطاب.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أمّا الفصل الثاني دوافع الخطاب ومظاهره اللسانيّة، ففيه ثلاثة مباحث: أولها: الدوافع النفسية للخطاب في سورة يوسف ودورها في خلق أدب الخطاب، وبيان مدى إسهامها في توضيح مظاهر انسجام النص القرآني واتساقه. وثانيها: بيان أثر الدوافع الاجتماعية، وأهميتها في إبراز أدب الخطاب وثالثها: تحليل آيات السورة الكريمة، وبيان أدب الخطاب الذي تجلى فيها عبر عدد من المظاهر اللسانيّة كالتّصعيد، والترتيب، والإحالة، والألفاظ النسقيّة.

وفي الفصل الثالث في هذه الدراسة وهو استراتيجيات الخطاب أربعة مباحث رئيسة، فالمبحث الأول فيه تطبيق استراتيجيّة الإقناع على السورة الكريمة. أمّا المبحث الثّاني فقد عرض لدراسة أثر استراتيجيّة التلميح التداولي في بيان أدب الخطاب مع تتبع هذه الاستراتيجيّة في آيات السورة الكريمة. وأمّا المبحث الثالث فدرس استراتيجيّة التأدب الإيجابي وأثره في بناء العلاقات الاجتماعية الطيّبة باعتمادها على الأدوات اللغوية. أمّا المبحث الرابع، فقد تناول استراتيجيّة التضام التي تعدّ أهم مكونات المستوى المعجمي، حيث أظهرت هذه الاستراتيجيّة أثر الموقف التداولي في الإبانة عن أدب الخطاب في عدد من آيات السورة الكريمة.

وقد خُتمت هذه الدراسة بخاتمة وعدد من النتائج تمّ التوصل إليها، والكشف عنها بعد عمليّة البحث المتواصل فيها. وفي نهاية الدراسة أرفقت قائمة المصادر والمراجع التي اتكأت عليها عملية البحث في هذا الموضوع.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الخلق والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يستحق موضوع لسانيات النّص أدب الخطاب أن يتوقّف مليّاً على النصوص القرآنيّة؛ لما في النّص القرآني من نماذج محكمة، وألوان عديدة لاتساق الخطاب، وقد اتخذتُ من " سورة يوسف " نموذجاً؛ ليكون موضوع دراستي، وذلك لاحتوائها على عددٍ من مظاهر أدب الخطاب. مع محاولة الإفادة من الدراسات الحديثة التي تعرضت لتحليل الخطاب في ضوء لسانيات النص.

إنّ من أهم أسباب اختيار سورة يوسف نموذجاً لتحليل أدب الخطاب فيها أنها تحتوي الكثير من الحكم والمواعظ والعبر. وتعدّ سورة يوسف التي حوت نموذجاً من القصص القرآني هي القصة الوحيدة التي استغرقت سورة طويلة من القرآن الكريم، وجاءت في موضع واحد ولم تتكرر في مواضع أخرى. فكانت هذه القصة ذات موضوع واحد من أولها إلى آخرها.

وتقوم هذه الدراسة على جانبين. الجانب النظري، والجانب التطبيقي. وقد جعلتُ هذا البحث في تمهيد، وثلاثة فصول. وقد خصصت التمهيد للحديث عن سورة يوسف، والمناسبة بين السورة وموضوعاتها. وأسباب نزولها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أمّا الفصل الأول (الخطاب ولسانيات النص وأدب الخطاب)، فإنّه يتألف من أربعة مباحث: حيث يدرس المبحث الأول مفهوم الخطاب لغةً واصطلاحاً. أمّا المبحث الثاني فإنّه يدرس عناصر الخطاب، أمّا المبحث الثالث فقد درست فيه الجملة وعلاقتها بلسانيات النّص. أمّا المبحث الرابع فإنّه يناقش مفهوم أدب الخطاب من جوانب متعددة.

ويأتي الفصل الثاني (دوافع الخطاب النفسية والاجتماعية ومظاهره اللسانية) في ثلاثة مباحث. أمّا المبحث الأول فقد تناولت فيه الدوافع النفسية، وبيان دورها في تشكيل أدب الخطاب. أمّا المبحث الثاني فقد تضمّن الدوافع الاجتماعية، حيث بينت فيه أهمية هذه الدوافع في تكوين أدب الخطاب. وأمّا المبحث الثالث فقد درست فيه مظاهر الخطاب اللسانية وبينت كيف أسهمت هذه المظاهر اللسانية في إخراج أدب خطاب متميّز في السورة الكريمة.

وفي الفصل الثالث ناقشت عدداً من الاستراتيجيات التداولية وبيان أهميتها في إنشاء أدب خطاب من خلال استراتيجيّة الإقناع، والتلميح، والتأدب الإيجابي، والتضام وتوصلت إلى مدى أهميّتها في إنتاج أدب الخطاب. وفي نهاية هذه الدراسة توصلت إلى عدد من النتائج التي تبيّن أثر لسانيات النص في تحديد نوع الخطاب والقصد منه.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أهداف الدّراسة:

تهدف هذه الدّراسة إلى تقديم نموذجٍ تطبيقيّ في تحليل أدب الخطاب والكشف عن أبعاده ووضع تعريف لمفهوم أدب الخطاب، وبيان الأثر التداولي الذي يستفاد من النص الحكيم. وتهدف كذلك إلى معرفة دوافع الخطاب وأسبابه، وطرق تقديم الخطاب وآليات الإقناع به.

وتهدف هذه الدّراسة إلى الكشف عن جماليات الخطاب القرآني ودور الاتساق، والانسجام في مختلف المستويات اللغوية في إبراز هذه الجماليات. فكلام الله تعالى منسجمٌ قولاً واحداً وحكماً قاطعاً. وتهدف إلى بيان نماذج بديعة من أدب الخطاب على لسان أحد الأنبياء، لتكون نموذجاً يحتذى به.

الدّراسات السابقة:

حظيت هذه السورة الكريمة باهتمام الدارسين، فكانت محوراً لدراسات متعددة منها:

١. مؤتمر تفسير سورة يوسف عليه السلام، للعلامة الشيخ عبدالله العلمي الغزّيّ الدمشقي، وقد قُسمت هذه الدراسة إلى خمسة أبواب وفي كلّ باب عددٌ من الفصول في مجلدين، ولقد تضمّن تفسيرَ سورة يوسف ومباحثَ تاريخية وأدبيّة ولغوية وأخلاقية واجتماعية، وتضمّن تحقيقاتٍ علميةٍ ودينيةٍ وتفسيريةٍ، وكذلك تضمّن ردوداً على مفتريات دعاة النصرانية على الدين الإسلامي والقرآن الكريم. صدرت الطبعة الأولى في مطبعة دار الفكر عام١٩٦١ في دمشق. أمّا الطبعة الثانية فقد صدرت عن مطبعة دار الفكر في بيروت عام ١٩٦٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٢. الوحدة الموضوعيّة في سورة يوسف عليه السلام. تأليف الدكتور حسن محمد باجودة، دار الكتب الحديثة، المملكة العربية السعودية،١٩٧٣. قسمت هذه الدراسة إلى أربعة فصول الفصل الأول منها تناول الحديث عن وحدة الأحداث الموضوعية في سورة يوسف. والفصل الثاني من الدراسة تحدّث عن الشخصيات وأدوارها في تحقيق الوحدة الموضوعيّة. أمّا الفصل الثالث فقد تحدّث عن شخصيّة يوسف عليه السلام ومراحل حياته وما واجهه في كلّ مرحلة من مراحل حياته. أمّا الفصل الرابع فقد ناقش المؤلف فيه المجتمعات في سورة يوسف المجتمع المكي ونظائره والملامح المشتركة في عصر يوسف عليه السلام. وفي نهاية الفصل ذكر المؤلف الدروس المستفادة من سورة يوسف عليه السلام.

٣. سورة يوسف دراسة تحليلية. للدكتور أحمد نوفل صدرت عن دار الفرقان، عمّان، ١٩٨٩. اشتملت على قسمين: الأول منها: مدخل عام لدراسة السورة، وقصتها والتعريف بها من نواحيها المختلفة، والتعريف بالشخصيات. والقسم الثاني: كان تفسيراً للسورة.

٤. الوحي والنبوة والعلم في سورة يوسف. دراسة أعدّها عبد الحميد محمود طهماز صدرت عن دار القلم، دمشق،١٩٩٠. وقد اشتملت الدراسة على فصلين. الفصل الأول منها: تضمّن الحديث عن المحن المتوالية التي مرّ بها سيدنا يوسف عليه السلام. أمّا الفصل الثاني فقد تحدّث عن حياة سيدنا يوسف عليه السلام بعد اجتيازه المحن، وانتقاله إلى سدّة الحكم.

٥. دراسة في منهج القرآن التربوي للأبوة والبنوّة في سورة يوسف. دراسة أعدّها نايل أبو زيد، وصدرت عن مجلة مؤتة للبحوث والدراسات: سلسلة العلوم الإنسانيّة

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والاجتماعيّة، ١٩٩٠. تعالج هذه الدراسة جانباً تربوياً في سورة يوسف يتعلّق بالآباء والأبناء من حيث السلوك الأبوي قولاً وفعلاً ومدى تأثيره في سلوك الأولاد، وعرضت من خلالها حقيقة محبة يعقوب ليوسف وأخيه من بين سائر الأولاد، فوجدت نبيّاً عادلاً منصفاً بين بنيه ومثلاً أعلى في التعامل مع الذريّة.

٦. التأدب في التعامل اللغوي. إعداد الباحث أحمد شيخ عبد السلام. أبحاث اليرموك " سلسلة الآداب واللغويات " ٢٠٠٠. فقد عدّ التأدب مظهراً من مظاهر الجمال اللغوي، وله قيمة راسخة في المجتمع العربي ، كما أنّ له أهميته الاجتماعية والثقافية والنفسية والخلقية، ويهدف هذا البحث إلى إبراز خطط التأدب ومظاهره ومواطنه في التعامل باللغة العربية، وبصفة خاصة في العربية الفصحى، وإلى إبراز التوجيهات القرآنيّة والنبويّة المتصلة بالتأدب في استخدام اللغة، ويستعين البحث في استقراء نماذج من الأحداث الكلامية العربية التي تعبّر عن التأدب. ويعدّ التلطّف في التعبير وتجنب العبارات المحظورة اجتماعياً من باب التأدب.

٧. الخطاب وأثره في بناء نحو النّص. إعداد الباحث عبد المهدي هاشم الجراح. إشراف الأستاذ الدكتور سمير استيتيّة في جامعة اليرموك ٢٠٠٢. تناولت هذه الدّراسة البحث في القدرات الخطابية في بناء القواعد النّصيّة، وأثر الخطاب في تكوين الوحدة النصية، وإثبات أنّ للرّوابط التّركيبية أثراً كبيراً في اتساق النّص، وأنّ علم النحو والدلالة توأمان لاينفصل أحدهما عن الآخر.

٨. دروس وعظات وعبر في سورة يوسف. تأليف الشيخ عبد الرحمن عبد القادر المعلّمي، وقد نشرَ هذا العملَ دارُ الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندريّة، ٢٠٠٣. جمع المؤلف العبر والعظات في سورة يوسف ورتبها؛ لتكون ذات فائدة

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

عظيمة ينتفع بها.وأتبعها بعناوين لها اتصال بقصة يوسف وبعدها عبر مثل: " لماذا كانت هذه القصة؟ " و" ميزان الأداء الفني الإسلامي للقصة " و " كثرة ذكر العلم في السورة ". وذكر مواقف من التاريخ الإسلامي المضيء،٠ وكيف تجلى الإيمان في قلوب أولئك المسلمين، واستعلائهم على الشهوات وقبائح الأعمال تأسّياً بيوسف. واختتم الكتاب بعنوان " مواقف رائعة في إطفاء نار العشق ".

٩. دراسة تحليليّة نصيّة لسورة الإسراء. إعداد الباحث أسامة أحمد جبر. وهي دراسة تقدّم بها الباحث إلى جامعة اليرموك للحصول على درجة الدكتوراة إشراف الأستاذ الدكتور سمير استيتية في جامعة اليرموك ٢٠٠٤. تناولت هذه الدراسة تقديم سورة الإسراء نموذجاً للدّراسات التّطبيقيّة في نحو النّص على مستوى التّركيب الشّكلي النّحوي، ومن ثمّ على مستوى المعنى والدّلالة ضمن النّظر في آيات هذه السورة في ضوء التماسك النّصي بعنصريه الاتساق والانسجام، وقياس مدى التماسك النّصي في كلّ آية على المستوى المعجمي، والدّلالي والتّداولي.

١٠. أسرار علم المعاني في سورة يوسف عليه السلام. إعداد الباحث أحمد محمد الأبالق. وهي دراسة تقدّم بها الباحث إلى جامعة اليرموك للحصول على درجة الدكتوراة إشراف الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس في جامعة اليرموك ٢٠٠٥. حاولت هذه الدراسة إبراز الجانب الجمالي لمفردات علم المعاني من خلال دراسة تطبيقية لها على سورة يوسف عليه السلام.

١١. التّرابط النّصي في ضوء التّحليل اللسانيّ للخطاب. إعداد الباحث خليل بن ياسر البطاشي. كتاب منشور في دار جرير للنشر والتوزيع ٢٠٠٩ . وقد وقفت هذه الدّراسة على إضاءة جانب من جوانب الإعجاز في القرآن وهو التّرابط، وإيجاد

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نموذج لتحليل النّص القرآنيّ، وتحديد آليات ترابط النّص، وتصنيفها حسب مستواها: تركيبيّة ومعجميّة، ودلاليّة، وإعطاء نموذج عملي لأهميّة القراءة الكليّة للنّص القرآني، والبعد عن اجتزاء الآيات.

١٢. أثر عناصر الاتساق في تماسك النص سورة يوسف مثالاً. وهي دراسة أعدّها محمود سليمان حسين الهواوشة للحصول على درجة الماجستير من جامعة مؤتة. وقد طُبعت في كتاب صدر عن دار عماد الدين، عمّان، ٢٠٠٩. وقد تناولت الدراسة أثر عناصر الاتساق اللفظية في تماسك النص وقد أجريت الدراسة على سورة يوسف، وحُددت الدراسة في عناصر الاتساق اللفظية حصراً للموضوع.

١٣. لمسات قدريّة في سورة يوسف ودراسات قرآنيّة. وهي دراسة أعدّها مأمون فريز جرّار. دار المأمون للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠٠٩. حيث اشتملت هذه الدراسة على أربعة فصول. اختصّ الفصل الأول منها فقط بدراسة سورة يوسف ولمسات القدر فيها من حيث الرؤيا والقدر، وكيد الإنسان وقدر المكان. وكيد النساء وملاذ السجن، ورؤى في السجن، ومن السجن إلى البراءة، ولمسات القدر وتدبير البشر، والمحنة وتمام النعمة، وتدبير النعمة بتأويل الرؤيا.

١٤. الدروس التربويّة والعلميّة المستنبطة من القرآن الكريم(سورة الكهف وسورة يوسف). وهي دراسة أعدّها الأستاذ الدكتور عبد الواحد حميد الكبيسي، ونشرتها مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠٠٩. وهذه الدراسة من إصدارات مركز طرائق التدريس في جامعة الأنبار، وقد اشتملت على فصلين خُصّص الأول منها لدراسة سورة الكهف. أمّا الفصل الثاني منها، فقد اختصّ بدراسة سورة يوسف واستخلاص الدروس التربوية منها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

١٥. أثر التلطّف في التطوّر المصطلحي. وهو بحث أعدّه الدكتور سعيد أبو خضر. ونشرته المجلّة العربية للعلوم الإنسانية في جامعة الكويت سنة ٢٠١٠. وقد هدفت هذه الدراسة إلى الوقوف على مصطلح التّلطّف ومفهومه، ووظائفه، وطرائقه الدلالية، وأسباب اللجوء إليه، ووسائل تمييزه، وأثره في تطوّر المصطلحات العلميّة. وتكمن أهميّة هذه الدراسة في محاولتها لفت أنظار المعجميين والمصطلحيين العرب إلى ضرورة التنبه إلى تأثير ظاهرة التلطّف في تطوّر المصطلحات العلميّة في العربية والإنجليزية.

١٦. التلطّف في لغة القرآن الكريم. إعداد الباحث أحمد فليّح العموش. وهي دراسة تقدّم بها الباحث إلى جامعة آل البيت سنة ٢٠١١ للحصول على درجة الماجستير. وقد وقفت هذه الدراسة إلى الكشف عن أسلوب التلطّف في القرآن الكريم ورصد مواطن وروده وأبعاده السياقية ووظيفته ودوافعه. واعتمدت هذه الدراسة على بُعدين نظري وتطبيقي، فالنظري وقفَ الباحث فيه على الجوانب التي تتعلّق بالتلطّف في آيات القرآن الكريم مفهوماً واصطلاحاً وبيان المجالات التي يرد بها التلطّف، أمّا الجانب التطبيقي فقد رصد مواطن التلطّف في آيات القرآن الكريم، وحللها وفق الدافع من وراء التلطّف.

تختلف هذه الدّراسة عن الدّراسات السّابقة التي عرضت لدراسة النّصوص دراسة وصفيّة لغويّة.

أولاً: أنّها دراسة تطبيقيّة يظهر فيها دور كل عنصر من عناصر الخطاب في تشكيل أدب خطاب سامٍ.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانياً: تجمع هذه الدراسة بين دوافع الخطاب واستراتيجياته والأهداف السامية التي ترمي سورة يوسف إلى توضيحها وتعليمها للناس.

ثالثاً: تركّز هذه الدراسة على بيان أثر العوامل النفسية في توجيه أدب الخطاب.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

التمهيد

بين يدي السورة

سورة يوسف إحدى السور المكيّة نزلت على الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ عقب نزول سورة هود بين عام الحزن وبيعة العقبة الأولى. وتعدّ السورة الثالثة والخمسين في ترتيب نزول السور، وعدد آياتها مئة وإحدى عشرة آية. ولقد تفرّدت هذه السورة بذكر قصة سيدنا يوسف عليه السلام بالتفصيل، ولم يذكر اسمه في غيرها إلا في سورة الأنعام وغافر. وهي مكية على القول الذي لا ينبغي الالتفات إلى غيره[1]. فالقارئ لسورة يوسف عليه السلام يجد أنّ عنوانها توافق تماماً مع مضمونها فالعنوان والمضمون واحد.

وتعدّ سورة يوسف واحدة من السور التي نزلت في فترة حرجة من حياة الرسول وتاريخ الدعوة الإسلامية[2]. "فكانت هذه السورة تسلية وتسرية، وتخفيفاً لآلام المسلمين، وتحمل البشر والأنس[3]". بعد اشتداد الأزمة على النبي صلى الله عليه وسلّم في مكة مع قريش بخاصة بعد عام الحزن.

تمتلئ السورة بالأنس والرحمة واللطف والسلاسة. قال عطاء: لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها، وروي عن ابن عباس أنّ طائفة من اليهود حين سمعوا رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ يتلو هذه السورة أسلموا؛ لموافقتها ما عندهم[4]. وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه أنّه قال: " علّموا أرقّاءكم سورة يوسف، فأيّما مسلم قرأها

---

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢. ص ١٩٧ _ ١٩٨

[2] . قطب، سيد. في ظلال القرآن. ص١٩٤٩. ونوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص٢٧

[3] . الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير.ج٢. ص٤٠.

[4] . الزحيلي، وهبة. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ص ١٨٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وعلّمها أهله، أو ما ملكت يمينه هوّن الله عليه سكرات الموت، وأعطاه من القوة أن لا يحسد مسلماً[1].

والسورة بجملتها مكيّة. على خلاف ما ورد في المصحف الأميري من أن الآيات (١، ٢، ٣، ٧) منها مدنيّة.﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾(يوسف: ١-٣). علماً أنّ هذه الآيات مقدّمة طبيعية لما جاء بعدها مباشرة من البدء في قصة يوسف عليه السلام ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴾[2]. أمّا الآية السابعة فالسياق لا يستقيم بدونها، ولا يتأتى أن تكون السورة نزلت في مكة وهي ليست من سياقها، ثمّ أضيفت إليها في المدينة. "ذلك أنّ في الآية الثامنة ضميراً يعود على يوسف وإخوته في الآية السابعة[3]". وقد أكد صاحب تفسير المنار من أنّ السورة بأكملها مكية، "وما قيل بشأن الثلاث آيات الأولى منها مدنيات فلا تصح روايته؛ لأنّه يخل بنظم الكلام[4]".

ولو كانت الآيات الثلاث الأوائل مدنية، فكيف كانت تقرأ السورة إذن في العهد المكي قبل نزول الآيات؟ فالسورة كلها لحمة واحدة، حيث يتناسق التقديم لهذه القصة مع التعقيب في نهايتها. وعليها الطابع المكي واضحاً في موضوعها وفي جوها وفي ظلالها وإيحاءاتها، وعليها طابع الفترة الحرجة من حياة الرسول _ صلى الله عليه وسلّم _ .

---

[1] . الطبراني، سليمان. التفسير الكبير تفسير القرآن العظيم. ص ٤٦٤

[2] . قطب، سيد. في ظلال القرآن.مج٤، ص١٩٤٩.

[3] . نقلاً عن المرجع السابق. ص ١٩٥٠

[4] . نوفل، أحمد. سورة يوسف. ص٢٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وتُمثّل هذه السورة النموذج الكامل لمنهج الإسلام في الأداء الفنّي للقصة بقدر ما تمثّل النموذج الكامل لهذا المنهج في الأداء النفسي والعقيدي والحركي[1].

سبب نزول السورة

وضّح المفسرون في تفاسيرهم أسباباً لنزول هذه السورة الكريمة، وساعدهم في ذلك أنّ هذه السورة ذكر في سياقها أنّ هناك سائلين عن قصة سيدنا يوسف ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴾.(يوسف: ٧)، وأنّ في سورة يوسف عبراً للسائلين عن العبر ولمن يبحثون عن حكمة الله وعلمه وتقديره من خلال نظرهم وتفكرهم وسؤالهم[2].

ومن المفسرين من يميل إلى كون السائلين في الآية سائلين عن قصة يوسف عليه السلام، ومن هنا فإنهم يروون عدة أخبار وروايات عن بني إسرائيل أنّهم سألوا رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – عن قصة يوسف؛ ففي الكشاف: أنّ اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمداً لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف. وفي رواية أخرى أنهم سألوه عن رجل كان بالشام فارقه ولده فبكى عليه حتى ابيضّت عيناه ... ما خبره ومن يكون؟[3]

---

[1] . نوفل، أحمد. ص١٩٥٠ – ١٩٥١

[2] . المرجع السابق. ص ٢٥

[3] . المرجع السابق. ص ٢٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الأول

الخطاب ولسانيات النّص وأدب الخطاب

- مدخل
- المبحث الأول: مفهوم الخطاب
- المبحث الثاني: عناصر الخطاب
- المبحث الثالث: الجملة وعلاقتها بلسانيات النّص
- المبحث الرابع: مفهوم أدب الخطاب

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

مدخل:

يهدف هذا الفصل إلى مناقشة عدد من الموضوعات المتعلقة بالخطاب، لمعرفة المفاهيم والمصطلحات الخاصة به، ومعرفة العناصر التي تشكّل الخطاب، وبيان علاقة الجملة بلسانيات النّص، ويسعى أيضاً إلى الكشف عن مفهوم أدب الخطاب الذي يشكّل العنوان الرئيس لهذه الدراسة.

وقد قسمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث تناولت في الأول منها : مفهوم الخطاب لغةً واصطلاحاً عند علماء مختلفين. وفي المبحث الثاني تناولت عناصر الخطاب وأهميتها في صياغة خطاب متكامل. وفي الثالث تناولت الحديث عن الجملة وعلاقتها بلسانيات النّص. أما المبحث الرابع فلقد ناقشت فيه مفهوم أدب الخطاب.

حيث تعدّ هذه المباحث أساساً لفصول الرسالة، ومدخلاً لدراسة أدب الخطاب في سورة يوسف في ضوء لسانيات النّص.

سأوضح في كلّ واحد من المباحث الثلاثة الأولى، صلة كل واحد منها بالمبحث الرابع الذي هو أدب الخطاب، على اعتبار أنّ تحليل أدب الخطاب في سورة يوسف، والكشف عن أبعاده من أهم أهداف هذا البحث.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

• المبحث الأول:

مفهوم الخطاب

يناقش هذا البحث مفهوم الخطاب لغة واصطلاحاً، وبيان خصائص الخطاب من وجهة نظر اصطلاحيّة.

• الخطاب لغةً

الخطاب في اللغة هو مراجعة الكلام، يقول ابن منظور:" الخِطابُ والمُخاطَبَة مُراجَعَة الكَلامِ وقد خاطَبَه بالكَلامِ مُخاطَبَةً وخِطابا وهما يتخاطبان"[1]. والخِطاب عند الزبيدي "هو تَوْجِيه الكلام نحو الغَيْر للإفهام"[2]. وجاء في التهذيب أنّ " الخِطَاب : مُراجعةُ الكلام ،وجمعُ الخطيبِ خُطَبَاءُ"[3]. وجاء في أساس البلاغة في مادة خطب: "خاطبه أحسن الخطاب وهو المواجهة بالكلام. وخطب الخطيب خُطبة حسنة.واختطب القوم فلاناً: دعوه إلى أن يَخْطِب إليهم.وتقول له: أنت الأخطب البيّن الخطبة، فتخيّل إليه أنه ذو البيان في خطبته"[4]. أمّا موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم فقد جاء فيها: "أن الخِطَاب توجيه الكلام نحو الغير للإفهام، ثمّ نقل الكلام الموَجَّه نحو الغير للإفهام"[5].

بعد استعراض مفهوم الخطاب لغوياً في بعض المعاجم العربية، نجد أنّها جميعاً تربط الخطاب بالكلام المنطوق والمكتوب؛ فالخطاب لغة هو: الكلام الذي يدور بين طرفين متحاورين حول أمرٍ ما: هما المتكلّم والمخاطب. وأرى أنّ الحوار أو المواجهة سمة

---

[1] . ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين. لسان العرب. مادة (خطب)

[2] . الزبيدي، محمد مرتضى. تاج العروس. مادة (خطب)

[3] . الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. التهذيب. مادة (خطب)

[4] . الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. أساس البلاغة. مادة (خطب)

[5] . التهانوي، محمد علي. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. ص٧٤٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

مصاحبة لمفهوم الخطاب الذي يهدف إلى إفهام المخاطبين، ونقل الكلام الموجّه إليهم لإفهامهم. فالخطاب هو الكلام المنطوق والمكتوب،المتضمن نقل الأفكار بين المخاطِب والمخاطَب .

- **الخطاب اصطلاحاً**

تطوّر مفهوم الخطاب تطورًا واضحاً منذ ظهور الدراسات الألسنيّة على يد سوسير. فقد كانت كتب النحو الغربيّ – قبل ذلك – تطلقه على أقسام الكلام، ثم أصبح يعني في اللسانيات البنيوية: الكلام بهدف التواصل في شؤون الحياة المختلفة؛ أي اللغة التي يستعملها الأفراد في حياتهم، ورأى البنيويون أن الخطاب يمثّل في جوهره الوحدة التي تفوق الجملة. إلا أنّ اللسانيات المعاصرة ترى أنّ الخطاب يعني كل تعبير يتجاوز الجملة، وهو قائم على مجموعة من العلاقات التي تربط بين الجمل. وفي التحليل تكون الجملة أصغر وحدة يحلل إليها الخطاب[1].

غير أنّ علماء اللغة تعددت وجهات نظرهم في تعريف مفهوم الخطاب. فمنهم من ربطه بالعمليات العقلية، ومنهم من ربطه بالجوانب اللغوية، ومنهم من ربطه بالجانب الاجتماعي.

[1] . سميسم، حميدة. مفهوم الخطاب الإعلامي، تحليل الخطاب العربي (بحوث مختارة). ص١٠٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

• مفهوم الخطاب من منظور منطقيّ عقليّ

يشير مصطلح الخطاب في اللسانيات الحديثة إلى "كل كلام تجاوز الجملة الواحدة، التي تصبح في أثناء تحليله الوحدة الصغرى التي يتكوّن منها، سواء أكان مكتوباً أم منطوقاً"[1]

فالخطاب في معجم المصطلحات الفلسفيّة " كلامٌ علنيّ موجّه إلى الآخرين، فهو عملية عقلية متكاملة تترابط أجزاؤها ترابطاً منطقياً"[2]. نستدلُّ من هذا أنّ الخطاب عمليّة عقليّة منطقيّة، وأن لهذا الخطاب دلالات غير ملفوظة يدركها السامع أو المتحدّث.

يقول أندريه لالاند: "إنّ الخطاب عملية فكرية تجري ضمن سلسلة عمليات أولية جزئية متتابعة. وعلى نحو خاص هو تعبير عن الفكر وتطوير له بسلسلة كلمات أو عبارات متسلسلة"[3]. لكن تعريف الخطاب في معجم المصطلحات الفلسفية أكثر وضوحاً من تعريف لالاند، فالخطاب فيه هو: " كلام علنيّ"[4] إلا أنّه في أصله عمليّة عقلية مترابطة الأجزاء، فالترابط والتماسك أهم ما في الخطاب باعتباره عملية عقليّة؛ لأن العقل هو الذي يولّد التماسك والترابط المنطقي، وبعد ذلك يصدر الكلام متماسكاً، فالخطاب يبدأ بإدراك العقل له وينتهي بالكلام. بينما يرى لالاند أنّ الخطاب عملية عقلية تتم بوساطة عمليات لغوية.

أمّا ميشيل فوكو في كتابه: نظام الخطاب فيرى أنّ الخطاب "مصطلح لساني متميّز عن النص والكلام والكتابة وغيرها بشموله لكلّ إنتاج ذهنيّ، سواءً أكان شعراً أم نثراً منطوقاً أو مكتوباً، فردياً أو جماعيّاً، ذاتيّاً أو مؤسسيّاً، في حين أنّ المصطلحات الأخرى تقتصر على جانب واحد. وللخطاب منطق داخلي وارتباطات مؤسسيّة، فهو ليس ناتجاً

---

[1] . بوقرة، نعمان. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب. ص١٣

[2] . الحلو، عبده. معجم المصطلحات الفلسفيّة. ص٤٥

[3] . لالاند، أندريه. موسوعة لالاند الفلسفية. ص٢٨٧

[4] . الحلو، عبده. معجم المصطلحات الفلسفية. ص ٤٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

بالضرورة عن ذات فردية يعبّر عنها أو يحمل معناها، أو يحيل إليها، بل قد يكون خطاب مؤسسة أو فترة زمنية أو فرعاً معرفياً [1].

وإذا قابلنا وجهة نظر "فوكو" في الخطاب بوجهة نظر عبد النبي النكري الذي يقول: "إنّ الخطاب توجيه الكلام نحو الغير للإفهام، ثم نقل منه إلى ما يقع به التخاطب من الكلام لفظياً ونفسياً"[2]، فسوف يتضح لنا أنّ ميشيل فوكو يعدّ الخطاب نظاماً للتعبير عن النشاطات الذهنية كلّها، بينما يعدّه عبد النبي النكري وسيلة للإفهام وإيصال الأفكار للآخرين.

إنّ الخطاب عمليّة عقلية منظمة تتضح معالمها عن طريق الكلام، وتنظمها القدرات التي تسيطر على العمليات العقلية العليا التي تخضع لنظام محدد. فالخطاب يتأثر بالفكر، وكل ما يصدر عن الفرد من أنشطة عقلية. فمن غير المنطقي إذن ربط الخطاب بالكلام فقط؛ فالخطاب كلّ مكتوب وملفوظ ومرسوم. وترى الباحثة أن ما جاء به الدكتور سمير استيتية في بيان مفهوم الخطاب، كان أكثر شمولية ودقة من المفاهيم السابقة؛ فقد حدّد الخطاب بأنه: " الصيغة التي نختارها لتوصيل أفكارنا إلى الآخرين، والصيغة التي نتلقّى بها أفكارهم ... فالخطاب ذو لغتين إحداهما منطوقة والأخرى غير منطوقة "[3].

فالمفهوم الذي قدمه الدكتور سمير استيتية قد تعدّى النظرة التقليدية لأساليب الخطاب، فقد اشتمل هذا المفهوم على المنطوق والمكتوب، وكل ما يصدر عن العقل من نشاط كلامي أو إشاري أو عمل إبداعي[4].

---

[1] . نقلاً عن فوكو، ميشيل. نظام الخطاب. ص٩

[2] . نكري، عبد النبي. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون. مج، ص٨٢

[3] . نقلاً عن استيتيّة، سمير. اللغة وسيكولوجية الخطاب. ص ١٥-١٦

[4] . المرجع السابق. ص١٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وعند النظر في المفاهيم السابقة جميعها أرى أنّ هذه المفاهيم تشترك في أنّ الخطاب عملية عقلية، و كل ما يصدر عن العقل من كلام سواء أكان منطوقاً أم مكتوباً، إشارة أو إبداعاً فنياً يعدّ خطاباً أو مؤسساً له.

تظهر صلة الخطاب بأدب الخطاب من جهتين، **أولاهما:** أنّ الوصول إلى الآخر هو الهدف المشترك الذي يجمع بينهما. فلولا الآخر الذي نتوجه إليه ما نشأ الخطاب؛ فهو الذي نسعى إلى توصيل أفكارنا إليه، ونحرص على أن تكون الرسالة التي نبعث بها إليه واضحة جليّة.

ولمّا كان الأمر كذلك فنحن نستعمل إمكاناتنا العقلية ونسخرها من أجل أن تكون الرسالة مفهومة عند الآخر. فالخطاب نشاطٌ عقليّ ذهنيّ مركب، وأدب الخطاب نشاطٌ عقليّ ذهنيّ مركب. وليس من قبيل المبالغة في شيء أن يوصف أدب الخطاب بأنّه الصورة المثلى للنشاط العقلي. لأنّنا إذا كنّا نحرص بخطابنا على أن نصل إلى الآخر، فإنّ أدب الخطاب يمثّل قمة هذا الحرص في الوصول إلى الهدف.

ثانيتهما: أنّ الخطاب وأدب الخطاب يمثلان التفكير الأعلى في السلوك الفكريّ، وهو التفكير الذي يمكن أن نصفه بأنّه نموذجٌ ذهنيّ في اللغة، وأدب الخطاب نموذج ذهنيّ كذلك. وأنّ كلاً منهما يمثّل شخصية صاحبه وطريقة تفكيره، والقيم التي ينطلق منها.

لكنّ هذين النموذجين يختلفان في شيئين **أولهما:** أنّ دائرة الخطاب أوسع من دائرة أدب الخطاب، فأحدهما أوسع وأشمل من الآخر. فالعلاقة بينهما علاقة احتواء وتضمن.

ثانيهما: أنّ أدب الخطاب يمثّل رقي التفكير الإنسانيّ. فشتان بين رسالة نرسلها من غير أن نتفكّر في عواقبها، وأخرى نستحضر في إنجازها كل الإمكانات العقليّة التي تستوعب الآخر، ونستطيع بحسن صياغتها أن نجعل تفكيرنا قريباً من تفكيره.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

• مفهوم الخطاب من منظور لسانيّ

تولى اللسانيون دراسةَ مفهوم الخطاب، وحددوا مفهومه فهو من حيث إنّه نشاط لغويّ يرتبط بعلاقة شمولية منسجمة مع النص[١]. ولقد حُدّدَ مفهوم الخطاب بأنّه "اللغة التي يسيطر عليها المتكلّم في حالة استعمال؛ ليكون بذلك مرادفاً للكلام" [٢]. فهذا المفهوم يشير إلى الكلام المنطوق حتى أصبح الخطاب رديفاً للكلام، فالهدف الأساس من استعمال الكلام هو إيصال رسالة إلى شخص أو مجموعة أشخاص، ولذلك فإنّ استعمال الكلام يتطلب وجود عنصرين هما المخاطِب الذي يؤلّف الرسالة تبعاً لرغبته، والمخَاطَب الذي يفكُّ رموز هذه الرسالة. ويؤكد هذا التعريف أنّ الخطاب من حيث معناه اللغوي الحديث هو " أنّه يدلّ على كل ملفوظ أكبر من الجملة منظوراً إليه من حيث قواعد التسلسل الجملي ... ومن وجهة نظر اللسانيات فإنّ الخطاب لا يمكن أن يكون سوى مرادف للملفوظ[٣]".

ولقد عرّفه علماء اللسانيات أيضاً بأنّه " وحدة تساوي أو تفوق الجملة؛ مكوّن من متتالية تشكّل رسالة ذات بداية ونهاية "[٤]، وحسب رأي ياكوبسون فإنّ الخطاب "تشتغل اللغة فيه وسيلة تواصل[٥]". وإذا دققنا النظر في هذا المفهوم فسنجد أنّ التواصل لا يحدث إلا بوجود قطبي الحديث المرسِل والمرسَل إليه، مع ضرورة وجود رسالة مرسَلة تنتمي إلى نظام مشترك بين طرفي التواصل؛ ليتمكّن كل منهما من فهم الآخر وإفهامه.

---

[١] . مداس، أحمد. لسانيات النص. ص١٠

[٢] . نقلاً عن المرجع السابق. ص١٠

[٣] . السد، نور الدين. مفارقة الخطاب الأدبي للمرجع. تحليل الخطاب العربي(بحوث مختارة). ص٢٨٥

[٤] . نقلاً عن مداس، أحمد. لسانيات النص. ص١٠

[٥] . نقلاً عن المرجع السابق. ص١٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وذكر ياكوبسون نوعاً آخر من التواصل، فقد يكون المتلقي والمرسل شخصاً واحداً، ويعرف التواصل عندها بالتواصل الداخلي. ويؤكّد ياكوبسون أهميّة التواصل الخارجي في توصيل الأفكار إلى الآخرين، فالتواصل مع الآخرين لا يكتمل إلا باستبطان اللغة[1]. وقد اتفق ياكوبسون وبنفست على تحديد مفهوم الخطاب؛ ليكون الخطاب عند بنفست " كلّ تلفظ يفترض متكلّماً ومستمعاً وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما "[2].

أما هاريس فيرى أنّ الخطاب: "ملفوظٌ طويلٌ، أو متتالية من الجمل، تتكوّن من مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة العناصر، بواسطة المنهجيّة التوزيعية وبشكل يجعلنا نظلّ في مجالٍ لسانيّ محض"[3]. نلاحظ من هذا التعريف أنّ هاريس قد سوّى بين المنطوق والمكتوب سواء أكان طويلاً أم قصيراً، مكوناً من جملة واحدة أم من عدة جمل. فهذه المتتاليات من الجمل لا يلتقي بعضها مع بعض بشكل اعتباطي، فهناك انتظام بين الجمل نسميه التوازي. وأنّ الملفوظ لابدّ أن يتكوّن من عدة جملٍ.

وهذا يعني أن هاريس قد اهتم بتحليل الخطاب انطلاقا من جانبين أولهما توسيع حدود الوصف اللساني إلى ما هو خارج الجملة. وهذه مسألة لسانية محضة، أمّا الجانب الثاني فيتعلّق بالعلاقات الموجودة بين اللغة والثقافة والمجتمع؛ وهي مسألة غير لسانية فلم يهتم بها. وهذا يعني أنّه قد سوّى بين النّص والخطاب لفظاً وكتابةً.

أما يول وبراون فقد قررا "أنّ الخطاب يتضمن نتاجاً ذهنيّاً منظماً وفق أنساق محددة غير منغلقة على نفسها. وهذا الأمر يستدعي وجود متحدّث و سامع وزمان ومكان لإنتاج الخطاب، فهو باختصار بنيه نسقيّة تتحقق بواسطة الكلام، ولا بدّ من حضور فعليّ لمنتج

---

[1] . بوقرة، نعمان. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب. ص١٤

[2] . يقطين، سعيد. تحليل الخطاب الروائي. ص١٩

[3] . نقلاً عن مداس، أحمد. لسانيات النّص. ص١١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الخطاب ومتلقيه[1]". فهذا التعريف يشترط حضوراً فعلياً لطرفي الخطاب ليتم التواصل بفاعلية وبطريقة مقننة مضبوطة، فهو غير مقيد بنسق الكلام وحده.

من ذلك يظهر أنّ مصطلح الخطاب متعدد المعاني؛ فهو الكلام الشفوي أو المكتوب. وهو أيضا نظير للرسالة التي تحمل عبارات كلامية ومعلومات، يريد المتكلّم أن ينقلها إلى الآخرين. وهو كذلك آليات الاتصال المختلفة من إشارة أو رسوم أو موسيقى أو لغة الجسد، فكل ذلك خطاب يُعبر عن مقاصده بالحركة والصوت دون المرور بلغة الكلام. وهذا يعني أنّ الصمت نفسه يمكن أن يكون لغة نعبر بها عن مضامين نفسية معينة، وقد يكون أكثر دلالة من الكلام. فاللغة نسق إشاري، ومجموعة من العلامات الدالة. فاللغة أوسع من الكلام، والكلام أحد وسائل اللغة[2].

إنّ صلة الخطاب بأدب الخطاب من المنظور اللساني واضحة جليّة؛ فقد وضّحت أن الخطاب أنساق لغوية تؤدي مفاهيم وأفكاراً معيّنة، نريد إرسالها إلى المستقبل. وأدب الخطاب أنساق لغوية كذلك.

وكما أن الخطاب يكون بالكلام، وبالإشارة، وبالصمت، فإنّ أدب الخطاب يكون بهذه جميعاً، أو ببعضها. لكنّ ثمة تبايناً واختلافاً بينهما، باعتبار المنظور اللساني. فأنساق الخطاب عامة، لا تستدعي انتقاء ما يستدعيه أدب الخطاب من ألفاظ وتراكيب. وأمّا أنساق أدب الخطاب فهي أنساق خاصة، كما في قول ربّ العزة على لسان يوسف في سورة يوسف:﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾ (الآية ٢٣) فمن هذه الآية نلمح أدباً راقيا في خطاب سيدنا يوسف عندما استخدم ألفاظاً منتقاة لإظهار الوفاء لمن آواه وأكرمه. فقد

---

[1] . الجراح، عبد المهدي. الخطاب وأثره في بناء نحو النص. ص١٧

[2] . حنفي، حسني. تحليل الخطاب، تحليل الخطاب العربي(بحوث مختارة). ص٢١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جعل شأن صاحب الفضل عليه والوفاء له كالوفاء لله عزّ وجلّ؛ لذا قال معاذ الله، فقد عبّر القرآن عما قاله سيدنا يوسف باستخدام المصدر(معاذ) ولم يستخدم الفعل (أعـوذ)، لأنّ المصدر دائماً هو أساس الشيء، وهو حدث لا يقترن بزمن. ومن كمال أدب الخطاب دوامه واستمراره، وهذا ما يحققه المصدر بسبب عدم اقترانه بزمن؛ فالمتفـضل عليـه مـؤدب بخطابه بصورة مطلقة، لذا نجد أدب الخطاب في قوله (معاذ) ليدل على أنّ مصدر عيشه الكريم هو العزيز، فاستخدامه للمصدر يتناسب مع مصدر الإحسان إليه.

ويظهر البُعد التداولي في أدب الخطاب. مثال ذلك: أنّ أحدنا قد يسأل شخـصاً هـذا السؤال: هل ترغب في أن أوضح لك ذلك؟ وقد يكون الجواب على هذا النحو: تفضل. ففي السؤال بُعد تداولي لا تكشف عنه الكلمات؛ ذلك أنّ فيه تأدباً ظاهراً يربط وقوع التوضـيح برغبة المخاطَب. وفي الجواب تأدب واضح، من حيث إنّه يجعل الموافقة رهنـاً بتفـضل السائل.

والبعد التداولي في قوله تعالى على لسان سيدنا يوسف عندما قال:﴿ هِيَ رَٰوَدتَّنِي عَن نَّفۡسِيۚ ﴾.(الآية ٢٦) يتمثّل في أنّه لم يستجب للمحاولات المتكررة التي تتطلبهـا صـيغة المفاعلة المتمثّلة في (راودتني). فصيغة المفاعلة تدلّ علـى تكـرار محاولاتهـا، دون استجابة منه. يضاف إلى ذلك أنّ تمنعه وعدم استجابته لهذه المراودة تكشف عن أدب نبوي عميق، فهو يتمنّع عن الاستجابة للفاحشة على الرغم من مفاجأة الإغراء، وسـن الـشباب، ومكانة صاحبة المراودة، وتكرار المحاولة. ويتمثّل البعد التداوليّ أيضاً في إعلان براءتـه وإلصاق تهمة المراودة بها بأدب جَمّ؛ فقد قابل هجومها عليه المتضمن فـي﴿ مَا جَزَآءُ مَنۡ

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(الآيـــة ٢٥)بقولـــه: ﴿ هِيَ رَٰوَدتُّنِي عَن نَّفْسِي ﴾.

ولما كانت هي صاحبة الكلمة القابلة للتصديق عند زوجها، فقد أصبح يوسف عليه السلام، بحاجة إلى دليل يثبت به براءته، أقوى من﴿ هِيَ رَٰوَدتُّنِي عَن نَّفْسِي ﴾ فقوّى الله عزّ وجلّ نفي يوسف الفاحشة عن نفسه بأن﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (الآية ٢٦ –٢٨) هذا يعني تداولياً أنّ أدب الخطاب، وأنّ أدب يوسف وسيرته الطّاهرة لم يكونا كافيين لإثبات الدليل القاطع، والبراءة الكاملة عند عزيز مصر، فاحتاج إلى ما يثبت ذلك إثباتاً قطعيّاً، فأجراه الله عزّ وجلّ على لسان شاهد من أهلها. وشهادة الشاهد من أهلها ذات بعد تداولي واضح، فبدلا من أن تكون حاجة يوسف إلى شاهد قريب منه أو شاهد محايد، جاءت الشهادة – بأمر الله – من طرف بعيد منه، قريب إليها، وإلى زوجها.

- **مفهوم الخطاب من منظور اجتماعيّ**

عند استعراض المفاهيم العقلية واللغوية السابقة، نلاحظ أنّ هذه المفاهيم قد اتفقت على أنّ الخطاب نتاج عقلي يصف الملفوظ والمكتوب على الأغلب. وثمة مفاهيم أخرى قد ركزت على الجانب الاجتماعي؛ أي إنّها ربطت الخطاب بالفكر الاجتماعي فقد عرّفت "ديانا مكدونيل" الخطاب بأنّه " هو المجتمع "[1] فقد ربطت الخطاب بأفراد المجتمع، وفي إشارة

[1] . الجراح، عبد المهدي. الخطاب وأثره في بناء نحو النص. ص١٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أخرى تقول مكدونيل : " الحوار هو الحالة الأوليّة للخطاب[1]". وعليه يمكننا القول إن الحوار حالة أولية للخطاب ولا يكون إلا بين طرفين، وهذا تعبير عن موقف اجتماعي.

وتظهر صلة الخطاب بأدب الخطاب من المنظور الاجتماعي في مواطن متعددة أظهرها أن كليهما ذو وظائف اجتماعيّة. فالبعد الاجتماعي للّغة يتجسّد في الخطاب، من حيث إنّ له قطبين اجتماعيين: المرسل والمستقبل، ومن حيث إنّ وظيفة الخطاب في الأصل وظيفة اجتماعيّة، تهدف إلى التواصل.

ولكنهما يختلفان من حيث إنّ الخطاب بعامة يهدف إلى إحداث التفاهم بين المتخاطبين، وليس التأدب ضربة لازب في صنوف كثيرة من الخطاب: كالخطاب العلمي مثلاً. ولكن التأدب شرط أساسي في إقامة أدب الخطاب.

[1] الجراح، عبد المهدي. الخطاب وأثره في بناء نحو النص. ص١٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

• المبحث الثاني:

عناصر الخطاب

الخطاب نظام تشكّله مكونات وعناصر، "فهو بناء لغويّ، واللغة فيه معبرة عن ذاتها وعن غيرها من الأشياء خارجها؛ ولذا فإنّ أي كلام عن اللغة لابدّ أن يكون باللغة وفي اللغة، ولا يغادرها إلى غيرها، ولا يستعين بغيرها عليها، في تفسيرها أو تحليلها... فكلّ لغة هي في ذاتها إنجاز جمعيّ في التعبير والتواصل. وهي تنطوي على عدد معين من البنى الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية[1]"، فلا بدّ من أن تعمل هذه العناصر مجتمعة؛ لتؤلّف هذا النظام.

والخطاب رسالة لغوية يوجهها المخاطب إلى المتلقي، فيقوم هذا بمعالجتها لغويّاً بطريقة خاصة لفهمها وتأويلها. فعناصر الخطاب هي: المرسل والمتلقي والرسالة بما تحتويها من أنظمة لغوية، تكشف لنا عن مقاصد المرسل، وتقودنا إلى مقدار فهم المتلقي. فالهدف الأساس من الخطاب هو إيصال رسالة ما، إلى شخص ما، أو مجموعة من الأشخاص. ولذلك فإنّ الخطاب يستوجب وجود عنصرين لا يكون الحديث إلا بهما وهما المرسل والمتلقي، وهذا بيان ذلك:

• **المرسل** : هو "الذي يؤلف المرسلة تبعاً لأهوائه ورغباته[2]"، وهو القطب الأول في عملية التواصل، وهو الذي يحدد مقاصده عندما يطرح جملته أو يكتبها، وهو الذي يخطط للجملة الموالية، ويضعها في مكانها من النسق العام الذي يريده؛ فهو لا يوجه رسالته فقط؛

---

[1] . السد، نور الدين. مفارقة الخطاب الأدبي. تحليل الخطاب العربي (بحوث مختارة). ص٢٨٣ وبوقرة، نعمان.المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب. ص١٤

[2] . نقلاً عن بوقرة، نعمان. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب. ص١٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإنّما يرى تأثير هذه الرسالة في نفس المتلقي[1]. والمرسل يعمل على توجيه المتلقي إلى مقاصده وإعداده لتقبل فكرة معينة أو موقف محدد[2]. فالمرسل مصدر الخطاب المقدّم، ويعدّ ركناً أساسياً في الدائرة التواصلية اللفظية. ولا بدّ للمرسل من أن يتمتع بقدرات كافية كالاستقبال والتنسيق؛ ليقوم بفك عملية الترميز بالرجوع إلى النظام اللغوي الذي يشترك فيه مع مستقبل الرسالة. ولا بدّ أن يتمتع بإحدى القدرتين العلامة الصوتية إن كان الخطاب منطوقاً، أو الأشكال الخطية إن كان الخطاب مكتوباً حتى يتجسد الخطاب كما أراده[3].

وعند استقراء أثر المرسل في إبراز أدب الخطاب في سورة يوسف، تتبيّن لنا حقائق مذهلة من أظهرها ما يأتي:

أولاً: الأثر التوجيهي الذي يغطي السورة من أولها إلى آخرها. ففي السورة قطبان عظيمان: هما يعقوب ويوسف عليهما السلام. وفي كلّ عملية إرسال لغويّ من كلّ واحد منهما، يتجلى أدب الخطاب. مثال ذلك إيحاءات العظمة التي رآها يوسف في رؤياه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾(الآية ٤) هذه العظمة تظهر ليوسف في سنّ طفولته تحتاج إلى توجيه. وقد كان هذا التوجيه على لسان أبيه يعقوب عليه السلام: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾(الآية ٥) ومن أجل أن يعلمه الأدب مع إخوته الأكبر منه سنّاً، نسب عداوة إخوته له وما يدبّرونه له، إلى الشيطان، فقال: ﴿فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(الآية ٥)

---

[1] .براون ويول. ترجمة منير التريكي ومحمد لطفي الزليطي. تحليل الخطاب. ص١٠- ١١

[2]. المرجع السابق. ص ٢٧

[3]. بومزبر، الطاهر بن حسن. التواصل اللساني والشعرية. ص ٢٤- ٢٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ثانياً: الحسم الذي يظهر فيه قول المرسل. وهذا يظهر في مواطن كثيرة في سورة يوسف، وبأدبٍ جَمٍّ من الخطاب. من ذلك مثلاً، قول الشاهد: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾. (الآية ٢٦- ٢٧) ويلاحظ أنّ الآية خلت من أداة التحقيق (قد) التي تدلّ على توكيد الكلام، فلذلك لم يقل: " فقد صدقت " ولا " فقد كذبت ". وهذا يدلّ على احترام الشاهد لتفكيره وتفكير الآخرين؛ إذ مادام الأمر في نطاق معالجة الدليل، فلا حاجة إلى تحقيق الفعل، حتى يثبت الشاهد براءة أحدهما بدليله. وهذا لا يتعارض مع كون الحكم الذي أدلى به هو الحكم الذي انتهى إليه العزيز: ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾(الآية ٢٨)

- **المتلقي:** هو الذي يقوم بفكّ رموز هذه الرسالة[1]. وهو الذي يرصد معانيها ويستقرئ جمال الخطاب فيها، ويقف على أبعادٍ ربما لم يقف عليها المرسل نفسه[2]. فيعمل على تحليل جزئيات الخطاب الدقيقة، فينظر في العناصر التي تؤلّف النص الخطابي من أصوات وتراكيب، فيربط بينها وبين دلالة الخطاب العميقة حسب تأويله لها. ولا شكّ أنّ فهم المتلقي للرسالة وإدراك معانيها، يعتمد على قدرته في فهم الروابط والاستنتاج، ويجعله يميل إليها ويتفق معها.

" إن ما يميز المتلقي امتلاكه حاسة التوقع والانتظار، وكلما قدم له المبدع ما يخالف هذا التوقع وذاك الانتظار ، فإنه يمتلك قمة البيان الأسلوبي الذي لا يكون إلا مجموعة

---

[1]. بوقرة، نعمان. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب. ص١٤

[2]. استيتيّة، سمير. اللغة وسيكولوجية الخطاب. ص١٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

طاقات وإمكانيات لغوية. والمبدع الفنان هو الذي يمتلك ناصية هذه الطاقات بحيث لا يكتفي بأداء المعنى وحده وبأوضح السبل، وإنما يجب أن يكون الوضوح في أجمل ثوب، بحيث يختار المبدع الشكل الملائم ليعبر عما يخالجه[1].

يظهر المتلقي في مواطن كثيرة في سورة يوسف بصورة واضحة، فيظهر في حسن تلقيه، أو عدم حسن تلقيه الرسالة. أمّا حسن تلقيه الرسالة فيبدو واضحاً في قول أحد إخوة يوسف، وقد أخذ عليهم والدهم يعقوب عليه السلام ميثاقاً بأن يحافظوا على أخيهم بنيامين، فقال:﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ﴾(الآية ٨٠) فهذا دليل على أدب مراعاة العهد والميثاق. وعلى استيعاب مضمون قول أبيهم لهم:﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ﴾ الآية ٦٤).

ومن المواطن التي يظهر فيها حسن تلقي الرسالة، أن عزيز مصر استوعب ما قاله الشاهد، فعرف أنّ زوجته هي التي راودت يوسف عليه السلام عن نفسه.﴿ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾(الآية ٢٨). وفي الآية يظهر أدب الخطاب واضحاً، فبدلاً من أن ينسب الافتتان إلى زوجته بالرجل، نسب الكيد إلى النساء عموماً؛ ليخفف من وقع اتهامه لها:﴿ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾.

---

[1]. عبد المطلب، محمد. البلاغة والأسلوب. ص ١٩٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وأمّا عدم حسن تلقي الرسالة فيظهر في عدم قدرة أخوة يوسف على أن يوفوا بوعدهم الذي قطعوه لأبيهم حين قالوا عن يوسف: ﴿" وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(الآية ١٢)، وقولهم: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾(الآية ١٣).

ومن المواطن التي ظهر فيها عدم حسن تلقي الرسالة، أنّ عزيز مصر الذي اشتراه قال لزوجته: ﴿ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾(الآية ٢١). لم تستوعب زوجته الرسالة؛ فبدلاً من أن تعامله معاملة الأم لولدها تنفيذاً لطلب زوجها ورغبته، تصرّفت مع يوسف على اعتبار كونه رجلاً كسائر الرجال. ولذلك راودته عن نفسه. وأدب الخطاب واضح في الآية؛ فقد طلب أن تكرم مثواه؛ لأنّه تبيّن له من ملامحه أنّه من أسرة تستحق الإكرام.

- الرسالة : هي الجانب الملموس في العملية التخاطبية، حيث تتجسد عندها أفكار المرسل ونشاطه الذهني في صورة سمعية، إذا كان التخاطب شفهياً أو علامات خطية، إذا كان الخطاب مكتوباً. وقد اقترح الدكتور عبد السلام المسدي اسم " الخطاب الأصغر" للنص أو الرسالة التي تمثّل محتوى الإرسال، وتتمحور حول موضوع معيّن، وتنسج نظام أبنيتها في ضوء نظام لغوي مقنّن[١].

وترى الباحثة أن الرسالة الإبداعية تكشف عن جمال هذا الخطاب وأبعاده، وذلك عند النظر في ما وراء الكلمات والجمل التي تتشكّل منها، فلكلّ عنصر من العناصر اللغوية

---

[١]. بومزبر، الطاهر بن حسين. التواصل اللساني والشعريّة. ص٢٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

دور في انسجام هذا الخطاب واتساقه، وبيان مواطن الجمال فيه من زاوية نظر المتلقي.

فللخطاب مكونات هي:

- **الأصوات**

يؤدي النسيج الصوتي وظيفة في الدلالة؛ فكل صوتٍ لابدّ له من صلة تربطه بمعنى الخطاب. فالصوت اللغوي هو أصغر وحدة لغوية؛ ولكنّ له مدلولات خفية تزيد من عمق دلالة الرسالة. فالدراسات النقدية لا تهتم بمخارج الأصوات ولا بصفاتها؛ رغم أنها ترسم معالم نغمة الخطاب وتبين فحواه في ترددها وتكرارها[1].

يرى محمد مفتاح "أنّ للأصوات قيمة تعبيرية أحياناً تأتيها من خصائصها الفيزيائية و الأكوستتيكية، ومن التداعيات بالمشابهة مثل تشبيه شيء بشيء"[2]. فقد يكون لتراكم أصوات معينة في خطاب ما تأويل دلالي. كما أن تكرار كلمات بنفس الأصوات ظاهرة لغوية أشار لها علماء اللغة المتقدمون، وأطلقوا عليها مصطلح التجنيس وهو "ما اتفق فيه اللفظان و اختلف أو تقارب فيه المعنيان"، وهذا مخالف لآراء المتأخرين،فقد قصروه على الاتفاق في اللفظ والاختلاف في المعنى. فالتجنيس يحتوي الاشتقاق الأصغر والاشتقاق الأكبر الذي يعني أخذ أصل من الأصول الثلاثة ويقلب ستة تقاليب ترجع كلها إلى معنى واحد. حيث يرى ابن جني "أنه كلما تقاربت أصوات الكلمات تقاربت معانيها"[3]. فالأصوات ليست مستقلة عن الكلمة والتركيب، فالتشاكل الصوتي يتحقق في الكلمة، ولكنّه لا يؤدي وظيفته كاملة إلا إذا تجلى في تركيب ما.

---

[1]. مداس، أحمد. لسانيات النص. ص٢٢

[2]. نقلاً عن مفتاح، محمد. تحليل الخطاب الشعري. ص٣٥

[3]. مفتاح، محمد. تحليل الخطاب الشعري. ص٣٦-٣٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وتظهر دقة الرسالة واضحة في سورة يوسف، وأثر الأصوات في إبراز الدلالات التي تريد السورة إيصالها. من ذلك مثلاً قول الوارد الذي أوردته السيارة ليسقي لهم: ﴿ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ ﴾. (الآية ١٩)، فقد أخذته الدهشة حين وجد غلاماً في البئر. وقد عبّرت الآية عن هذه الدهشة بأداة النداء (يا). والألف التي في آخر (بشرى) تلائم المعنى الذي أراده القائل. ومن ذلك مثلاً قول يعقوب عليه السلام: ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾. (الآية ٨٤) فباستعمال أداة النداء (يا) عبّر القرآن عن الأسف العميق الذي كان في صدر الوالد الكريم، النبي الحليم، الذي لا يجد ما يعبّر به عن حزنه إلا أن يقول:﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾. وفي ألف الإطلاق في (أسفا) ما يدلّ على سعة النَفَس الذي ينطلق من صدر أب حزين على فقد ابنه، وفلذة كبده. ومما يدلّ على شدة المعاناة عند قوله:﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ أنّ الآية أعقبت ذلك بالعبارة القرآنيّة المؤثرة: ﴿ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴾ .(الآية ٨٤).

- **المعجم**

يعدّ المعجم مفتاح الخطاب ومحوره الذي يدور عليه، فلكلّ خطاب معجمه الخاص به، فالمعجم يكسب الكلمة قيمتها الدلالية، ويكشف عن طريقة توظيفها وتحوّلاتها، ويصنع نواة الدلالة الكلية للخطاب، فهو مكون مهم للخطاب لكونه عنصرا من عناصر البنية اللغوية. ويعدّ المعجم وسيلة للتمييز بين أنواع الخطاب، والمعجم يبحث أيضا في خصائص

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التحول والتقابل، والتشاكل والتباين. وبهذا البحث يسهل العبور إلى الوحدة الأساسية في الخطاب، وهي التركيب بجميع أنواعه[1].

- **التركيب**

تتناغم التراكيب النحوية في الخطاب مع سائر العناصر لتؤدي معنى الخطاب؛ فهناك بنية نفسية وسياق عام وراء أي خطاب لغوي، فالخطاب يتشكّل حسب الأحوال النفسية وقصد صاحبه. ويظهر ذلك جلياً كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ (الآية ١١) ففي هذه الآية الشريفة يتدرج الأبناء في مخاطبة أبيهم بشيء من العتاب في سؤالهم ﴿مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ فهذا السؤال فيه من العتب ما جعل سيدنا يعقوب يوافق على إرسال يوسف معهم. فهنا خطاب نفسيّ، فهم يريدون استمالة العاطفة الأبوية بقولهم: "يَٰٓأَبَانَا". وبعد ذلك يقدمون سؤالاً فيه عتب واستنكار خفي، وفيه استعداد لنزع الخوف من صدر أبيهم، من أجل الاستجابة لهم بتسليمه يوسف لهم[2]. فأدب الخطاب النفسي هنا ظهر في استمالة الأبناء لأبيهم أولاً، ورجائهم الحصول على موافقة أبيهم بإرسال يوسف معهم عن طريق سؤال العتاب لعدم ثقته بهم ثانياً. فالتأثير النفسي الواقع على سيدنا يعقوب بطريقة الخطاب المتأدب كانت سبباً في أخذ الموافقة منه. وهذا يدل على أنّ أدب الخطاب أسرع من الوصول إلى الغايات والمقاصد التي يريد المرسل إيصالها بدقة إلى المتلقي.

---

[1] . مفتاح، محمد. تحليل الخطاب الشعري. ص ٢٥-٢٦

[2] . قطب، سيد. في ظلال القرآن. مج٤، ص٢٣٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يعدّ التّباين أحد مكونات اللغة. وقد يكون ظاهراً أو خفيّاً، وقد يكون واضحاً كل الوضوح عندما يكون هناك صراع وتوتر، بين طرفين أو أطراف متعددة.

أما التشاكل فيظهر في مستوى معين من الخطاب؛ فتراكم المستوى التركيبي في الخطاب قد يكون جزئياً أو كلياً. وقد يكون التشاكل في الصيغة الصرفية أو الزمن أو النفي أو المكان والضمائر. والمغزى من هذا التشاكل التركيبي هو الدلالة على التكرار والإلحاح والدوران من حيث الفعل النحوي، كما أنّ تقديم بعض الألفاظ يعكس الاهتمام بها بناء على طبيعة المتكلم أو قصده. كما أن القرب والبعد في الضمائر يعني المخاطب مباشرة لاتصالها بالفعل. أما القرب بين اللفظين فيظهر الاندماج، والبعد بين الألفاظ يدل على التراخي، فمفهوم القرب والبعد بين الألفاظ منغرسان في نظامنا اللغوي[1].

- **المقصدية**

تبنى (كرايس) مفهوم المقصدية التي تمثّل المحور العمودي في لسانيات النص. وقد انطلق من أنّ كل حدث سواء أكان لغوياً أم غير لغوي، إمّا أن يتضمّن نية الدلالة، وإمّا ألا يتضمّنها[2]. فإذا تضمّنها "فإنّ العملية التواصلية القصدية تفترض وجود طرفين مرسل ومتلق.

والمقاصد ثلاثة أنواع: أولها رئيسيّ دلالي يتجلى في المعتقدات والرغبات التي تكون لدى المتكلّم، وثانيها يكون فيما يعرفه المتلقي من مقاصد المتكلّم. وثالثها يظهر في هدف المتكلّم الذي يريد أن يجعل المتلقي يعترف بأنّه يريد منه جواباً ملائماً[3].

---

[1] . مفتاح، محمد. تحليل الخطاب الشعري. ص ٦٩– ٧٥

[2] . المرجع السابق. ص ١٦٤

[3] . مفتاح، محمد. تحليل الخطاب الشعري. ص ١٦٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد لا يتحقق التواصل المثالي دائماً، وقد يقصد المرسل غرضاً معيّناً، ولكن المتلقي لا يدركه. فالمقصدية عند كرايس تصلح لتطبيقها على بعض أنواع الخطابات التي تفترض مرسلاً مسيطراً ومتلقياً خاضعاً يعلم الظاهر وما يخفى، ورسالة واضحة لا إبهام فيها[1].

أما المقصدية عند سيرل فأساسها أنّ كل عمل هو حدث ناتج عن سبب راجع إلى عامل. وقد فرق سيرل بين مفهومين: القصد الناجم عن وعي، والقصد الذي يجمع بين الوعي واللاوعي. وقد عرّفها بأنّها "خاصة عدة حالات عقلية وأحداث، وبسبب تلك الخاصة تتوجه الحالات العقلية والأحداث إلى أو نحو الأشياء والحالات الواقعية في العالم[2]". والمقصدية تكون لغوية وغير لغوية. إن السلوك اللغوي مشتق من المقصدية فهي التي تتحكم في الأفعال الكلامية وتخلق لها معانيها[3].

إنّ نظرية كرايس ونظرية سيرل تتخذان الذات منطلقاً لخلق عملية التواصل. إلا أنّ كرايس قد حصر مقاصد المتكلم للتأثير في المتلقي، بينما سيرل أقام نظريته على كثير من الظواهر الإنسانيّة واللغويّة، ودمجها في نظرية الفكر والعمل، وقلل من أهميّة الطرف المجتمعي الذي يخلق التعابير اللغوية ويعطيها معناها[4].

وتقوم المقصدية على مبادئ معيّنة أهمها الترابط المستمر بين أجزاء الموضوع، وتجنب الغموض والإبهام؛ لأنّ الغموض والإبهام يؤديان إلى إبطال مفعول القصد. وينبغي

---

[1] . مفتاح، محمد. تحليل الخطاب الشعري. ص ١٦٤ – ١٦٥

[2] . المرجع السابق. ص ١٦٥

[3] . المرجع السابق. ص ١٦٥

[4] . المرجع السابق. ص ١٦٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

على منتج الخطاب أن يؤدي المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ، فالإيجاز يساعد على وصول مقصد المخاطِب إلى المخاطَب في حين أن الحشو يؤدي إلى ضعف الاستجابة[1].

إنّ كل جملة وراءها مقصدية تتضح معالمها في حالات معينة لدى منتج الخطاب كما ذكرت سابقاً، كالخوف والاعتقاد والرغبة وغيرها مما يمرّ به الإنسان، حيث يعرف المتلقي مقاصد المنتج من وراء تلك الحالات، "ففعل الأمر" (اقرأ) يلبي مقصداً رئيساً يظهر في رغبة المرسل في سماع القراءة، ومقصداً في اعتراف المتلقي بذلك، ومقصداً في إرادة المرسل أن ينتج عن أمره تلبية. على أنّ هذا الاتجاه يختزل العملية اللغوية إلى وظيفة التواصل الناجحة[2]". إنّ هذه الفرضية قد تصح في بعض أنواع الخطابات الناتجة عن عقدة بين المرسل والمتلقي أو الصادرة عن سلطة دنيويّة عليا، فقد لا تستقيم هذه الفرضية في خطابات أخرى.

لقد حاول بعض فلاسفة اللغة تعريف مفهوم المقصدية وتعقيده وإخراجه من آليته، فقد رجعت الدراسات اللغوية إلى منطلق فسيولوجي ونفسي، وقللت من أهميّة المخاطب الذي يكون في أحيان كثيرة هو الموجّه والمشكّل للحدث الكلامي، بالرغم من معتقدات المرسل ورغباته. فالمقصدية وحدها لا تتحكم في إنتاج أنواع الأفعال الكلاميّة وأنواع الخطاب[3].

وترى الباحثة أن المقصدية تحدّد السبل التي يسلكها منتج الخطاب لتحقيق مقاصده وتبليغها للمتلقي، لأنّ لكل خطاب هدفاً ومقصداً يراد تحقيقه، فقد يكون النص الكلامي

---

[1] . البطاشي، خليل. الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب. ص ٩٢ – ٩٣

[2] . مفتاح، محمد. دينامية النص. ص٥٠

[3] . المرجع السابق. ص٥٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مترابطاً متسقاً ليحقق الهدف الذي أنشئ من أجله. وقد لا يكون كذلك، لأنّ منتج الخطاب أحياناً يعمد إلى هذه الخلخلة؛ ليصل إلى نتيجة محددة بأقصر الطرق وأبلغها.

وتعدّ المقصدية محوراً مهماً من محاور إنشاء أدب الخطاب؛ لأنها جزء من طبيعة الخطاب، وخاصة أنّ منشئ الخطاب يختار ما يناسب مقاصده وأهدافه وبالصيغة التي ينتقيها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

- **المبحث الثالث:**

لسانيات النص

لسانيات النص من أحدث فروع اللسانيات؛ وهي تهتم بدراسة النص من حيث حدّه ومفهومه وما يتصل بهما، ومن حيث محتواه التواصلي وما يرافقه من عناصر، ومن حيث التماسك والاتساق. وقد تبوّأت لسانيات النص مكانة في البحث العلمي؛ لأنها تقوم على تأطير الكيفيات التي ينسجم بها الخطاب. فالخطاب مكتوباً أو ملفوظاً يكشف عن الأبنية اللغوية وكيفية تماسكها، على اعتبار أنها وحدات لسانية تنتجها قواعد متتالية، وتتحكم بها بصورة متسلسلة منتظمة. ويشترك تحليل الخطاب مع لسانيات النص في الكشف عن تلك القواعد المنتجة للوحدات اللسانية.

تهدف لسانيات النص إلى وصف العلاقات، ومختلف العناصر التي تنسج النص باعتبارها وسيلة لانسجامه. يرى آدام (J.M.Adam) أنّ وضع التناسق خارج لسانيات النصّ يؤدي إلى عدم فهم التناسق و الانسجام في النص. وعملية فهم التناسق والانسجام في النص تتحقق بكون القارئ قادرًا على تأويل النص.

يرى آدم أنّ الانسجام النصي لا يتحقق إلا بالنشاط التأويلي للقارئ، فالملفوظات بذاتها لا تحقق الانسجام، أما المؤول فإنه يعطي للملفوظات دلالات يتبصرها. وأنّ النص لا يكون منسجماً حقيقةً إلا بتأويل المتلقي له إذا كان المؤول على دراية بظروف الإنتاج ومقام

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التخاطب؛ ليستطيع الربط بينها وبين التأويل، وثانياً: إنّ الانسجام يشغل فضاءً ذهنياً يقوم على التأويل لا على الخاصية اللسانية للملفوظات، ليسبغ عليها المعاني والدلالات[1].

عملية الإنتاج والتأويل التي تستند إلى المعرفة غير اللسانية أي المؤثرات التي تتكوّن خارج حدود النّص، تعين على قراءة الخطاب وفهمه، إلى جانب أجزاء الخطاب التي تحمل معرفة تحفظ للسانيات دورها في التواصل والتخاطب والفهم المستقل. ولتأويل النص لابدّ من نشاط ذهني كبير للتمكّن من استحضار العلاقة بين عناصره، واستخدام جميع أنواع المعارف لفهم النص.

ثمة نظرة تشير إلى أنّ عملية تحليل الخطاب من الممكن أن تجري بتحليل العناصر اللغوية التي يتكون منها الخطاب، دون معرفة بمحيط الإنتاج. فإذا فهم القارئ النصّ، واستخلص العلاقة بين عناصره، ثم ربط كلّ ذلك بالانسجام والترابط الفكري والمقصدية، فسوف يصنع تصوراً عن الخطاب، وفهمه وتحديد غاياته، ورؤية الانسجام والتماسك والاختلاف بين أجزائه. فتجانس المقاطع التي يتكوّن منها الخطاب والإحالات الداخلية والخارجية كلها تصنع انسجام الخطاب وتماسكه[2].

يؤدي الترابط بين أجزاء الخطاب إلى تماسكه وانسجامه واتساقه، فعنصرا الاتساق والانسجام هما اللذان يظهران ترابط الخطاب، ويؤديان إلى فهم دلالاته. فالاتساق يظهر في المستوى السطحي للخطاب المكتوب. أما التماسك والانسجام فإنهما يظهران في المستوى العميق للخطاب، حيث يجري الترابط بين التراكيب التي لا تظهر على السطح[3].

---

[1] . مداس، أحمد. لسانيات النص. ص٤-٥

[2] . المرجع السابق. ص٦-٧

[3] . بوقرة، نعمان. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب. ص٤٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

• الاتساق لغةً واصطلاحاً وأدواته

الاتساق في اللغة مأخوذ من الفعل (وسق) الذي يدلّ على الجمع والضم. وقد ورد هذا الجذر في محكم التنزيل عندما أقسم رب العزة قائلاً: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾. (الانشقاق: ١٦- ١٨) قال الفراء: وما وسَقَ أي ما جمع وضم. أمّا الاتساق فقد ورد في لسان العرب بأنّه الانتظام[١].

يعرّف الاتساق من حيث هو مفهوم لسانيّ بأنّه: " التماسك الشديد بين الأجزاء المشكّلة لخطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من خطاب أو خطاب برمته[٢]". فالتماسك هنا لا يعتمد على عنصر لغوي ما، بل يعتمد على جميع العناصر المكونة للخطاب من روابط نحوية ومعجميّة ودلالية، "فهو مجموعة من العلاقات اللفظية أو الدلالية بين أجزاء النص"[٣]. كما " أنّ مفهوم الاتساق مفهوم دلالي، إذ إنه يحيل إلى العلاقات المعنويّة القائمة داخل النص، والتي تحدده كنص[٤]". وحتى نتمكن من وصف الخطاب متسقاً لا بدّ من اتباع طريقة أفقية متدرجين من بداية النص حتى نهايته. ومن أبرز أدوات الاتساق ما يلي:

- **الإحالة:** وهي العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها. وهي: الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة. والإحالة علاقة دلالية لا تخضع لقيود نحوية. وتقسم الإحالة إلى

---

[١] . ابن منظور. لسان العرب. مادة (وسق)

[٢] . خطابي، محمد. لسانيات النص. ص٥

[٣] . استيتيّة، سمير. منازل الرؤية. ص ٢٧

[٤] . المرجع السابق. ص١٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إحالة مقامية؛ أي إحالة خارج النص، وإحالة نصية؛ أي إحالة داخل النص. وقد تكون إحالة قبلية، وقد تكون بعدية[1]. ومثالها:﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ (يوسف: ١٠٢). ففي الآية إحالة إلى مضمون كيديّ كبير، كان لكل واحد منهم فيه نصيب، يتفق ويختلف مع نصيب غيره من الكيد. ولكنهم جميعاً ينتهون إلى غاية واحدة اجتمعوا عليها، وتجاوزوا الفروق والخلافات بينهم، ما دام المكر بيوسف عليه السلام هو الذي يجمعهم.

- **الاستبدال:** هو تعويض عنصر بعنصر آخر، وهذا يتمّ في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات وعبارات. ويعدّ الاستبدال عنصراً أساسيّاً من مصادر اتساق النصوص[2]. مثال ذلك قوله تعالى:﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ (يوسف: ٧)؛ فقد استبدلت الآية كلمة (السائلين) بماهيتهم وأسمائهم؛ لأنّ الأسماء ليست هي المقصودة، ولا هي محل اعتبار في الآية الكريمة. فوصفها لهم بأنهم سائلون هو الأساس، وقال تعالى:﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ﴾(يوسف: ٣٠)، فقد استبدلت الآية (فتاها) بيوسف عليه السلام. وهذا الاستبدال – وهو استبدال وصف – من شأنه أن يعظم خطأ امرأة العزيز ؛ إذ لا يليق بامرأة في مقام هذه السيدة، أن تراود (فتاها) الذي يفترض فيه أنه خادم لها. كما يعدّ وصف (امرأة العزيز) بدلاً من اسمها الذي تعرفه كلّ نساء المدينة بلا ريب هو غمز بها، وتعبير عن شماتة النساء بـ(امرأة

---

[1] . استيتيّة، سمير. منازل الرؤية . ص١٦ – ١٧

[2] . خطابي، محمد. لسانيات النص. ص١٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

العزيز) التي تفوقهنّ بهذا الشرف وبهذه المنزلة. وقد عبرت الآية الكريمة عن قصد النسوة بدقة بورود هاتين الكلمتين فيها.

- **الحذف:** الحذف في لسانيات النص أكبر من أن يكون مجرد إسقاط لمكوّن من المكونات اللغوية للنص. فهو يشكل علاقة داخل النص، ويظهر ذلك عندما نقابل النص المنطوق بما عليه بنيته التقديرية قبل الحذف، حيث يوجد العنصر المحذوف في البنية التقديرية. وينجم عن الحذف عدد من العلاقات، يهمنا منها العلاقة الموازية التي تظهر في التقابل بين المنطوق وبنيته التقديرية، كما جاء في الآية الكريمة﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ (يوسف: ١٤)؛ أي إنّهم خاسرون أخاهم، مثلما أنّ أباهم يخسر ابنه. والحذف يختلف عن الاستبدال، فالاستبدال يترك أثراً بوجود أحد عناصره. أما الحذف فلا يترك هذا الأثر، ويصبح في الجملة فراغ يهتدي القارئ إلى ملئه، اعتماداً على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق. فأهمية الحذف كبيرة جداً في الاتساق؛ حيث ينبغي البحث عن العلاقة بين الجمل وليس داخل الجملة الواحدة[1].

ترى الباحثة أن الحذف من أكثر عناصر الاتساق دافعية لعملية التأويل، وتنشيط العمليات العقلية العليا؛ لإيجاد العلاقة بين الجمل المكونة للخطاب، وتفسيرها بما يتلاءم مع معنى الخطاب.

- **الوصل:** هو ربط الكلام السابق مع اللاحق بشكل منظم، كما جاء في الآية الكريمة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(يوسف: ٦) فالتفصيل هنا فيه

---

[1] . خطابي، محمد. لسانيات النص. ص٢١ – ٢٢

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تسلسل زمني، فقد ذكر الاجتباء، والعلم، وإتمام النعمة، وكلّ ذلك سيحدث في المستقبل، على نحو من التدرج، فالاجتباء يكون قبل تعليم التأويل، ثم يكون بعد ذلك إتمام النعمة بالنبوة، والملك، واجتماع شمل أهله. فالخطاب عبارة عن جمل متتالية متعاقبة أفقياً، وتحتاج إلى عناصر رابطة لكي تظهر كوحدة متماسكة. ويتم الربط بالوصل الإضافي والعكسي والسببي والزمني[1]. فالوصل الإضافي يكون بإضافة أمر إلى آخر، والعكسي يكون بخلاف الترتيب الزمني وترتيب الأهمية، كالبدء من الحديث إلى ما هو أقدم، أو البدء بالأصغر ثم الأكبر. والوصل السببي يكون بذكر السبب ثم النتيجة.

- **الاتساق المعجمي:** ينقسم هذا العنصر إلى قسمين هما: التكرار: وهو شكل من أشكال الاتساق المعجمي؛ ويقتضي إعادة عنصر معجمي أو مرادفه أو شبه المرادف أو تكرار عنصر معروف أو اسم عام[2].

أمّا القسم الثاني فهو: التضام وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة[3].

•أدوات لسانيات الخطاب

للسانيات الخطاب أدوات كثيرة تؤثر في تماسك نصّ الخطاب وانسجامه، وتعمل على إحكامه وهذه الأدوات هي:

- **الترابط:** يشير الترابط إلى العلاقات الخاصة بين الجمل، وهي علاقات دلالية. فترابط معاني الكلمات الواردة في الجملة، والتطابق الإحالي بين طرفيها، وتعالق الوقائع

---

[1] . خطابي، محمد. لسانيات النص. ص٢٣

[2] . المرجع السابق. ص٢٤

[3] . المرجع السابق. ص٢٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

التي تشير إليها القضايا. وتكون الوقائع التي تشير إليها القضايا متعالقة بقدر ما تكون مرتبطةً بموضوع الخطاب[1]. فالترابط هنا لايهتم بالناحية التركيبية وإنما يعتني بالناحية الدلالية. فعندما نحكم على نصٍّ ما بالانسجام فإننا لابدّ من فهم دلالة ألفاظه، ومدى تناغم هذه الألفاظ بعضها مع بعض.

- **ترتيب الخطاب:** يعدّ ترتيب الخطاب مظهراً آخر من مظاهر انسجام الخطاب، وقد سماه فان ديك الترتيب العادي للوقائع في الخطاب، ذلك أنّ ترتيب الوقائع في متتالية معينة يخضع لترتيب معيّن حيث يكون هذا الترتيب إمّا حراً وإمّا مقيداً. "فالترتيب حرّ إن لم يُحدث فيه التغيير أي أثر دلالي أو تداولي، ويكون مقيّداً إن أحدث فيه التغيير أحد هذين الأثرين، أو أدى إلى عدم انسجام الخطاب. بعدما كان منسجماً[2]".

يؤدي الترتيب وظيفة أساسية في انسجام الخطاب، فإن حدث تغير في الترتيب وحقق أهدافاً معينة كان الخطاب منسجماً. وإذا لم يحقق الأهداف المنشودة كان الخطاب غير منسجم. فهناك علاقات تحكم هذا الترتيب، وتخضع لمبادئ معرفية، منها علاقة العام بالخاص، والكل بالجزء وغيرها من العلاقات التي يخضع لها الترتيب[3].

- **الخطاب التام والخطاب الناقص:** يعدّ الخطاب التام أو الناقص مظهراً آخر من مظاهر انسجام الخطاب أو عدم انسجامه. فالخطاب التام عند (فان ديك) هو جميع المعلومات الضرورية التي تشكّل خطاباً ما وتصفه، فهي تخضع لعملية الانتقاء اللازمة لإنشاء الخطاب. ويوصف الخطاب التام بأنّه خطاب صريح، ويوصف الخطاب الناقص بأنّه خطاب ضمني. ولكن تمام الخطابات أو نقصانها درجات؛ فالأمر مرتبط بنوع الخطاب

---

[1] . المرجع السابق. ص ٣١- ٣٢

[2] . خطابي، محمد. لسانيات النص. ص ٣٨

[3] . المرجع السابق ص ٣٨ -٣٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والهدف منه، ويعدّ الخطاب الناقص انتقائياً منسجماً؛ لأنّ القارئ يملأ النقص عن طريق الاستدلال، على اعتبار أنّ المعلومات الضرورية غير المعبّر عنها فيه ضمنية[1].

إذا كان الخطاب من النوع الضمني؛ فإنّه سيفتح الباب أمام متلقيه لكي يؤوّله ويصله بالبنية التقديرية التي تفتح له باب التأويل؛ ولذلك فإنّ عملية التأويل تحتاج إلى المهارات العقلية العليا لتعمل على ربط الخطاب وانسجامه بما يتلاءم مع موضوعه، وستجعل المتلقي يمعن في النظر في جزئيات الخطاب الدقيقة ويبحث في ما وراءها، ليخرجه خطاباً منسجماً متماسكاً.

- **موضوع الخطاب (البنية الكلية)**

تتمثّل وظيفة موضوع الخطاب في تنظيم المحتوى الدلالي لجمل الخطاب وتصنيفها، فقد عدّ (فان ديك) موضوع الخطاب بنية دلالية يظهر فيها انسجامه. وعدّه أداة إجرائية حدسية تقارب بها البنية الكلية للخطاب[2]. وليتمكّن القارئ من بناء موضوع الخطاب "البنية الكلية"، لا بدّ من أن يسلك عمليات معيّنة؛ من ذلك مثلاً عدم إمكانيّة حذف أي قضيّة مهما افترضنا أنّها ثانويّة. وهذا من شأنه أن يؤدي إلى تصور بنية دلالية جيدة للبنية الكلية. لكن تجاوز بعض المعلومات يؤدي إلى اختزال ما يمكن أن نربط به بين المعلومات التي تصل النتائج بالأسباب. وتعدّ عملية التعميم البسيطة التي تتجاوز المعلومات الأساسية عملية مرتبطة بالوصول إلى العام انطلاقاً من الخاص[3].

---

[1] . خطابي، محمد. لسانيات النص. ص ٤٠- ٤١

[2] . المرجع السابق. ص ٤٤ و البطاشي، خليل. الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب. ص ١٥٨

[3] . خطابي، محمد. لسانيات النصّ. ص ٤٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

بهذه العمليات يستطيع المتلقي أن يجمع المعلومات الواردة في الخطاب، ليحدد ما هو مطلق وما هو نسبيّ في الخطاب، ويستطيع أن يبحث في البنى اللغوية للخطاب؛ لتتجلّى البنيات الكلية[1].

إنّ لكل خطاب بنية كلية ترتبط بها أجزاء الخطاب، فيستطيع المتلقي الوصول إلى البنية الكلية عن طريق الأجزاء الصغرى عبر عمليات مختلفة تشترك جميعها في سمة الاختزال[2].

لا تحدث بنية الخطاب الكلية ووحدته إلا بوجود تفكير مجرد، و يكشف المتلقي عن الوحدة الكلية عن طريق تأويله لأجزاء الخطاب، ومن ثمّ إذا كان باستطاعته أن يقف على وحدة الخطاب الكلية عن طريق دراسة الأجزاء الصغرىفإنّ بمقدرته أيضاً أن يبين مواضع أدب الخطاب وصيغه الدالة عليه في الخطاب ذاته. وأنّ يبيّن الغايات المنشودة التي أرادها المرسل.

ونجد أن العبء الأكبر يقع على عاتق المتلقي الذي سيكشف عن جمال أدب الخطاب في نصّ ما، عندما ينظر هذا المتلقي إلى ما وراء الكلمات والوحدات الصوتية الصغرى، فيبحث في مكوناتها؛ ليصل إلى أنماط لغوية راقية تعبّر عن تفكير متميز من قبل مرسل الخطاب، كما تكشف عن النمط التفكيري عند متلقيه الذي استطاع الكشف عما كان يجول في عقل المرسل من إيحاءات رمزية لم يصرح بها، وإنّما تركها ليكشف عنها هذا المتلقي.

---

[1] . خطابي، محمد. لسانيات النص. ص ٤٥ – ٤٦.

[2] . المرجع السابق. ص ٤٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

• الانسجام: مظاهره ووسائله

الانسجام أعم من الاتساق وأعمق منه، حيث يتطلّب من المتلقي أن يوجه اهتمامه نحو العلاقات الخفية التي تنظم الخطاب وتولّده. ومن ثمّ فهو أعمق من الاتساق بمعنى أنه يتجاوز رصد المحقّق (الاتساق) إلى الكامن (الانسجام) باستخدام مختلف المفاهيم في معالجة موضوع الخطاب، والبنية الكلية والمعرفة الخلفية[1]، وصار من المؤكد أن محلل النص (الخطاب) ينطلق من القضية التي يعالجها الخطاب، ويربط مظاهر ووسائل تماسك النص بتلك القضية، حتى يصل إلى الحكم على الخطاب بانسجامه أو عدمه.

تعمل عناصر الاتساق على تكثيف انسجام الخطاب وتماسكه، فالاتساق هو المرحلة الأولية للانسجام، وهو الأداة المستخدمة في عملية الكشف عنه. غير أن الكشف عن اتساق الخطاب وانسجامه من أهداف لسانيات النص التي تظهر جلية في إحصاء الأدوات والمظاهر التي تسهم في تحليل الخطاب، وإبراز أثر الروابط في الاتساق والانسجام. فدراسة الروابط من أهم أهداف لسانيات النص، وعند الوقوف على العناصر اللغوية مجتمعةً أثناء عملية التأويل نستطيع أن نتبين مواطن الجمال في الخطاب؛ علماً أنّ أدب الخطاب يمثّل قمة النشاط العقلي الذهني المركب للمرسل والمتلقي، فألفاظ وتراكيب أدب الخطاب ألفاظ خاصة تمّ انتقاؤها لتلائم هذا النموذج الذهني الراقي.

---

[1] . خطابي، محمد. لسانيات النص. ص ٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

• مبادئ الانسجام

إن الانسجام في الخطاب لا يكون ظاهراً، وإنّما ينبغي على المتلقي البحث عنه داخل النص. فالخطاب المنسجم هو نصّ قابل للفهم والتأويل؛ فهو لا يشتمل مقومات الانسجام في ذاته، وإنّما المتلقي هو الذي يضفي عليه الانسجام والتناسق التام بالاعتماد على عددٍ من المبادئ الآتية:

- **السياق وخصائصه**

إن السياق الذي يظهر فيه الخطاب بعناصره المجتمعة من مرسل ومتلق وزمان ومكان، يؤدي وظيفة مهمة في تأويل الخطاب، فإذا ظهر قول واحد في سياقين مختلفين أدى ذلك إلى تأويلين مختلفين له. وفي رأي "هايمس" أنّ السياق له وظيفة مزدوجة في حصر التأويلات الممكنة ودعم التأويل المقصود. فالخطاب القابل للفهم والتأويل قابل لأن يوضع في سياقه المراد. فلا نستطيع الإلمام بمعنى السياق ما لم نفهم معناه. فالسياق له أثر كبير في تواصلية الخطاب وانسجامه[1].

- **التأويل المحلي**

يقصد بالتأويل المحلي عدم إطلاق العنان للتأويل.إنّ التأويل المحلي يطالب المتلقي بعدم إنشاء سياق أكبر مما هو ضروري لضمان فهم صحيح لخطاب ما[2]. وهذا يعني تقييد الطاقة التأويلية لدى المتلقي باعتماده على خصائص السياق[3]. وكلما كانت هذه الخصائص واضحة، فإنّها تساعد الباحث على تكوين تصور كافٍ يسمح له بفهم صحيح لغرض

---

[1] . خطابي، محمد. لسانيات النص. ص٥٢ – ٥٦

[2] . براون ويول. تحليل الخطاب. ص ٩٧

[3] . خطابي، محمد. لسانيات النص. ص ٥٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخطاب[1]، إنّ معرفة المتلقي بالعالم، وتجربته هي التي تساعده على فهم اللغة التي يتعامل معها، وتمكنه من الحكم على المقصد الذي يهدف إليه الكلام[2].

يتعلّق هذا المبدأ بكيفية تأطير عملية التأويل عن طريق تحديد المدة في تأويل مؤشر زمنيّ ما، وتحديد ألفاظ المكان وأسماء الأشخاص. فعملية تأويل المتلقي للخطاب ليست عملية عشوائية، فهي منظمة بضوابط محددة. ومن ثمّ يتحقق انسجام الخطاب بالاعتماد على مبدأ التأويل المحلي؛ حيث يعمد المتلقي إلى البحث عن دلائل وإشارات داخل الخطاب تسهم في عملية التأويل لمختلف أجزائه[3].

- **التشابه**

قد يتشابه خطابان أو أكثر، وبنسبٍ متفاوتة. فإذا كانت المضامين مختلفة والتعابير مختلفة أيضاً، فإنّ الخصائص النوعية تبقى كما هي قليلاً ما تتغيّر. فالمتلقي يوظّف خبراته السابقة وخلفياته المعرفية في قراءة خطابات معينة، وتشابهها المفترض مع خطابات أخرى. وهذا يجعله قادراً على تأويل الخطاب باعتماده على الخبرة السابقة، والقدرة على التوقّع في قراءة الخطاب الجديد، حيث تخرج قراءة الخطاب منسجمة. ويعدّ مبدأ التشابه والتأويل المحلي من أسس افتراض الانسجام في الخطابات[4].

---

[1] . براون ويول. تحليل الخطاب. ص ٩٩

[2] . المرجع السابق. ص ٩٩

[3] . خطابي، محمد. لسانيات النص. ص ٥٦ و البطاشي، خليل. الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب. ص١٦١

[4] . المرجع السابق. ص ٥٨ – ٥٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

- **الغرضية:**

سبق أن ذكرنا أن الخطاب ينتظم على شكل متتاليات من الجمل لها بداية ونهاية. هذا من شأنه أن يعمل على التحكم في تأويل الخطاب. فالجملة الأولى ستؤثر في الجملة التالية لها، وفي الفقرة وفي الخطاب بأكمله، وسيؤثر ذلك في عنوان الخطاب أيضاً أو نقطة البداية فيه.

الغرضية هي أساس المحتوى الموجود في الخطاب. وقد يكشف عنوان الخطاب ذاته أو الجملة الأولى فيه عن الغرض، حيث يبحث في العلاقة بين ما يدور في الخطاب وأجزائه، وبين عنوانه ونقطة البداية فيه. إذ كثيراً ما يتحكّم العنوان في تأويل المتلقي وكثيراً ما يؤدي تغيير عنوان خطاب ما إلى تأويله وفقاً للعنوان الجديد[1].

ترى الباحثة أنّ السياق يعدّ من أكثر مبادئ الانسجام أهمية في الكشف عن أغراض الخطاب ذلك أن المرسل يودع ما يريده في سياق معين، ويسعى المتلقي من جانب آخر ليبحث في هذا السياق. فإذا استطاع المتلقي أن يفهم هذا السياق ، تمكّن من تأويل نص الخطاب والكشف عن درجة الانسجام فيه، وبيان أهداف هذا الخطاب وعليه، إذا استطاع أن يحصر أهدافه سيكون في مقدوره بيان مواضع الحسن اللفظي والفعلي فيه التي تنمّ عن أدب عقلي محكم السبك. وهذا لا ينفي عن بقية المبادئ أهميتها في تأويل الخطاب وانسجامه، إلا أنّ السياق يؤدي وظيفة بارزة في هذا المجال.

---

[1] . خطابي، محمد. لسانيات النص . ص ٥٩ – ٦٠ و البطاشي، خليل. الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب. ص ١٦٢

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

• الجملة وعلاقتها بلسانيات النص

تشغل الجملة حيزاً ملحوظاً في البحث اللساني التقليدي، وقد حاول علمـاء اللغـة حصر مفهومها؛ لأنها تمثّل نواة النص وأساسه، فالعلاقة بين النص والجملة علاقة متشابكة، إذ إنّها تعمل على ترجمة أهداف الموضوع، كما أنّها ذات دلالة جزئية فيه فالصلة بينهمـا وثيقة جداً. إلا أنّ الجملة باعتبارها جملة مفردة ليست كافية لكل مسائل الوصف اللغوي، إذ لابدّ من أن يتجه الوصف في الحكم على وحدة الجملة من وضعها في إطار وحدة كبـرى في النص، فهي ذات دلالة جزئية فيه. ولا يمكن أن تقرر بالتحديد الدلالة الحقيقية لكلّ جملة داخل ما يسمى بكلية النص إلا بمراعاة الدلالات السابقة والتالية في التتابع الجملي[1].

تسهم الجمل الأخرى في النصّ في فهم كل جملة؛ لكنّ الجملة وحدها لا تحدد المعنى الكلي للنص، وإنما يتحدد المعنى من تضامن أجزاء النص وتآزرها. فالوحدات الـصغرى الفعلية(الجمل وأجزاؤها) تشكّل البنية الكبرى التجريدية التي تـشكّل التماسـك النـصي، والتماسك الكلي بين وحدات النص الكبرى يؤدي إلـى التماسـك الجزئـي بـين الجمـل والمتواليات الجملية، فتحليل الخطاب يعتمد على رصد أوجـه التـرابط والانـسجام بـين الوحدات الصغرى والبنية الكبرى التجريدية[2].

إنّ الجملة من مكونات النص المباشرة، والنواة الحقيقية له. وما نحو النص إلا امتـداد لنحو الجملة؛ لأنها تمثل نقطة الانطلاق لكل أجزائه، وأول معلم من معالمه.

إلا أنّ الجملة تخضع لقواعد معيارية افتراضية، لذا لم يعد نحو الجملة قادراً على تفسير بعض الظواهر على قدر كافٍ؛ لأنه يستخدم العناصر والأدوات اللغوية في عملية التحليل؛

---

[1] . بحيري، سعيد. علم لغة النص. ص١٣٠ -١٣٣

[2] . المرجع السابق. ص١٣٤ - ١٤٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لذا واجه نحو الجملة بعض المعارضة لقصوره عن تفسير بعض الظواهر، فكان نحو النص هو البديل المناسب لتميّزه بفضاءات أوسع في التحليل؛ ولأنه لا يعتمد العناصر والأدوات اللغوية فقط أثناء عملية التحليل، وإنّما يستخدم باقي مستويات اللغة في تحليله للنصوص، وبذلك فإن علم النص يعدّ الوحدة الكبرى، في حين إنّ الجملة تمثّل الوحدة الصغرى في النصوص[1].

"فالنص يحتوي الجملة وما يفوقها وما هو دونها[2]"، ويرتكز في مستواه الأول على الجملة، ولكنّه يتعداها بوصفه وحدة كلية مترابطة الأجزاء لا يسمح بوجود مستقل لعناصره[3]. إنّ التحوّل من نحو الجملة إلى نحو النص أدى إلى الاعتداد بالمتلقي؛ لأنه هو الذي سوف يحكم على انسجام النص اعتماداً على تأويله للخطاب[4]؛ باستخدام آليات تحليل نصية تركيبية وتداولية ومقصدية ومقبولية للنص، وتعدد المعاني لدى المتلقي.

ومن وجهة نظر الباحثة فإنّ نحو الجملة هو المنطلق الأول لنحو النص، ولولا الجملة لما قام النص، ولما تكوّنت مظاهر الانسجام والتماسك فيه. فبالجملة نتبين مواطن الجمال وأدب الخطاب الذي يمثّل نموذج التفكير الأرقى والأسمى، فهذا السلوك الذهني المتميّز هو قمة النشاط العقلي ولا بدّ أن يعبّر عنه بالجملة.

وتكون الجملة النص هي النواة، وكل الجمل المتتابعة بعدها تدور في فلكها، وتوسّع مدارها. كما في قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ (الآية ٧) فهذه الآية الكريمة هي التي تمثل نواة سورة يوسف وموضوعها.

---

[1] . الزناد، الأزهر. نسيج النص. ص ١٧-٢٠

[2] . نقلاً عن المرجع السابق. ص١٦

[3] . بحيري، سعيد. علم لغة النص. ص١١٩- ١٢٠

[4] . خطابي، محمد. لسانيات النص. ص٥١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لذلك يمكن أن تعدّ الجملة النص في هذا النص القرآني، وعندئذ يجب على المتلقي أن يبحث في مدارات هذه الجملة ليتبيّن مكنونات هذا الفضاء الرحب. وهذا لا يتناقض مع كون الجملة تخضع لقواعد معيارية ومن أظهر صور معياريتها أنّه عندما يتم التغير التركيبي في الجملة تحدث تغيرات في الصوت والصرف. وتصوّر حدوث هذه التغييرات يوسّع دائرة النص الذي بدوره يحمل سمات اتصالية وتداولية ودلالية وأسلوبية لا تظهرها الجملة؛ فكان لا بدّ من وجود علم لغة خاص بالنص؛ ليجمع الجانب التداولي ودور المتلقي والموقف والمقام ونوع المعلومة وكيفية التواصل.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الرابع:

مفهوم أدب الخطاب

يعدّ أدب الخطاب بنية لسانيّة تجريديّة مبتكرة، تتجاوز تسلسل الجمل إلى أبعد من ذلك، فكان من الضروري إيجاد تعريف يتوافق مع مفهوم أدب الخطاب من جوانب عدة:

- **مفهوم أدب الخطاب من جانب عقلي**

أدب الخطاب نظام لغويّ تقوده العمليات العقلية العليا، ويحتفظ بلغة متجانسة خاصة ذات نموذج لغوي راقٍ، وله طرق خاصة في التعبير بواسطة العلاقات اللغوية المكونة له. فأدب الخطاب نظام تجريديّ عمليّ يتكامل بترابط العلاقات اللغوية كافة، فأدب الخطاب أنساق لغوية خاصة تؤدي مفاهيم وأفكاراً تمثّل التفكير الأعلى في السلوك الفكري، ومن ثمّ فهو نموذج ذهني متميز يكشف عن قدرة منتج الخطاب، وقدرة المتلقي الذي يعمل على تأويله. وهو كذلك نشاط مركب متعدد الاتجاهات يرتبط بمنتج الخطاب والمتلقي والرسالة التي تتضمن ثمرات السلوك العقلي، حيث تخضع هذه الرسالة لعملية التأويل من قبل المتلقي فيظهر الخطاب منسجماً.

- **مفهوم أدب الخطاب من جانب لساني**

أدب الخطاب من وجهة نظر لسانية لغة إبداعية متميّزة، يستطيع المتكلم السيطرة عليها عند استعمالها لإيصال رسالة إلى المتلقي، باستخدام آليات أخرى من أدب الخطاب تتسم بالإيحاء والرمز، وتكون هذه اللغة ذات عناصر مترابطة، تتميّز بقدرة عالية على التعبير بدقة عما يدور في ذهن المرسل. ومن المعلوم أن لكل عنصر من العناصر اللغوية وظيفة في إعطاء دلالات مختلفة، يتوصل إليها المتلقي عن طريق عملية التأويل للبنى العميقة في

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخطاب لفهم أبعاده الجمالية. ويعد مبدأ التفريق بين البنية العميقة والبنية السطحية واحداً من أهم الأسس التي يمكن الإفادة منها في دراسة أدب الخطاب.

إنّ النظام اللغوي العام الموجود في الخطاب، تكمن وراءه ظواهر لغوية مختلفة تقتضي النظر فيها، ثمّ البحث في خصوصياتها وصولاً إلى خصوصية أدب الخطاب فيها، ومعرفة الخصائص اللغوية التي يتميّز بها عن لغة الخطاب العادي[1]، فأدب الخطاب أقدر على انتقاء اللغة أكثر من الخطاب ذاته؛ لأنّ أنساق الخطاب كما أسلفنا عامة أمّا أنساق أدب الخطاب فإنها أنساق إبداعية خاصة.

- **الوظائف الاجتماعية لأدب الخطاب**

لأدب الخطاب وظائف اجتماعية تهدف إلى التواصل، وإحداث التأثير المطلوب، ولذلك يعمل على انتقاء ألفاظه بما يناسب المواقف الاجتماعية ويليق بها، وبما يمثّل رقي التفكير الإنساني الذي يعمد إلى استحضار الإمكانات العقلية في إحداث التفاهم بين المتخاطبين واستيعابهم.

أدب الخطاب الاجتماعي يوسّع دائرة التفاهم ويبثّ في المجتمعات الإنسانية المودة، والقدرة على التواصل والتفكير المتعمّق بحيث يستطيع المرء تأويل ما حوله تأويلاً إيجابيّاً، واستخلاص النتائج التي تكون في صالح الفرد والجماعة.

[1] . استيتيّة، سمير. منازل الرؤية. ص٢٢ – ٢٣

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الفصل الثاني

دوافع الخطاب ومظاهره اللسانيّة

- مدخل
- المبحث الأول: الدوافع النفسية للخطاب
- المبحث الثاني: الدوافع الاجتماعية
- المبحث الثالث: المظاهر اللسانية

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مدخل

يهدف هذا الفصل إلى دراسة عدد من الموضوعات ذات الصلة بأدب الخطاب، والوقوف على أهم الدوافع النفسية والاجتماعية وبيان دور هذه الدوافع في إنتاج أدب الخطاب. إضافة إلى مناقشة عدد من المظاهر اللسانية الواردة في سورة يوسف عليه السلام.

وقد قسّمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث تناولت في الأول منها: الدوافع النفسية للخطاب كدافع التفوّق والنجاح، وتجنب الشرّ والسوء والأذى، والتعويض، والحفاظ على عفّة النفس. أمّا المبحث الثاني فقد اشتمل على الدوافع الاجتماعية، وقد ناقشت فيها التكيف الاجتماعي من زوايا مختلفة، بالإضافة إلى التكامل والترابط الاجتماعي.

أمّا المبحث الثالث فقد اشتمل على أهم المظاهر اللسانية الواردة في السورة، ومن أبرز هذه المظاهر التصعيد، والترتيب، والإحالة، والألفاظ النسقية.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الأول:

الدوافع النفسية للخطاب

سأتحدث عن الدوافع النفسية للخطاب بوصفها المحرك الأساسي للسلوك الإنساني، ثم أوضح هذه الدوافع في السورة. وسأتبع ذلك بالمظاهر اللسانية التي تتجلى فيها هذه الدوافع. وفي النهاية سأتحدث عن تجليات أدب الخطاب في هذه المظاهر.

الدافع النفسي إما أن يكون دافعًا واعيًا مُدركًا، وبذلك يكون دافعًا مباشرًا، بمعنى أننا نستطيع أن نتلمّس مظاهره في حياتنا على نحو واضح لا يحتاج إلى جهد كبير في تقديره والوصول إليه. وإما أن يكون دافعًا غير مُدرك، لكنه يكون في أعماق الإنسان، ويعمل على توجيه سلوكه. وهو في هذه الحالة يكون دافعًا غير مباشر؛ لأننا لا نستطيع أن نقف على أبعاده بصورة مباشرة. لكننا نستطيع أن نتوصل إليه بمراقبة تصرفات الإنسان وسلوكه، وربط خفيّها بظاهرها.

الدوافع النفسية في سورة يوسف كثيرة، حتى إنها تظهر في معظم الأحداث التي ترويها السورة الكريمة. من هذه الدوافع ما يأتي:

١. دافع التفوق والنجاح

يظهر هذا الدافع واضحًا جليًا في بداية أحداث السورة، ويستمر في الظهور حتى آخر أحداثها. يقول الله عزّ وجل ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (الآية ٤).

هذا الدافع من النوع غير المباشر، فقد أرادت عناية الله عزّ وجلّ أن يكون ليوسف دافع من أعماق نفسه يدفعه إلى النجاح والتفوق، فرأى هذه الرؤيا في منامه. وعندما يرى

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

غلام في مقتبل عمره رؤيا كهذه، فإنها توقظ جانب النجاح والتفوق في أعماق نفسه، وتظل توجّه سلوكه حتى يحدث تأويل الرؤيا في الواقع. فكيف إذا كان هذا الغلام من بيت النبوة صدّيقاً من صدّيق من صدّيق كما وصفه النبي عليه الصلاة والسلام؟

ويظهر هذا الدافع في مواطن أخرى في السورة، منها أنه لما كان يوسف عليه السلام في السجن عرّف بنفسه بما يظهر نعمة الله عليه في تأويل الأحاديث، فقال لصاحبي السجن: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ﴾ (الآية ٣٧)، ثم صدّق ذلك القول بما أخبرهما به من تأويل رؤيا كل واحد منهما.

وقد أراد عليه السلام أن تظهر هذه النعمة ليستفيد منها الناس، وبدأ دافع النجاح والتفوق يظهر بوضوح. ولذلك قال للذي نجا منهما كما تروي الآية: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ (الآية ٤٢) ثم أراد أن يكون هذا النجاح ترجمة عملية في خدمة الأمة والناس أجمعين: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (الآيتان ٥٤ – ٥٥).

٢. تجنّب الشرّ والسوء والأذى

لما كان الإنسان عرضة لشرّ الآخرين وأذاهم، ولما كان الإنسان بطبعه ضعيفاً أمام القوى المختلفة، كان الدفاع عن النفس من أهم الدوافع النفسية وأظهرها في الحفاظ على حياة الإنسان، وتنفيذ حاجاته وتلبية طلباته.

يظهر هذا الدافع واضحاً في مواطن متعددة في السورة الكريمة. ولعل ما يمكن أن يدفع الأذى عن الإنسان في مقتبل عمره أن يسمع النصيحة من والديه ومن يتولى توجيهه

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وتعليمه. ولذلك عندما قصّ يوسف القصةَ على أبيه عليهما السلام قال له أبوه عليه السلام:

﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ (الآية ٥).

والوالدان هما أكثر من يخاف على الأطفال من الشرّ والأذى. وفي هذه السورة يظهر قلق الوالد على ابنه وخوفه من أن يناله أذى حين قال لأبنائه:﴿إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴾ (الآية ١٣).

الحسد من أسوأ الصفات النفسية في الضعفاء. وقد يدفع صاحبه إلى أن يؤذي من يحسده. والحديث عن الحسد ظاهر في السورة باعتباره دافعاً من دوافع السلوك. يظهر هذا الدافع في تصرفات إخوة يوسف:﴿ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا ﴾ (الآية ٨) ويظهر في الأحداث الأخيرة في السورة عندما قال لهم أبوهم عليه السلام: ﴿ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ ﴾ (الآية ٦٧).

٣. التعويض

يقصد بالتعويض سلوك يفعله الإنسان يعوّض به عن نقص يعاني منه، وإحساس بعدم القدرة على النجاح والإبداع يملأ عليه حياته. وقد يحسّ صاحب السلوك التعويضي أنه يفعل ذلك عن شعور بالنقص، وقد لا يحسّ. وفي الحالين فإنه قد ينتقص من قدر من يحس أنه أحسن منه. وقد يعزو إلى غيره عدم تفوقه وعدم قدرته على أن يكون في مستوى الطرف الآخر. وهذا واضح في السورة بجلاء.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لقد كان إخوة يوسف يحسّون بتفوقه عليهم. ولكنهم بدلا من أن يغبطوه على هذا التميز صبوا جام غضبهم على حب أبيهم ليوسف، تقول الآية الكريمة:﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (الآية ٨). لقد وصفوا أباهم بأنه في ضلال مبين، وليس هناك عقوق أكبر من أن يصف الأبناء أباهم الذي يعلمون أنه نبي يوحى إليه بأنه في ضلال مبين. لقد نظروا إلى التميز الذي يمكن أن يكون فيهم فلم يجدوا إلا شيئاً واحدًا وهو﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾. وكونهم عصبة لا يعني أنهم أصبحوا متميزين، فالعصبة قد تكون عصبة خير، وقد تكون عصبة شرّ. وقد ترجموا هم أنفسهم كونهم عصبة ترجمة عملية، ولا يظهر من سلوكهم إلا أنهم أرادوا أن يكونوا عصبة تضمر الشر لأخيهم.

وقد أظهرت السورة هذه العصبة على ما اقترفته من فعل يخلو من الرأفة والشفقة، على طفل يحتاج إلى رعاية من هم أكبر منه، بغض النظر عن كونه أخاهم، فكيف إذا كان أخاً لهم عُهد إليهم بأن يحافظوا عليه من كل مكروه؟ هذه العصبة (التي افتخرت بأنها عصبة) تصفهم الآية الكريمة بالخوَر الذي لا تستحي عصابة السوء أن تفعله، جاؤوا يبكون، تقول الآية الكريمة ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾ (الآية ١٦).

٤. الحفاظ على عفة النفس

لا يظهر في كتب علم النفس الغربيّ أنّ الحفاظ على العفة يمكن أن يكون دافعًا من الدوافع النفسية للسلوك. ولكنّ العفة من أهم دوافع السلوك في مجتمع العفة والطهارة، وهي كذلك بكل تأكيد في بيت النبوة. لقد ظهر هذا الدافع في سلوك يوسف عليه السلام،

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

حين راودته امرأة العزيز عن نفسه فقال: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (الآية ٢٣) وظهر حين قال عليه السلام فيما ترويه الآية الكريمة ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (الآية ٣٣).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الثاني:

الدوافع الاجتماعية للخطاب

أولاً: التكيف الاجتماعي

إن التكيف الاجتماعي هو توطين النفس مع الظروف المحيطة بحيث يكون الإنسان قادراً على التأقلم معها بما يتلاءم مع واقعه النفسي والقيمي. والتكيف الاجتماعي: هو إقامة علاقات طيبة تكون قائمة على المودة والتسامح والحلم والتماس الأعذار للآخرين، فالتكيف الاجتماعي يقودنا إلى إتقان لغة الحوار والتواصل بين الأوساط، والارتقاء باللغة حتى الوصول إلى أدب في الخطاب. إنّ جميع العناصر التي يتألف منها التكيف الاجتماعي تسهم في خلق لغة حوار وتواصل راقية تنسجم مع جوهر تلك العناصر ومنها:

١. التودد

إن التودد أحد عناصر التكيف الاجتماعي المتعددة، ويعدّ عنصراً بارزاً في إقامة علاقات تتسم بالتميّز، فالتودد إلى الناس يكون ضمن عوامل أساسية: المحبة القلبية والتوجه الذاتي إلى الآخرين، والإحسان وحسن التعامل مع الآخرين في الخطاب والحوار والتواصل. حيث يكون التودد عنصراً هاماً في إنشاء أدب خطاب بأساليب لغوية مختلفة. وأن المخاطِب يستخدم هذا اللون في خطابه، لأجل غايات في نفسه يهدف إلى تحقيقها، وإيصال رسالته إلى المخَاطَب كما يبغي.

يؤدي التودد إلى جلب العطف والرقة. فهو خطاب عاطفي يثير المشاعر، ويحرّك العواطف، ويستميل النفوس، وقد اشتملت آيات سورة يوسف على قدر عظيم من التودد. من ذلك ما جاء في قوله تعالى:﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ﴾ (الآية ٥)، فالنداء

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

والتصغير في قوله: "يَٰبُنَيَّ" يصوران تودده إلى ابنه وحرصه عليه. وهو في الوقت الـذي ينصح فيه ابنه ينهاه عن أن يقصّ خبر رؤياه على إخوته، وفي هذا درس من النبي الـودود لابنه، يعلّمه فيه كيف يكتم أسراره، ولا يبوح بها حتى لإخوانه كي لا يتمكّن الشيطان من أن يفسد بينه وبين إخوته.

ويظهر في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الآية ١١- ١٢) أنّ أبناء يعقوب عليه الـسلام قد عمدوا إلى التودد إلى أبيهم ليظفروا بمرادهم فعن طريق الاستفهام التعجبي يجري مخاطبة يعقوب عليه السلام صراحة[1]. إن النداء والاستفهام قد عملا علـى اسـتمالة الأب وإقناعـه بالحرص على مصلحة أخيهم، ولأنهم يعلمون مدى حرص أبيهم على مصلحته، فقد سارعوا إلى الإقناع ومحاولة التأثير، لإغراء يعقوب في تمكينهم من يوسف، فالتودد بـالتقرب إلـى والدهم وإظهار الحرص على مصلحة أخيهم قد انبثق عن حقدهم وحسدهم ليوسـف، الـذي أرادوا التخلّص منه. فعلى الرغم من أن غايتهم التخلّص من يوسف فقد أظهروا الودّ لأبيهم.

إنّ التودد ظاهر في قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ (الآية ٣٣) فقد ظهر في دعوة يوسف ربه باسـم الربوبية اعترافاً بفضله سبحانه، وتقرباً إليه؛ لأنه هو جَلّ وعلا مَنْ ربّاه وتعهّده ورعاه؛ وهو هنا يدعوه باسم الربوبية ألاّ يتخلى عنه في هذا الموقف. فيوسف عليه السلام يعرف أنه من البشر؛ وإنْ لم يصرف الله عنه كيدهُنّ؛ لاستجاب لغوايتهن، ولأصبح من الجاهلين الـذين لا

---

[1] . باجودة، حسن محمد. الوحدة الموضوعية في سورة يوسف. ص ١٥١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يلتفتون إلى عواقب الأمور[1]. كما أنّ في الشرط توسلا ورجاء فإن لم يتلطف به في اجتناب المعصية وقع فيها، فتلطف له في ذلك ﴿ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴾[2]

نلمح في قوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(الآية ٤٦) قدر كبير من التودد؛ فهو أولاً يناديه باسمه "يوسف" ، ثمّ إنه يصفه بالصّدّيق، وهي صيغة مبالغة أراد الرجل بها أن يظهر إحدى صفات يوسف، ولكنه أراد كذلك أن يتودد إليه ليكون حظيّاً عنده

تشير هذه الآية إلى مكانة يوسف عند الملك، حيث يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾(الآية ٥٤). فلما ظهر للملك براءة يوسف، وتبين علمه في تفسير الرؤيا وحكمته، و تبينت له كرامته وإباؤه، فقد وقف وقفة الرجل الكريم المتهم في سمعته يطلب رفع الاتهام عن سمعته، فزاد إجلال الملك له، ولمّا كلمه تحقق له صدق ما توسمه فيه. فإذا هو يطمئنه على أنه عند الملك ذو مكانة وفي أمان. فهو مكين أمين[3]. وتلك المكانة التي أعطاه إياها الملك لم ينلها إلا بعد إعجابه بأمانته ونزاهة حاله فاصطفاه لنفسه.

ويظهر التودد في قول الملك: ﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ حيث حظي يوسف بمكانة عظيمة عند الملك، فتودد الملك قد جاء لإعجابه بعلمه وحكمته وكبريائه، فهذه

---

[1] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج١١، ص ٦٩٤٤

[2] . النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل. إعراب القرآن. ج٢، ص ٣٢٨

[3] . قطب، سيد. في ظلال القرآن. مج٤، ص ٢٠٠٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الخصال هي التي دعت الملك لأن يصمّم على تقريب يوسف من نفسه، فالعالم والحكيم الذي يمتلك حكمة وعلماً نافعاً يكون محل إعجاب الناس وتقديرهم، حيث يعترفون لـه بالفـضل عليهم ويحاولون التقرب إليه. وتزداد هيبته بإبائه فلا يملك كلّ من حوله إلا أن يتقرب إليـه ويتودد له؛ كي ينال شرف الفوز بصحبته.

إنّ من تمام أدب خطاب التودد في مخاطبة الملك يوسف عليه السلام مؤكّداً تقريبه منـه وتمكينه والوثوق في أمانته وعلمه، يدلّ على المكانة العظيمة ليوسف في نفـسه، واقتناعـه بنزاهته، فقد أراد من هذا الأسلوب التوددي أن يكلّف يوسف بعمل عظيم؛ لأنّه مثل أعلى في الأمانة، وهذه الأمانة لا يقوى على حملها إلا من كان أهلاً لها، ولذا لابدّ من إظهار المودة له ليبين هذه المكانة التي تفرّد بها.

ويظهر التودد بالنداء في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الآية٦٣) عندما أدرك أبناء يعقوب حجم المشكلة التي يواجهونها، أقبلوا عليه بنداء الاستعطاف والتودد لنيل حاجتهم، فالتودد هنا يشفّ عن أدب خطاب الأبناء إلى أبيهم فهم يحاولون الوصول من خلاله إلى الغايـة التـي فـي نفوسهم، فعند التودد وإظهار الضيق ستتحرّك عاطفة الأب، وذلك يجعل في مقـدرتهم بـثّ همومهم التي تؤرقهم إلى والدهم، وبالتودد إليه فإنه لن يبخل عليهم بحلّ مـشكلتهم، وتـرى الباحثة أن رجوع الأبناء إلى أبيهم يبين مدى صلاحهم، وثقتهم برأيه الذي يستنيرون به. فلا يلجئون إلا إليه ليحلّ لهم ما يعترضهم من مشكلات.

وقد جاء التودد هنا لإشعار الأب بحجم المشكلة التي يواجهونها، وأنّ الحلّ عنده كـأنهم أرادوا أن يلقوا بمسؤولية ما يحدث لهم على عاتق والدهم، ليقينهم بأنه يعلم مـن الله مـا لا

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يعلمون. فسوف يعلم صدق نواياهم، ولن يظنّ بهم ظنّ السوء، لأن لهفتهم ظاهرة وبادية على وجوههم بدليل اندفاعهم في إظهار الغاية التي جاؤوا لأجلها.

و يتضح في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(الآية ٦٩) أنّ إدناء وتقريب يوسف عليه السلام لأخيه، جاء من أجل أن يتمكن من الإسرار إليه بقوله: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا أَخُوكَ ﴾[1]. إنّ التودد ظهر في إيواء يوسف لأخيه عند دخوله، وهذا يبيّن مدى اندفاع العاطفة الأخويّة التي جعلت يوسف يظهر المودة إلى أخيه في لحظة دخوله وإيوائه، وأنّ التأكيد بضمير الفصل بأنه أخوه جاء لأجل بثّ الألفة في نفس أخيه، وليشعره بالارتياح والاطمئنان إليه، وفي خطاب يوسف عليه السلام أدب عظيم، حيث إنه بهذا الخطاب قد كسب ودّ أخيه، وذلك يسّر عليه ما خطط له من استبقاءٍ له عنده.

وتستنتج الباحثة أن يوسف عليه السلام قد أحسن التودد والتلطّف في خطابه لأخيه، فهذا الأدب الرفيع من يوسف، والذي يدلّ على خلقه العظيم استطاع من خلاله أن يبثّ الطمأنينة في نفسه. وينهاه عن الابتئاس مما مضى. فلقد كان التودد عنصراً إيجابياً في إنشاء أدب خطاب رائع يصف قمة الإنسانيّة في شخص يوسف عليه السلام فهو يقدر أهميّة الأمن والاستقرار النفسي في انتشار المحبة بين الناس، وإقامة علاقات طيّبة بينهم وبالتالي هذا يؤدي إلى التماسك الاجتماعي، وانتشار العلاقات والروابط والتوافق الاجتماعي.

---

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ٩٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فالتودد جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الآية٧٨)، حيث إنّ وصفهم لأبيهم بصفات تقتضي الترقيق عليه، وهي حنان الأبوة، وصفة الشيخوخة، واستحقاقه جبر خاطره لأنه كبير قومه، أو لأنه انتهى في الكِبر إلى أقصاه[1]؛ كانت مدخلاً للتودد ليوسف عليه السلام حتى يطلق سراح أخيهم.

إنّ تودد الإخوة ليوسف عليه السلام جاء في أرقى درجات أدب الخطاب، حيث بدؤوا بالخطاب العاطفي الذي يحرك المشاعر، ويظهر إنسانية المرء، فمحاكاة هذا الجانب العاطفي سيجعل يوسف عليه السلام يلين وينفذ لهم طلبهم، ولم يلجأ الإخوة إلى هذا الخطاب إلا لما أخذوه عنه من انطباع إيجابي وإحسانه إلى الآخرين، فكان هذا الانطباع مشجّعاً لهم ببث شكواهم إليه.

وتستخلص الباحثة أن الاستعطاف والتودد الذي لجأ إليه إخوة يوسف عليه السلام إنما يدلّ على إدراكهم لمكانة العزيز (يوسف عليه السلام)، كما أنّ له مكانة عظيمة في نفوسهم. فتوددوا إليه بالثناء على أخلاقه. واستخدامهم صيغة المضارعة "تراك" الدالة على الاستمرار أدب خطاب منهم مع يوسف عليه السلام. فهذا الأدب في خطابهم يجعل يوسف عليه السلام يدرك صدقهم، وأنّ مازال فيهم بذرة الخير، لكن أراد أن يعلّمهم درساً، ويشوّقهم إلى المفاجأة التي يعدّها لهم جميعاً؛ وليكون تأثيرها أعمق وأشد أثراً في نفوسهم.

إن النداء في قوله تعالى:﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾(الآية ٩٧) جاء إظهاراً للتودد؛ لأنهم أرادوا هنا الإقرار بالذنب، ويُخاطبون والدهم بنداء الأبوة كي

---

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ١٠٣

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يستغفر لهم ما ارتكبوه من ذنوب كثيرة، فقد آذَوا أباهم وجعلوه حزيناً، ولا يسقط مثل هـذا الذنب إلا بأن يُقِرَّ به مَنْ فعله[1]، وترى الباحثة أن التودد حدث لأجل الإقرار بالـذنب وهـذا دلالة على نقاء ضمائرهم، وصلاح نفوسهم، ويظهر أدب الخطاب جليّا في طلب الاسـتغفار من والدهم، فالتودد بالنداء هنا يفيض محبّة وحناناً وإحساساً عميقاً بالإساءة البالغة لوالدهم من جانبهم. فالأبناء أرادوا العفو والصفح من والدهم، ثمّ الاستغفار لهم من الله تعالى.

إنّ تقرّب يوسف وندائه لربّه في قوله تعالى:﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (الآية ١٠١) لأعظم أدب مع الخالق، حيث تقرب إليه بتودد ذاكراً نعمة الله عليه بتوجهه إلى مناجاة ربه بالاعتراف بأعظم نعم الدنيا والنعمة العظمى في الآخرة ، فذكر نعم الدنيا والآخرة عليه. فنعمة الدنيا الولاية في الأرض، ونعمة العلم. أمّا نعمة الآخرة فهي نعمة الدين الحق المعبر عنه بالإسلام[2].

٢. العفو عند المقدرة

إن العفو عند المقدرة من مقومات التكيف الاجتماعي، وهو من دوافع الخطاب المستقيم، حيث يطفئ نار الغضب والحقد، ويشيع المحبة والألفة بين الناس. والعفو هو الـستر، أي إنّ الإنسان يتغاضى عن أخطاء الآخرين، وهو قادر على الانتقام، وأن يُظهِر الإنسان البـشاشة في وجه أخيه المخطئ.

---

[1] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج١٢، ص ٧٠٧٣

[2] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ١٢١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يعدّ قول العزيز كما جاء في قوله تعالى:﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ (الآية ٢٩) إدراك لبراءة يوسف عليه السلام، فقد نادى يوسف باسمه تكريماً له، وطلب إليه أن يكتم هذا الأمر، وفي ذلك تبرئة له مما نسب إليه، وأمّا زوجته فإنه لم يسمها، وإنّما طلب منها الاستغفار لذنبها، وقد اكتفى العزيز بأن أمرها بالتوبة والاستغفار وطلب العفو من خالقها[1]، والتكفير عما اقترفته من إثم، فقد ترك شأنها لله عزّ وجل، وعفا عن معاقبتها.

إنّ عفو العزيز عن زوجته في تلك اللحظات التي تثير الغضب، لا يدلّ إلا على حلمه وسعة صدره عند الغضب، كما أنّ فيه بذرة صلاح، حيث أمرها بالاستغفار، دون أن يتعرّض لها بالإساءة. وهذا لا يصدر إلا عن حكيم مؤمن بعدالة إلهيّة، وأنّ الله يحاسب عباده على ذنوبهم، فقد تركها لخالقها ليدبّر أمرها. إنّ في خطاب العزيز ليوسف فيه أدب عظيم، فطلب العزيز من يوسف الإعراض عن هذا الأمر الذي فيه تنزيه ليوسف عما لا يليق به، يعدّ تكريما له، واعترافاً بنزاهته ونقاء خلقه، وأنّه أهل للاحترام.

إنّ العفو ظاهر في قوله تعالى:﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (الآية ٩٢)، فيوسف عليه السلام لم يؤاخذ إخوته ولم يؤنبهم، وقد عفا عنهم، وتركهم لله يتولاهم بالمغفرة وهو أرحم الراحمين[2]. إنّ إعراض يوسف عن لوم

---

[1] . العلمي، عبدالله. مؤتمر تفسير سورة يوسف. ج١، ص ٥٦٧ و نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٣٧٥.

[2] . قطب، سيد. في ظلال القرآن. مج٤، ص ٢٠٢٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إخوته وعتابهم لهو أكبر لوم وعتابٍ لهم، وهذا يؤثّر في نفوسهم تأثيراً عظيماً حيث يشعرون بعظم الذنب وبالخجل من نفوسهم من سوء ما فعلوه بيوسف في الماضي وكيف يقابلهم الآن.

وتستخلص الباحثة روعة وجمال أدب الخطاب في قول يوسف عليه السلام: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ حيث إن يوسف قد عفا عن إخوته دون لومهم أو معاتبتهم، واكتفى بالشعور الذي سيتسلل إلى نفوسهم، وهم يرونه يصفح عنهم، وقد فعلوا به ما فعلوه. فهو يعلم أنّ إخوته يتمتعون بضميرٍ حيّ فلا بدّ أن يؤنبهم ضميرهم، وأن هذا العفو سيكون هو العقاب الحقيقي لهم؛ لأنه سيشعرهم بالخزي والمهانة أمام نفوسهم.

إن يوسف قد صانَ إرثَ النبوة، بما فيها من سماحة وقدرة على العفو عند المقدرة. فلم يعمد يوسف إلى تجريح شعور إخوته، كما لم يستغل الضعف الشديد الذي كانوا عليه أمامه؛ بل عمد إلى رفع اللوم عنهم، والدعاء بأن يغفر الله لهم زلاَّتهم، وهو أرحم الراحمين. فانظر كيف قابل القائد العظيم الخطأ بالعفو، وكيف بدّل انفعالاتهم السلبيَّة الشديدة من خوف وخجل بالدعاء والاستغفار لهم؛ لتطمئن قلوبهم، وتسكن جوارحهم، مذكِّراً إيَّاهم برحمة الله، وهو أرحم الراحمين.

٣. التسامح

ترى الباحثة أنّ التسامح قيمة عظيمة من الواجب على الأفراد التحلي بها، لما له من أثر إيجابيّ في علاقات أبناء المجتمع بعضهم مع بعض، كما يعدّ أحد عناصر التكيف الاجتماعي الهامة التي تسهم في إنشاء تلك القيم الايجابية. حيث إنّ التسامح يُعدُّ خطاً حضارياً يقضي بمنح الآخرين حريَّة التعبير عن الآراء والأفكار التي تُغاير الآخرين، كما يَسمحُ بالعيش وفقاً للمبادئ والمعتقدات. فالتسامح وهو خُلق إنساني أصيل دعا إليه الإسلام؛ لأنه يرفع الحرج في

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

العلاقات بين الناس ويجعل الإنسان يترفع عن الكره والبغضاء وروح الثأر والانتقام، وهي صفات تفسد وتدمر الحياة البشرية على الأرض، وتقطع سبل التفاهم والتعاون بين الناس.

لقد اشتملت آيات سورة يوسف على قيم إيجابيّة عظيمة وعناصر هامة في بناء مجتمع متميّز، ومن بينها التسامح الذي ظهر في عدد من آيات السورة الكريمة حيث جاء على لسان ربّ العزّة عزّ وجلّ في قوله:﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ (الآية ٧٧). إنّ يوسف عليه السلام أسرّ التهمة في نفسه وتحملها ولم يظهر غضباً منها، وأعرض عن زجرهم وعقابهم مع أنها طعن فيه وكذب عليه[1]. فقد ضبط نفسه فلم ينفعل ولم يظهر تأثره بما قالوا، وتجرع مرارة اتهامهم ولم يبد الكراهية لهم امتثالاً منه لإرادة الله[2].

يظهر التسامح في إعراض يوسف عن زجر إخوته وعقابهم عند اتهامهم له بالسرقة. فهذا الخلق العظيم الذي تحلّى به يوسف عليه السلام يدلّ على سماحته، فأدب الخطاب نلمحه في إسرار يوسف لغضبه من اتهام الإخوة له، ودفع التهمة عن نفسه في سرّه. فأدب الخطاب هنا أنه آثر الصمت والحديث في نفسه على أن يوجّه إليهم ما يغضبهم، فهذا أعظم ما في الخطاب عند الغضب أن يصمت الإنسان ويعرض عن ردّ الإساءة بمثلها. ولكن هناك ما يشعرهم بعدم قبول هذا الاتهام ورفضه، فتعابير الوجه هي خير ردّ على الإساءة دون أن يلجأ الإنسان إلى ردها لفظاً. فالصمت أعظم ردّ في هذه الحالة.

---

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ١٠١

[2] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٥٠٣ و باجودة، حسن محمد. الوحدة الموضوعيّة في سورة يوسف. ص٢٤٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إنّ النداء في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(الآية ٩٨) على لسان أبناء يعقوب إلى والدهم الذي يفيض محبة وحناناً وإحساساً بالإساءة البالغة إليه، يلمّح إلى أنهم أرادوا أن يطلبوا منه السماح والعفو والاستغفار من الله تعالى على ما ارتكبوه من ذنوب[1]، وترى الباحثة أن في إجابة يعقوب طلب أبنائه فيها تسامح كبير، وفي خطابه لأبنائه الذي يدّل على تسامحه معهم أدب عظيم، فقد سوّف الاستغفار لهم، وربّما كان ذلك ليشعرهم بحجم الذنوب التي ارتكبوها، أو أن مازال في نفسه شيء تجاه أبنائه. لذا وعدهم بالاستغفار لهم للدلالة على أنه سيداوم على الاستغفار لهم في المستقبل.

٤. استيعاب الأخطاء:

إنّ القدرة الفكرية النابعة من العقيدة الإيمانية هي وحدها القادرة على استيعاب الأخطاء. وتعدّ القدرة على استيعاب الأخطاء سمة من سمات المجتمع المثالي الذي يطمح للوصول إلى تكيف مجتمعي متآلف متآزر. كما يعدّ التجاوز عن الأخطاء واستيعابها عنصراً هاماً في إقامة نموذج مجتمعيّ تجمع بينه المودة والرحمة بحيث يكون لُحمة واحدة قادرة على الانسجام والتكيف الاجتماعي. وترى الباحثة أيضاً أنّ هذا العنصر الهام قد برز وتمثّل حق تمثيل في آيات سورة يوسف عليه السلام.

لقد ظهر استيعاب الأخطاء بوضوح في قوله تعالى:﴿ وَجَاءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾(الآية ١٨) فلقد جاء رد يعقوب مباشراً على أدلة أبنائه، وانكشاف حيلتهم وكذبهم، فمن أدب النبوّة الرفيع أنّه لم

[1] . باجودة، حسن محمد. الوحدة الموضوعية في سورة يوسف. ص ٣٣٦ – ٣٣٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يكذبهم صراحةً بل استخدم حرف الإضراب(بل) ليشعرهم بأنّه من إملاء نفوسهم لفعل الشرّ. أمّا تنكير (أمراً) فقد أراد يعقوب عليه السلام أن يبيّن لأبنائه عظمة وهول ما ارتكبوه بحقّ يوسف وحقّه. وعلى الرغم من ذلك فقد كان يعقوب صابراً محتسباً عند الله دون شكوى ولا تضجر، فلقد تلقّى المكروه بالاحتمال، وقاوم ما يحدثه الجزع بالنفس[1].

إنّ استيعاب الأخطاء ظاهر في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾(الآية ٨٦) حيث إنّ سيدنا يعقوب هنا قد أراد الاختلاء بنفسه لبثّ ما فيها من الهمّ والغمّ إلى الله وحده فلم يشكُ لأبنائه[2]، وترى الباحثة أن في بثّ يعقوب الألم الذي في نفسه إلى الله تعالى، يوحي بأنه لم يحمّل مسؤولية ما أصابه لأبنائه، بل توجّه إلى خالقه بالشكوى، وأنّه يعلم الذي لا يعلمه أبناؤه فهو قادر على تجاوز أخطائهم واستيعابها، لأنه يعلم علماً لدنياً أنّ أبناءه أحياء لذا كان قادراً على استيعاب أخطائهم. وترى الباحثة أنّه عندما تجاوز عن أخطائهم خاطبهم بأدب عظيم يوحي بنبوته، فقد عقّب على كلامه السابق ﴿ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ وفي ذلك أدبٌ عظيم حيث ألمح إليهم بعجزهم عن إدراك المقاصد العالية التي يدركها وأنهم يعجزون عن تعليمه ولومه، وهذا العلم الرباني الذي تحصّل إليه جعله يتجاوز عن أخطاء أبنائه فيما فعلوه بيوسف عليه السلام.

ثانياً: التكافل والترابط الاجتماعي

يقصد بالتكافل الاجتماعي أن يكون أفراد المجتمع مشاركين في المحافظة على المصالح العامة والخاصة ودفع المفاسد والأضرار المادية والمعنوية، بحيث يشعر كل فرد

---

[1] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٣٢٠

[2] . باجودة، حسن محمد. الوحدة الموضوعية في سورة يوسف. ص ٣١٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فيه أنه إلى جانب الحقوق التي له أن عليه واجبات للآخرين وخاصة الذين ليس باستطاعتهم أن يحققوا حاجاتهم الخاصة وذلك بإيصال المنافع إليهم ودفع الأضرار عنهم.

إنّ التكافل الاجتماعي من أهم الأسس التي يقوم عليها تماسك الأمة وتعاونها على الخير. ولا يمكن الارتقاء بالعلاقات الاجتماعية، إلا على أساسه. ويترتب على مبدأ التكافل الاجتماعي: كفالة الحاجات الضرورية لكل عضو في المجتمع. والتكافل الاجتماعي كذلك من أهم دوافع الخطاب في المجتمع القوي.

اشتملت سورة يوسف على العديد من مواطن التكافل الاجتماعي ومنها ما جاء في قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الآية ٢١) ففي هذه الآية ترى الباحثة أنّ عزيز مصر عندما طلب إلى زوجته آمراً إيّاها قائلاً: اجعلي إقامته عندك كريمة، أي كاملة في نوعها. أراد أن يجعل الإحسان إليه سبباً في اجتلاب محبته إياهما ونصحه لهما فينفعهما، أو يتخذانه ولداً فيبرّ بهما وذلك أشد تقريباً[1].

وتستخلص الباحثة أنّ صيغة الطلب قد جاءت لتحريك عاطفة الأمومة بداخلها، وخاصة أن المرأة بفطرتها الغريزية تميل إلى الأمومة، وفي خطاب العزيز لزوجه أدب عظيم، فيه تحريك لغريزة الأمومة في نفسها، وتعويضها ما فقدته ورغبت فيه، ففي خطابه لها أرى أنه قد أراد أن يعوّضها ويلبي رغبة كامنة في نفسها بأن يكون لها ولد، كذلك فإنّ خطابه يكشف عن رغبة في نفسه باتخاذ يوسف ولداً لهما لينفعهما ويبرّ بهما. وفي قوله:

---

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ٤٢

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

"أَكْرِمِي مَثْوَاهُ" أدب خطاب عظيم، فإكرام المثوى لا يكون لشخصه فحسب، وإنّما لمكان إقامته وفي ذلك مبالغة في إكرامه"[1]. والإكرام هنا لا يكون إلا لذوي المكانة العالية المحمودة، وهذا يعني أن العزيز قد عرف بفراسته من ملامح هذا الصبي أنّه أهل للإكرام وحسن الرعاية، لذا أوصى زوجه لتقوم على العناية به وإكرام إقامته وهذا أدب خطاب عظيم يليق بشخص يوسف عليه السلام.

وإذا دققنا النظر فسنجد أنّ العزيز لم يقل أحسني مثواه، بل أرادها أن تبالغ في هذا الإحسان ليكون إكراماً. وفي طلبه ما يدلّ على أنه أراد أن تميّزه بالإكرام؛ ذلك أن الإحسان قد يكون لمن هو أقل شأناً. وأمّا الإكرام فلا يكون إلا لصاحب مكانة. ولعلّ المبالغة في إكرام يوسف تظهر أنّ الرجل كان صاحب فراسةٍ وأنّه رأى يوسف أهلاً لهذا الإكرام.

إنّ إيواء يوسف يعدّ من باب التكافل الاجتماعي بأن يعطف الكبير على الصغير، والقويّ على الضعيف، كما أنه برجائه بعيد الأمد من نفعه أو اتخاذه ولداً فيه نظرة تكافلية، حيث أراد العزيز أن يجعل يوسف بمثابة الابن الذي يتكفّل أبويه ويرعاهما في وقت ما. فهو لا يتحدّث عن الوقت الحاضر وإنّما أراد المستقبل، و لعلّ العزيز قد توسّم فيه الخير ليس له ولزوجه فقط، بل لمجتمعه أيضاً، وهذه الفراسة التي لدى العزيز نستطيع الاستدلال عليها من موقفه اللاحق، عندما قال: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ﴾.

---

[1] . باجودة، حسن محمد. الوحدة الموضوعية في سورة يوسف. ص ٧٩ – ٨٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

إنّ دقّةَ التّعبير القُرآنيّ ظاهرة جليّةٌ في قوله تعالى:﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(الآية ٩٣)، "فقد طلب يوسف إلى إخوته أن يُحضروا معهم كل مَنْ يَمُتُّ بصلة قرابة لهم، ولم يَقُلْ يوسف "بآلكم" حتى لا يأتوا بوجهائهم فقط. ولم يذكر والده في أمره لأخوته أن يأتوه بكل مَنْ يمُتُّ لهم بصلة قُرْبى؛ لأن في مثل هذا الأمر من موقع عزيز مصر إجباراً للأب على المجيء، وهو يُجِلُّ أباه عن ذلك"[1]. ومن وجهة نظر الباحثة يعدّ هذا أدب خطاب من يوسف عليه السلام، فإجلاله لوالده وبرّه له منعه من أن يذكره بأمره، حتى لا يكون أمر حاكم لمحكوم، وتنزيهاً وتعظيماً لمكانته فهو نبيّ الله الجميع يمتثل لدعوته.

إنّ مبدأ التكافل ظاهر في قول يوسف عليه السلام:﴿ وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾، فقد بلغ التسامح ذروته عند يوسف عليه السلام حتى نسي ما صدر من إخوته بحقّه، وشعر بمحنتهم، ومسؤوليته تجاههم ليتكفّل باحتياجاتهم، فطلب من إخوته أن يحضروا قومهم جميعاً، ويظهر أدب الخطاب في قول يوسف عليه السلام بأنّ طلب إحضار أهلهم جميعاً، فهو لم يحدد أحد منهم بل كان الحديث عنهم جميعاً، ففي هذا حسن أدب مع أهله، بأن يبدأ ببرّهم قبل غيرهم. ويعينهم على محنتهم التي يواجهونها.

إنّ الترابط والتكافل قد ظهر في قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ

---

[1] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج١١، ص ٧٠٦٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الآية ٩٩- ١٠٠) فقد ضمّ يوسف أبويه وقرّبهم وأنزلهم منزلهم الذي يليق بهم، ويليق ببره وعظمة أخلاقه[1]. كما ترى الباحثة أنّ في قول يوسف لهم "ادخلوا" طمأنينة إلى المكان الداخلين فيه، وهذا يدلل على أنّ اجتماعهم مع بعضهم بعد طول غياب سيطمئنّ إليه كلّ منهم. ففي الاطمئنان وراحة البال، وانتفاء الخوف عنهم، كان من واجب يوسف أنّ يهيئه لهم، ومن تمام البر أن رفع والديه على سدّة الحكم فلم يرتفع عليهما وهذا يدلّ على برّه ومودته لأهله فلم يجعله كرسي الوزارة متعالياً على والديه، وإنما زاده تواضعاً وبراً لهما، وهذا ليعلّم إخوته درساً في البرّ، وحتى لا يثير في نفوسهم الغيرة أو يترك للشيطان أي وسوسة في نفوسهم، فيوسف عليه السلام حرص كلّ الحرص على كسب المودة وتعويض ما فاتهم من التئام شملهم.

[1] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٥٤٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث:

المظاهر اللسانية للخطاب

أما المظاهر اللسانية التي تترجم الخطاب في هذه السورة فهي كثيرة منها ما يأتي:

أولا: التصعيد

العبارات التصعيدية التي يظهر فيها تصعيد المعنى وشحذه، تظهر في مواطن متعددة في السورة. فنجد هذا التصعيد واضحًا في بداية السورة. جاء ذلك في قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (الآية ٤). بدأت الآية بأداة التوكيد (إنّ)، والتوكيد من أظهر وسائل التصعيد. ويظهر هذا التصعيد بصورة معنوية عندما قال يوسف عليه السلام " رأيت ". ولم يقل " رؤيا ". فلا شك أنّ حذف هذه الكلمة درجة من درجات التصعيد الدلالي. ثم يظهر التصعيد مرة أخرى عند الانتقال من: أحد عشر كوكبًا إلى الشمس والقمر. ويظهر مرة أخرى عندما أعاد الفعل فقال (رأيتهم). وهذا ليس توكيدًا لفظيًا فقط، ولكنه بالإضافة إلى ذلك تصعيد. ويبلغ التصعيد غايته عندما قال:﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾.

أدرك يعقوب عليه السلام ما في خطاب ابنه عليه السلام من تصعيد، فعمل على خفضه عدة مرات. مرة عندما خاطبه بالتصغير: ﴿ يَا بُنَيَّ ﴾. ومرة ثانية عندما نهاه فقال: ﴿ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ ﴾. وأدرك عليه السلام أن نصيحته تحتاج إلى تصعيد هي الأخرى، فقال: فيكيدوا لك، ثم رفع درجة التصعيد مرة ثالثة وذلك بتأكيد الفعل (فيكيدوا) بما دلّ عليه المفعول المطلق (كيدًا). ثم بلغ التصعيد غايته عندما قال: " إنّ الشيطان

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

للإنسان عدوّ مبين ". فليس من تصعيد أقوى من هذا؛ لأنّ الشيطان الذي هو العدوّ للإنسان سيتولى دفع إخوته لحبك المؤامرة عليه.

وبعد أن بلغ التصعيد المباشر غايته في التحذير، لجأ يعقوب عليه السلام إلى تصعيد من نوع آخر، إنه التصعيد في الترغيب. قال الله عزّ وجلّ على لسانه عليه السلام: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ (الآية ٦) فهذا الخطاب فيه تصعيد واضح، فقد كانت البداية في الحديث عن الاجتباء ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾، ثم انتقل الخطاب إلى العلم الرباني في تأويل الأحاديث، وهي درجة كانت الخطوة السابقة وهي الاجتباء قد مهدت لها. ثم انتقل إلى إتمام النعمة والاصطفاء. وقد رفع درجة هذه النعمة لتكون تامة، ثم لتكون كتمام نعمته تعالى على إبراهيم وإسحاق عليهما السلام.

يبلغ التصعيد غايته على لسان أخوة يوسف في قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ (الآية ٨ – ١٠) توضح الآية كيف أنّ الإخوة يتنامى حقدهم على أخيهم، "ويغلي في نفوسهم، ويدخل الشيطان قلوبهم، فيختل تقديرهم للوقائع، وتتضخم في حسهم أشياء صغيرة، وتهون أحداث ضخام. تهون الفعلة الشنعاء المتمثلة في إزهاق روح غلام بريء لا يملك دفعاً عن نفسه، وهو لهم أخ. وهم

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أبناء نبي وإن لم يكونوا هم أنبياء يهون هذا. وتضخم في أعينهم حكاية إيثار أبيهم له بالحب. حتى توازي القتل. أكبر جرائم الأرض قاطبة بعد الشرك بالله"[1].

ويبرز هذا الحقد باستخدام لام التوكيد (ليوسف)؛ فقد أرادوا توكيد لازم الخبر إذْ لم يكن فيهم مَنْ يشكّ أن يوسف وأخاه أحبّ إلى أبيهم فأرادوا إقناع بعضهم بالكيد ليوسف[2]. وتعدّ لام التوكيد من أبرز وسائل التصعيد في الحديث عن سبب غيظهم، فيذكرون اسم يوسف صراحة، وقد رفعوا من حدة التصعيد باستخدامهم اسم التفضيل "أحبّ" الذي يتعدّى إلى المفضول (بمن)، ويتعدى إلى المفضل عنده بـ(إلى)[3]؛ ليشعلوا الحقد في نفوسهم جميعاً تجاه أخيهم، لأنّ أباهم يفضّله عليهم على الرغم من أنّهم عصبة، مؤكدين أنّ أباهم في خطأ ظاهر بإيثار يوسف وأخيه بالمحبة عليهم. وتزيد حدة التصعيد وقوّته ورغبة الإخوة في الانتقام من يوسف بأن قالوا: ﴿ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ ﴾، فاستخدام صيغة الأمر تكشف عن مدى الكراهية، وشدة الغيظ تجاه يوسف، والإتيان بصيغة الأمر ليكون ذلك أشدّ تأثيراً عليهم، وليحملهم على المبادرة إلى تنفيذ ما رآه، فقد ذكر أحدهم القتل أولاً ليصدع به قلوبهم، ثم الإسراع إلى اقتراح الطرح أرضاً[4]. وباستخدام حرف العطف (أو) الذي يفيد التخيير تنخفض حدة التصعيد بأنه أصبح هناك حلّ أخف ضرراً من القتل في قولهم (اطرحوه). فلمّا انتقلوا من دائرة القتل إلى الطرح أرضا قلّ حماسهم وبدأت درجات التصعيد بالانخفاض، فانخفاض درجة التصعيد هنا تبيّن تضارب آراء الإخوة. ويبدو هنا

---

[1] . قطب، سيد. في ظلال القرآن. مج٤، ص٢٩٤

[2] . نوفل، أحمد. سورة يوسف، دراسة تحليلية. ص ٢٩٦

[3] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ٢٣

[4] . نوفل، أحمد. سورة يوسف، دراسة تحليلية. ص ٢٩٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أن الغاية من وراء ذلك هي السعي لنيل محبة والدهم؛ ومن أجل أن يحصلوا عليها لا بدّ من أن يتخلّصوا من يوسف .

وفي استخدام النهي﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ نجد أن أحد الإخوة عمل على خفض التصعيد مرة أخرى، حيث نهى عن الإسراف في إلحاق الضرر بيوسف عليه السلام، والاكتفاء بإلقائه في غيابات الجبّ ليلتقطه بعض السيارة، لأنّ الإلقاء فيه تخفيف للشدة في ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ وقد يكون فيه النجاة. أمّا في "إن كنتم فاعلين" ففيه روح التشكيك والتثبيط . كأنه يشككهم في أنهم مصرون على إيقاع الأذى بيوسف، ويحرّضهم من طرفٍ خفيّ ألا يفعلوا شيئاً من القتل أو التغريب، وإن عزمتم على الفعل ولابدّ فافعلوا بقدر قليل من الشدة؛ أي ألقوه في البئر. ففي قوله:﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ أسلوب من أساليب التثبيط عن الفعل، واضح فيه عدم الارتياح للتنفيذ[1]، ويعدّ هذا لوناً من ألوان خفض التصعيد، علماً أنّ التخلص من يوسف كان أقل ما يشفي حقدهم؛ ولم يكونوا على استعداد للتراجع عما اعتزموا فعله"[2]. وقد يعود خفض درجات التصعيد إلى تباين آراء الإخوة، وعدم قناعتهم جميعاً بالإسراف فيما يقدمون على فعله.

وعند تأمل قولهم في الآية الكريمة:﴿يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾(الآية ١١ – ١٢) نلمح درجات من

---

[1] . نوفل، أحمد. سورة يوسف، دراسة تحليلية. ص ٣٠٣- ٣٠٤

[2]. قطب، سيد. في ظلال القرآن. ج٤، ص٢٩٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التصعيد فقولهم: "يا أبانا" تودّد يصلح أن يُبنى عليه العتاب المتمثّل في قـولهم ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ وهم بذلك يريدون أن يُحرجوا أباهم لتخوفه من إرسال يوسف معهم. وهم يظنون أنّ هذا الإحراج من شأنه أن يجعل أباهم يتنازل فيرسل أخاهم معهم. وقد بَنَوْا على تأدبهم وتودّدهم أمراً يَسُرّ والدهم الكريم، وهو إدخال السرور على قلب يوسف فقالوا: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ وفي هذا التدرّج والتسلسل في الخطاب تصعيد واضح.

ويظهر التصعيد واضحاً في قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (الآية ٢٣) فقد بدأت زوجة العزيز أولاً بالمراودة علّها تدرك الاستجابة لطلبها، وزادت درجة تصعيد المراودة باستخدام صيغة الفعل الدالة على المبالغة والكثرة " غلّقت " فقد بالغت في إغلاق الأبواب وهذه الدرجة العالية من التصعيد تكافئ الدرجة العالية من الانفعال النفسي، فحركة إغلاق الأبواب تكون في اللحظة الأخيرة، التي يهتاج فيها جسد المرأة. وهذه الدعوة السافرة لا تكون أول دعوة من المرأة. إنما تكون الدعوة الأخيرة. وقد لا تكون أبداً إذا لم تضطر إليها المرأة اضطراراً. والفتى يعيش معها وفتوته تتكامل، وأنوثتها مكتملة ناضجة مهتاجة؛ فكان أن أغلقت الأبواب ثمّ نطقت بالكلام اللين الذي يستميل القلب.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لكنّ يوسف عليه السلام عمل على خفض هذا التصعيد فقال:﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ و" إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾. فالنص هنا صريح وقاطع في أن ردّ يوسف المباشر على المراودة السافرة كان هو التأبي، المصحوب بتذكر نعمة الله عليه، وبتذكر حدوده وجزاء من يتجاوزون هذه الحدود[1].

ويعدّ ذلك من باب أدب الخطاب؛ فإنّ في قوله: " إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ" وفاء للربّ، وهو سيده. فقد جعل شأن صاحب البيت والوفاء له كالوفاء لله؛ لذا قال "مَعَاذَ ٱللَّهِ". وفي استخدام المصدر (معاذ) إشارة إلى أنّ مصدر إكرامه وإيوائه هو العزيز، فلا يخون من كان مصدراً لإكرامه. ويذكر زوجة العزيز بأسلوب غير مباشر بوجوب أن تحفظ غيبة الزوج بقوله:﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ .

وثمّة تصعيد آخر في قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الآية ٢٥). فصيغة الافتعال "استبقا" تفيد الاشتراك في الفعل. وهذا يعني أنّ الموقف بدأ يتصعّد من جديد بين امرأة العزيز ويوسف عليه السلام، ويبلغ ذروته بقدّها لقميصه نتيجة جذبها له لترده عن الباب. ولكن حدة التصعيد تراجعت عندما ألفيا سيدها لدى الباب. وهنا تتبدى المرأة المكتملة، فتجد الجواب حاضراً على السؤال الذي يهتف به المنظر المريب. إنها تتهم الفتى. وتتأزّم حدة التصعيد في هذا السؤال الاستنكاري الذي ضُمّن الإثارة لتحريك

---

[1] . قطب، سيد. في ظلال القرآن. مج٤، ص٣٠١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

مشاعر الزوج وإلهاب نفسه في﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ﴾ فقد عملت على تصعيد المشاعر الداخلية في نفس زوجها، ثمّ تزيد من شحذها بتنكير كلمة (سوءاً) لما فيها من إبهامٍ وتهويل. ولكنها تعمل على خفض درجة التصعيد حين أشارت إلى العقاب المأمون الذي تريده له، فقد حددت نوع الجزاء حرصاً على الإبقاء على حياته[1]. وباستخدام صيغة المبني للمجهول " يُسْجَنَ " فإنها تعمل ثانية على رفع درجة التصعيد مبينة العقوبة التي من الممكن أن ينالها يوسف.

وفي قوله تعالى تصعيد آخر: ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾(الآية ٢٦) فقد دفع يوسف التهمة عن نفسه بأن قال:" قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي" وبيان ذلك أنّ درء الاتهام باتهام مضاد، هو في حقيقته درجة عالية من التصعيد. ويأتي دور الشاهد ليخفف من حدة الموقف بقول فصل ذلك بأنه يحسم بشهادته في هذا النزاع المحتدم بينهما.

إنّ أدب الخطاب في هذه الآية يظهر في قول يوسف عليه السلام:" قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي" فمن أدب الخطاب أن يوسف لم يكذّب زوجة العزيز فقال هي راودتني. فهذه جملة خبرية مثبتة، ولكنّها تنفي مضمون كلامها. ولم يحاول أن ينفي الاتهام عن نفسه مباشرة أمام ولي نعمته، فهو لا يريد أن يستثير غضبه، بل أراد بهذه الجملة الخبرية أن يخفف حدة غضبه تجاهه، وأن يدفع الاتهام عن نفسه.

---

[1] . نوفل، أحمد. سورة يوسف، دراسة تحليلية. ص٣٦٩ – ٣٧٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وثمّة تصعيد آخر في الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾(الآية ٣١- ٣٢) لقد ترك طعن هؤلاء النسوة في شرف امرأة العزيز وعقلها أثراً سلبياً في نفسها، فكان لابدّ من أن تضعهنّ في نفس الموضع؛ لتتجنّب مكرهنّ واغتيابهنّ لها، فأرادت أن تمحو انتقادهنّ بصمتٍ، حيث إنها بدأت الانتقام لنفسها بهدوء، ويعدّ ذلك من باب الانتقام التصعيديّ فدعتهنّ إليها، وأعدّت لهنّ المتكأ، وأكرمتهنّ بإعداد الطعام إليهنّ، وأخذت درجة التصعيد الصامت بالارتفاع بإحضار السكاكين إليهنّ، وزادت حدة التصعيد الصامت في نفسها عندما أمرت سيدنا يوسف بالخروج عليهنّ فجأة؛ ليصبح التصعيد واضحاً جلياً في الموقف. فعند رؤيتهنّ له أكبرنه، ولم تتوقف النسوة عند ذلك الحدّ، ولكن تصاعد الموقف أكثر حتى إنهنّ من شدة الإعجاب والانبهار به قطّعن أيديهنّ، وما هي إلا لحظات حتى تنخفض درجة التصعيد، ويعود الإدراك إليهنّ ثانية، فخرجن من الذهول الذي أصابهنّ عند رؤيته، بقولهنّ ﴿حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾، حيث إننا نجد الانقلابات متعددة في هذه الآية الكريمة. ويعدّ هذا الانقلاب والتحول تصعيداً. فقد مكرن بها قولاً، فمكرت بهنّ فعلاً، وحكمن عليها بالضلال، فضللن عن تقطيع طعامهنّ إلى

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تقطيع أيديهنّ، ودعون يوسف قبل أن يرينه " فتى امرأة "، فلمّا رأينه دعونه ملكاً كريما "[1].

وترى الباحثة أنّ التصعيد قد جاء على نوعين وهما: تصعيد عمليّ وتصعيد قولي فالتصعيد العملي الصامت تمثّل بما فعلته زوجة العزيز مع النسوة لتنتقم لنفسها، فقد مكرت بهنّ فعلاً لا قولاً. وقد تحوّل التصعيد العملي إلى تصعيد قولي بقول النسوة:﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ وهذه درجة عالية من التفريغ تتحوّل فيها الرغبة في الفعل إلى قول.

إنّ التصعيد العملي الصامت الذي قامت به امرأة العزيز كانت له آثاره الإيجابية بالنسبة إليها، فقد جعلها قادرة على الاحتجاج بلسان اللوم والعتاب، وجاء دور الكلام لكي تلوم من لامها، وتدفع عن نفسها سبب شغفها به، وتبرهن للنسوة سبب فعلتها التي فعلت بعدما أيقنت أنهنّ جميعا قد أصابهنّ ما أصابها، وتصعد القول باعترافها أمام النسوة بأنّها راودته عن نفسه ليبلغ التصعيد أقصى درجاته بوجود القَسَمين في " لقد راودته " و " لئن " واجتماعهما في قول امرأة العزيز ينبئ عن تصميمها على تحقيق نيتها الفاسدة. ويصل التصعيد إلى غايته بتهديد زوجة العزيز ليوسف بالسجن إذا لم ينفذ ما أمرته به، وأن يكون من الصاغرين.

وأرى أنّ التصعيد قد كشف لنا عن أدب جمّ في الخطاب في هاتين الآيتين، حيث إنّ امرأة العزيز لم تقابل المكر بمكرٍ مثله، بل حوّلت لوم النسوة ومكرهنّ إلى جهة معذرتهنّ لها، وذلك عن طريق احتجاجها الصامت، فقد قابلت مكرهنّ القولي بهذا المكر الفعلي.

---

[1] . العلمي، عبدالله. مؤتمر تفسير سورة يوسف. ج١، ص ٥٩١ – ٦١٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ولمّا اطمأنت امرأة العزيز إلى أنّه سلب عقولهن، قالت بكلّ هدوء هذا الذي لمتنني فيه ليكون في ذلك إعذار لها. ولم تتفوه بكلمة سوء بحقّ من اغتبنها.

وفي موضعٍ آخر من الآية الكريمة نجد مظهراً من مظاهر أدب الخطاب عند رؤية النسوة ليوسف، فقد أكبرنه وقلن:﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ ففي هذا القول ما يدلّ على إجلالهنّ لهيبته، وتنزيهه عن البشر.

وفي قول زوجة العزيز:﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ ما يدلّ على أدب الخطاب. فعلى الرغم من أنها أغلظت في القول في تأكيد الفعل "لَيُسْجَنَنَّ" حين جاء تأكيده بنون التوكيد الثقيلة، فإنها كانت حريصة على عدم الإضرار بكرامته. ودلّ على هذين المعنيين أنّ الآية استخدمت نون التوكيد الثقيلة لتأكيد السجن. ولكنّها عند تعبيرها عن حفظ كرامته من أن يلمّ بها الصغار استخدمت نون التوكيد الخفيفة، وهي تعلم جيدا أنّ الصغار والذلّ لا تستطيع إلحاقه بيوسف؛ لأنّ الصغار لا يكون نابعاً إلا من ذات الإنسان. فالذي بمقدورها صنعه أكدته بلام التوكيد ونون التوكيد الثقيلة، وخففت التوكيد في "ليكونا" لأنها تدرك أنها لا تملك إذلاله، بل لا تريد أن يكون ذليلاً صاغراً.

وقد ورد التصعيد في جلسة التحقيق التي عقدها الملك وقد جمع فيها امرأة العزيز والنسوة حيث قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الآية ٥١ – ٥٣) ذلك أنّ

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أفضل طريقة تجعل فيها المجرم يعترف بجرمه أن تواجهه بالحقيقة وتحاصره بالتهمة

حتى لا يراوغ، وهذا ما فعله الملك؛ فقد صعّد الاتهام للنسوة ليجبرهنّ على الاعتراف، فخاطبهنّ " ما خطبكنّ " فالخطب لا تستخدم إلا في الأمر الجلل والشأن العظيم. فالاستفهام هنا أسلوب خطاب حادٍ يقصد منه دفعهنّ إلى الاعتراف المطلق وعدم المراوغة[1]، فما كان من النسوة إلا أن قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوءٍ، فهذه العبارة هي التي صعّدت الحكمة والتعقّل عند زوجة العزيز؛ مما دفعها إلى الاعتراف، بخطئها بعد أن اعترفن ليوسف بالبراءة والنزاهة.

أمّا استخدام الظرف(الآن) ففيه تصعيد آنيّ فهذا أول اعتراف من امرأة العزيز بأنها هي التي راودت يوسف عن نفسه فاستعصم، ويظهر التصعيد جليّاً في الجملة الخبرية﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ ﴾ لتتصاعد براءة يوسف على لسانها، فموقف النسوة اللاتي نزهن يوسف عن السوء جعل التهمة محصورة فيها، فكان لابدّ من أن تخبر بأنها هي التي راودت يوسف عن نفسه[2].

وترى الباحثة أن أدب الخطاب قد جاء على لسان الملك عندما خاطب جماعة النسوة " ما خطبكن " وهو يعلم يقيناً أنّ امرأة العزيز وحدها هي التي راودت يوسف عن نفسه. ولكنّه لم يخاطبها بصيغة المفرد؛ لأنّه لا يهدف تجريحها أو التشهير بها؛ لكنّه أراد أن يبرئ يوسف من التهمة التي ألحقت به، والتشويه الذي حدث لصورته، والعقاب الذي ناله ظلماً. ويظهر أدب الخطاب في قول زوجة العزيز ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ ﴾ فهي لم تتوان عن دفع

---

[1] . نوفل، أحمد. سورة يوسف، دراسة تحليلية. ص ٤٣٤ – ٤٣٥

[2] .العلمي، عبدالله. مؤتمر تفسير سورة يوسف. ج٢. ص ٨٥٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الاتهام عن النسوة وإلصاقه بها وحدها، ويظهر أدب الخطاب فيما قدمته من اعتذار عن نفسها، فهي امرأة نفيّة غير أن النفس قد تأمر صاحبها بالسوء.

"لقد تبيّنت براءة يوسف للملك، وتبين له معها علمه في تفسير الرؤيا، وحكمته في طلب تمحيص أمر النسوة، وكذلك تبيّنت له كرامته وإباؤه، فهو لا يتهافت على الخروج من السجن، ولا لقاء الملك. ولكن يقف وقفة الرجل الكريم المتهم في سمعته، يطلب رفع الاتهام عن سمعته قبل أن يطلب رفع السجن عن بدنه، ويطلب الكرامة لشخصه ولدينه الذي يمثّله قبل أن تكون له الحظوة عند الملك. فكل ذلك أوقع في نفس الملك احترام هذا الرجل وحبّه فقال: ﴿ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (الآية ٥٤ – ٥٥).

لقد تزايد حبّ الملك ليوسف عليه السلام، حتى أنّه أمر بالإتيان بيوسف، وتتصاعد رغبته بأن يستخلص يوسف لنفسه، "ففي حروف الزيادة في الوزن استفعل في (أستخلصه) دلالة تنسجم مع مراد الملك، ويقصد أجْعَلْه خالصاً لنفسي، أي خاصّاً بي لا يشاركني فيه أحد. وهذا كناية عن رغبته في اتصاله به والعمل معه. وقد دلّ الملكَ على استحقاق يوسف عليه السلام تقريبَهُ منه ما ظهر له من حكمته وعلمه، وصبره على تحمّل المشاق، وحسن خلقه، ونزاهته، فكل ذلك أوجب اصطفاءه"[1].

وتتزايد درجة التصعيد في جواب "لما" بقوله مؤكّداً "إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ" فالصفة المشبهة "مكين وأمين" تشير إلى المكانة التي أصبحت ليوسف عند الملك، وأنّه مأمون

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص٨٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وموثوق به في حفظه[1]. ويبلغ التصعيد غايةً قصوى في جواب يوسف، فقد طلب من الملك أن يوليه على خزائن أرض مصر، لما يمتلك من الكفايةُ والحفظ والعلم؛ ولأنّ المكانة التي طلبها تقتضي العلم والقدرة، وترتفع درجة التصعيد في قول يوسف معللاً " إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ " فهو يعلل طلبه؛ ليعلم الملك أن مكانته لديه، وائتمانه إياه قد صادفا محلّهما وأهلهما[2].

وترتفع درجة التصعيد الفعلي في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (الآية ٥٦). فالتمكين في الأرض هو تمكين عام مطلق لجميع الأمكنة قوله تعالى: " يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ " [3]. فقد انتقل من التمكين الخاص في بيت العزيز الظاهر في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(الآية٢١) إلى التمكين العام وهو عموم أرض مصر. فهنا وصل التصعيد المباشر غايته في تمكين يوسف من أرض مصر مما أظهر أن الله يختصّ بنعمه من يشاء من عباده.

وترى الباحثة أن أدب الخطاب قد برز في هذه الآيات في مواضع متعددة؛ فقد ورد في قوله تعالى على لسان الملك: ﴿ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ ﴾ " فالاستخلاص طلب

---

[1] . المرجع السابق. ص٨١

[2] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٤٥٦

[3] . العلمي، عبدالله. مؤتمر تفسير سورة يوسف. ج٢، ص٩١١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

خلوص الشيء من جميع شوائب الاشتراك، وإنما طلب الملك أن يستخلص يوسف لنفسه؛ لأن عادة الملوك أن ينفردوا بالأشياء النفيسة العزيزة ولا يشاركهم فيها أحد من النـاس، وإنما قال الملك ذلك لمّا عظم اعتقاده في يوسف، ولما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره"[1] فاختيار لفظة أستخلصه فيها تكريم لشخص سيدنا يسف فهو نفيس ثمين، فلا يريد الملك أن يشاركه أحد فيه.

ويُظهِر التوكيد في قوله تعالى:﴿ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾" أدب خطـاب جـمّ فمكان " المكين " هي المكانة التي لا ينال منها أيُّ أحد. فأدب الخطاب مع يوسف فيه دلالة واضحة على أنّه قد احتلّ مكانة عظيمة في نفسه حتى جعله ذا مكانة عنده. أمّا ما جاء في مطلب يوسف عليه السلام ففيه تأكيد على أن الواقع القادم سيأتي وفقاً لتأويله للرؤيا " إنّي حفيظ " فقد برر سيدنا يوسف طلبه بأدب، فهو الحفيظ الذي يحفظ مـا يتـولاه، والعـالم بتدبيره، فهو يمتلك صفة الحفظ المحقّق للائتمان ، وصفة العلم المحقـقّ للمكانـة. فيعـدّ التبرير الذي قدّمه سيدنا يوسف عليه السلام لطلبه من باب أدب الخطاب مع الملك فهو لا يطلب هذا المكان إلا لمعرفته فيه.

وتتصاعد أحداث القصة في مجراها الأكبر، لنرى أنّ سيدنا يوسف قد أصبح عزيـز مصر ومسؤولاً عن خزائن الطعام فيها، وجاءت سنوات الجدب التي أوّلها في رؤيا الملك حتى شملت مصر وما حولها، ونزل بآل يعقوب ما نزل بغيرهم من الشدة، فبعث يعقـوب أبناءه إليها طلباً للطعام، فلما بلغ أبناؤه مصر توجهوا من فورهم إلى يوسف، فعرفهم دون أن يعرفوه كما يظهر من قوله تعالى:﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ

---

[1] . البغدادي، علاء الدين. تفسير الخازن. ج٣، ص٢٩٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مُنكِرُونَ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾(الآية ٥٨ – ٦١)، وقد ترتب على مجيء إخوته أنّ الله مكّنه منهم وأظهره عليهم، وقد كانوا هم المتمكنين عندما كان صغيراً فألقوا به في غيابة الجبّ.

ندرك من السياق أنه أنزلهم منزلاً طيباً، ثم أخذ في إعداد الدرس الأول، ويعدّ ذلك التصعيد الترحيبي متدرجاً؛ ليحصل على ما يريد "وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ" فنفهم من هذا أنه تركهم يأنسون إليه، وصعّد في استدراجهم حتى ذكروا له من هم على وجه التفصيل، وأن لهم من أبيهم أخاً أصغر لم يحضر معهم؛ لأن أباه يحبه ولا يطيق فراقه، حتى أن التصعيد بلغ حدّه بعدما جهزهم بحاجات الرحلة، قال لهم: إنه يريد أن يرى أخاهم هذا[1] "قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ".

وقد تعمّد يوسف تنكير لفظة أخ ولم يأت بها معرفة؛ لانّ التنكير في هذه الحال أبلغ وأبعد أثراً، ولم يأت بها معرّفة؛ لأنّ التعريف يوهم بشيء من العهد بين المتكلم والمخاطب. إلا أنّ يوسف عمل على تصعيد الترغيب باستخدام الاستفهام التقريري، في قوله لهم: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾، والذي يزيد من حدة التصعيد التوكيد في " أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ ". فسأوفيكم نصيبكم حين يجيء معكم؛ ويعمل أسلوب التفضيل

[1] . قطب، سيد. في ظلال القرآن. مج٤، ص ٣٢٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

في "خير المنزلين" على شحذ المعنى وتقويته في ذهن الإخوة بأنّه سيوفي لهم الكيل ويكرم ضيافتهم إن أتوا بأخيهم، فلا خوف عليه، بل سيلقى مني الإكرام[1].

إنّ تزايد حدة التصعيد جعل الإخوة يطمئنون إليه، ولأنّ يوسف يعلم صعوبة أن يأمنهم أبوهم على إحضار أخيهم صعّد القول ثانية بالتخويف حين استخدم أسلوب الشرط في قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ (الآية ٦٠) فكان الشرط من أبرز أدوات التصعيد في هذه الآية، حيث يظهر مقدار إصرار يوسف على مطلبه، ليجبر إخوته على الإتيان بأخيهم. وقد بلغ التصعيد غايته في الإنذار حينما لجأ يوسف إلى تصعيد من نوع آخر، إنّه التصعيد في النهي عن المجيء إلى أرض مصر إذا لم يحضروا أخاهم " ولا تقربون ".

وكان من نتيجة هذا أنهم استجابوا له حين ﴿ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ ﴾، لأنّ لهم في المراودة مع أبيهم خبرة[2]، ولذلك نجد الجانب النفسي قد أثر على تراجع التصعيد، لأنّ عملية المراودة تذكرهم بما فعلوه بيوسف، وتكشف عن مدى إخلافهم لوعدهم وعهدهم، كما تذكرهم بعدم ثقة والدهم فيهم، إلا أنهم يستدركون على أنفسهم، ويتذكرون أنّ المراودة اليوم غايتها مختلفة عن مراودة الأمس، فتقوى عزيمتهم، وتتصاعد إرادتهم، فيؤكدون أنّهم فاعلون وسيبذلون قصارى جهدهم للإتيان به.

ويظهر أدب الخطاب جلياً في هذه الآيات، فقد لعب التصعيد دوراً هاماً في إظهار مواطن أدب الخطاب. فالمشهد التصعيدي مثير، وحافل بالحركات والانفعالات والمفاجآت،

---

[1] . المرجع السابق ص ٣٢٩

[2] . نوفل، أحمد. سورة يوسف، دراسة تحليلية. ص ٤٦٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كأشد ما تكون المشاهد حيوية وحركة وانفعالاً، غير أن هذا صورة من الواقع يعرضها التعبير القرآني هذا العرض الحي الأخّاذ[1].

فثمة تصعيد آخر في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ ﴾(الآية ٧٠ – ٧٣) فاللحظة الحاسمة بدأت بين يوسف وإخوته، فعندما انتهى من تجهيزهم بما يحتاجون إليه من القمح وغيره مما يلزمهم، وتركهم يسيرون مسافة، أمر بهم فأدركوا، وحبسوا. ويأتي دور العطف ليعمل على تصعيد الأحداث والمواقف. كما أنّ حرف العطف " ثمّ " قد أوحى بتراخي القافلة في سيرها، عقب نداء لحق بهم من خلفهم يناديهم[2] نداءً مكرراً وبإلحاح شديد فصيغة المبالغة " مُؤَذِّنٌ "، توحي بكثرة النداء الذي يصعّد الدهشة والاستغراب في نفوسهم، ولكن النداء في قوله: " أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ " قد عمل على تزايد درجات التصعيد، ليصل التصعيد الذروة في التوكيد الأول والثاني بـ﴿ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴾.

وهنا تتصاعد الدهشة والاستغراب لدى الإخوة، حتى وصلوا مرحلة الذهول من هذا الاتهام الخطير. ولكنّهم أقبلوا بكلّ ثقة على المؤذن قائلين ماذا تفقدون حتى تتهموننا

---

[1] . قطب، سيد. في ظلال القرآن. ج٤، ص ٣٣٢

[2] . نوفل، أحمد. سورة يوسف، دراسة تحليلية. ص ٤٩٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

بالسرقة؟ حيث عمل الاستفهام على شحذ المعنى وتقويته وإعطاء صورة حركية ممثلة للموقف مما عززت تصعيد حدث الاستغراب والاستهجان.

فكانت الإجابة في قوله تعالى: ﴿ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾ حيث عملت هذه الإجابة على خفض حدة التصعيد في نفوس الإخوة، لأنّهم لم يمسّوا الصواع، لأنّ موظفي الدولة هم الذين يتولون هذه العمليّة[1]. ولزيادة درجة التصعيد في فقد الصواع ﴿ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ ﴾ ولقد آثروا التعبير بالملك تهويلاً على السامعين، وذلك لبث الخوف الشديد في نفوسهم، وإثارة الرعب والهلع في نفوسهم، من أجل إضعاف قوتهم، ويعزز لمن كان الصواع في رحله أخذ حمل بعير بعد العفو عنه، لأنّ الاعتراف يهدم الاقتراف، فكان لابدّ من وجود كفيل يتعهّد بتحقق هذا الوعد لهذا قال:﴿ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴾ فهو الكفيل الذي يضمن له النجاة من العقوبة[2].

ويأتي القسم بدوره ليشحذ المعنى، وينفي الاتهام عنهم ويزيد من تصعيد الحدث بقولهم " تالله " حيث أقسموا متعجبين مندهشين لاتهامهم، بأنّهم لم يسرقوا، وأن يوسف ومن يعمل تحت إدارته متحققون من أنهم لم يأتوا بغرض الإفساد بسرقة أو غيرها، ولم يتهمهم أحد في السابق بمثل هذا الاتهام[3].

يبرز أدب الخطاب في هذه الآية في أكثر من موطن ففي قوله: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴾ قد نسب عملية السرقة لغير العاقل، ولم يخاطب إخوة يوسف خطاباً

---

[1] . نوفل، أحمد. سورة يوسف، دراسة تحليلية. ص ٤٩٦

[2] . العلمي، عبدالله. مؤتمر تفسير سورة يوسف. ج٢، ص١٠١٤

[3] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج١١، ص ٧٠٢٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مباشراً، ويعدّ ذلك تلطفاً بهم، فيوسف ومن يعملون تحت إدارته يعلمون حقيقةً أنهم لم يسرقوا أبداً، لذا كان النداء إليهم فيه تلطف كبير. أمّا في قوله:﴿ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴾فنرى أنّ إخوة يوسف لم يذكروا حدث السرقة مطلقاً في هذا الموضع، لأنهم على يقينٍ تام بأنّهم منزهون عن فعلها. وفي موضع آخر عندما أقسم الإخوة، جاء القسم دالاً على التعجب، ويعدّ ذلك من باب أدب الخطاب، حيث كانت ردة فعلهم إزاء هذه التهمة أن أقسموا بأنهم لم يأتوا لغرض الفساد أو السرقة. لذلك جاء هذا القسم الذي يفيد التعجب لبيان مكانتهم ومنزلتهم، وإظهار ملامح الأنفة على وجوههم.

وتتطوّر الأحداث وتتأزم ويتصاعد غضب إخوة يوسف حتى يسألهم مساعدو يوسف في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴾ (٧٤ – ٧٦).

يبدأ التصعيد الاستدراجي في سؤال مساعدي يوسف لإخوته عندما عمّهم الغضب، فسألوهم عن جزاء من وجد الصواع في رحله، فالاستفهام التقريري جعل الإخوة ينطقون بالحكم هم أنفسهم، فهذا الحكم شريعتهم التي يحكمون بها، ويبلغ التصعيد الاستدراجي غايته في تأكيدهم لهذا الحكم بقولهم: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾. وبهذا أعانوا يوسف على تحقيق مأربه ببقاء شقيقه معه[1]، وبقولهم هذا يتزايد الاستدراج من السؤال الذي يهدف

[1] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج١١، ص ٧٠٢٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الإقرار بالحكم، إلى الجواب المنتظر الذي استدرجوهم إليه، لأنهم راغبون به وعازمون على تحقيقه.

وقد عمل تأكيدهم لهذا الحكم على رفع درجة التصعيد، فازداد الموقف حدة، فقد أمر يوسف بتفتيش أوعيتهم، وبدأ بأوعيتهم جميعا، حتى ينفي احتمال ظنّهم بأنّه طلب منهم أن يأتوا بأخيهم معهم ليدبر هو هذا الأمر[1]، فتطاولت أعناقهم ليروا ما يبرر كلامهم أمام من اتهمهم[2]، لكنّ الأمر ينقلب بتفتيش رحل أخيهم، ويتحول التصعيد النفسي الإيجابي إلى تصعيد نفسي سلبي عظيم، عندما ودّوا لو تسوى بهم الأرض، وبهتوا جميعاً لاستخراج الصواع من رحل أخيهم بنيامين، فأحسّوا بنيران هبت في أبدانهم من هذا المشهد المخجل[3].

يبرز أدب الخطاب في الآيات في قوله تعالى: ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إذ إن إخوة يوسف حكموا بشريعتهم على السارق، فتمسكهم بشريعتهم يدلّ على عمق إيمانهم، وأنهم لا يتهاونون في مجازاة الظالم، إحقاقاً للحقّ، وانتصاراً وتأييداً للقوانين السماوية.

لقد ورد ذكر الكيد مرتين في السورة. أمّا الكيد الأول فقد ورد ذكره في الآية الكريمة في بداية السورة: ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ (الآية ٥)، وقد نسب الكيد في هذا الموضع للشيطان، فالكيد للضرر. أما في الموضع الثاني في قوله تعالى:﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ﴾ فقد نسب الكيد لله عزّ وجلّ والكيد هنا للخير،

---

[1] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج١١، ص ٧٠٢٧

[2] . العلمي، عبدالله. مؤتمر تفسير سورة يوسف. ج٢، ص ١٠٢٤

[3] . المرجع السابق. ص ١٠٢٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لأنه هو الذي ألهم يوسف، وقد جعل الكيد لأجل يوسف. فقوله: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ كالقول في ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (الآية ٧٥). والكَيْد: فعل يتوصل بظاهره إلى مقصد خفي. والكيد: هنا هو إلهام يوسف عليه السلام لهذه الحيلة المحكمة في وضع الصواع وتفتيشه وإلهام إخوته إلى ذلك الحكم المُصْمَت. وأسند الكيد إلى الله لأنه ملهمه فهو مسبّبه. وجعل الكيد لأجل يوسف عليه السلام؛ لأنه لفائدته[1].

لقد كان الأثر السلبي كبيراً في نفوس الإخوة عندما عُثر على الصواع في رحل أخيهم بنيامين، جعلهم يفقدون التركيز والاتزان ويتكلمون بغير روية. ويعللون سرقته بأنّ أخاه مثله كان سارقاً ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (الآية ٧٧). إنّ أسلوب الشرط الوارد في الآية يشير إلى أن حدث السرقة الثاني مترتب على حدث السرقة الأول، وفيه إشارة إلى سرقة يوسف المزعومة عندما كان صغيراً، حيث إنّ هذا الأسلوب يشير إلى الحسد العالق في أغوار نفوسهم تجاه يوسف[2]، وهذا يحدث تصعيداً نفسياً داخلياً في نفس يوسف فقد كان موقفهم أشدّ تأثيراً في قلبه من كيدهم الأول، إلا أنه تجرع كأس الضيم، وكظم الغيظ، وأبدى الحلم، وأضمر في نفسه كلمة واحدة " أنتم شرّ مكاناً " فكانت هذه العبارة تصعيداً داخلياً وتعبيراً عن ألم وغيظ، فقالها في نفسه[3].

---

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ٩٩

[2] . نوفل، أحمد. سورة يوسف، دراسة تحليلية. ص ٥٠٣

[3] . العلمي، عبدالله. مؤتمر تفسير سورة يوسف. ج٢، ص ١٠٤٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

إنّ أثر التصعيد النفسي الداخلي قد ظهرت آثاره على ملامح يوسف، فقد وصل إليهم المعنى من خلال انفعاله في قوله: ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ فهذا القول يدلّ على أنّ درجة التصعيد النفسي قد بلغت حدها الأعلى في نفس يوسف، إلا أنّه لم يبد لهم شيئاً[1].

ويظهر أدب الخطاب في موقف يوسف عليه السلام الذي كظم غيظه وأبدى حلمه، فلم يكن فظاً معهم، ولم يتفوّه بكلمة واحدة، وإنّما تمالك نفسه ساعة الغضب، ولزم الصمت ولم يعلّق على ادعائهم بأي كلمة، وأعرض عن زجرهم وعقابهم مع أنها طعن فيه وكذب عليه، فالصمت هنا يعدّ من أجمل مواطن أدب الخطاب لأنّ الصمت أبلغ حكمة، وأسرع في إيصال المعنى من الكلام في كثير من الأحيان.

وينقلنا سياق الآية التالية إلى لونٍ آخر من ألوان التصعيد: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ ۖ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ﴾(الآية ٧٨ – ٧٩) فالتصعيد هنا يصل إلى غايته عندما يكون محركاً للعاطفة، فنلمح أن الإخوة قد أخذوا يستثيرون عاطفة العزيز بندائهم الذي يشعره بمكانته القريبة من أنفسهم، ويستعطفونه بأنّ أباهم شيخ كبير، والصفة المشبهة " كبير " تدلّ على عجز والدهم وضعفه، فقد ذكروا ذلك ليستجلبوا عطفه، ومساومته بأن يأخذ أحدهم مكانه، ويصعدون قولهم بالتوكيد وذكر إحسان يوسف بقولهم: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ففي هذه الآية يبرز أدب خطاب الإخوة مع يوسف. ففي

---

[1] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج ١١، ص ٧٠٣٢

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

النداء إشعار له بقربه من نفوسهم، وطريقة الاستعطاف التي سلكوها، وتأكيدهم الثناء عليه، يعدّ من باب أدب الخطاب، فقد أرادوا الوصول إلى غايتهم، فالتأدب في الخطاب كان ضرورياً من أجل تحقيق الهدف المنشود.

وفي موضع آخر نجد أن التصعيد يتوالى ارتفاعه في قول يوسف: " معاذ الله " حيثّ يردّ استعطاف إخوته، ويصرّ على أخذ سارق الصواع، وقد لجأ يوسف إلى الله أن يعصمه من أخذ من لا حقّ له في أخذه، وأن يعصمه من الظلم؛ لأنّ أخذ من وجد المتاع عنده صار حقاً عليه بحكمه على نفسه. وأمّا أخذ غيره فلا يجوز، ويؤكد لهم أنّ ذلك ظلم[1]،ويعدّ ذلك من باب أدب الخطاب فنلمح أدباً راقيا في خطاب سيدنا يوسف لإخوته عندما استخدم ألفاظاً منتقاةً لإظهار الخضوع والانقياد لله. لذا قال:﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ فقد عبّر القرآن عما قاله سيدنا يوسف باستخدام المصدر(معاذ) ولم يستخدم الفعل (أعوذ)، لأنّ المصدر دائماً هو أصل الشيء، وهو حدث لا يقترن بزمن. ومن كمال أدب الخطاب الدوام والاستمرار، وهذا ما يحققه المصدر بسبب عدم اقترانه بزمن؛ فالمعصوم والصادق مع الله مؤدب بخطابه بصورة مطلقة، لذا نجد أدب الخطاب في قوله (معاذ) قد تكرر على لسان يوسف في موضعين من السورة للدلالة على قوة إيمانه وخشيته من الله تعالى.

وتتوالى تصعيد الأحداث، فعندما رفض يوسف أن يأخذ أحد الإخوة مكان السارق يئسوا، فقد كانوا أثنوا على العزيز بادئ الأمر واستبشروا خيراً، إلا أنّ العزيز رفض أن يأخذ مكانه أحداً، فبلغ اليأس منهم حدّاً كما جاء في قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ

---

[1] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٥٠٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (الآية ٨٠)، فخرجوا من عند يوسف يناجي بعضهم بعضاً، ويناجي كلّ منهم نفسه سرّاً، ليبدأ التصعيد النفسي بالتزايد في نفوسهم جميعاً، لأنّ العزيز رفض إطلاق سراح أخيهم، وليبلغ الهمّ النفسي كلّ مبلغ في نفوسهم، وتتزايد المعاناة النفسية في نفس كبيرهم، والذي يدلل على تصعيد القلق والاضطراب النفسي لديه السؤال التقريري في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ ﴾ والذي طرحه على إخوته مذكراً لهم بعدم اطمئنان أبيهم بحفظهم لابنه[1].

إن اليأس والاضطراب الذي وقع في نفوسهم جعلهم يعترفون ولأول مرة بحقيقة التفريط بيوسف، وأنّ أباهم قد أخذ عليهم موثقاً من الله إلا أن يحاط بهم، ويذكرهم بألا ينسوا أن لهم سابقة حين أخذوا يوسف وضيّعوه، فهو بذلك يزيد من محاسبة نفسه ومحاسبة إخوته، ويبلغ التصعيد النفسي غايته مرة أخرى بقوله: ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾، ولقد آلى الأخ الأكبر على نفسه ألا يبرح المكان، ولن يعود إلى أبيه إلا أن يأذن له، أو أن يحكم الله له بأن يطلق عزيز مصر سراح أخيه[2].

إن أدب الخطاب ظاهر في كلّ آية من آيات السورة، حيث إن الآية قد كشفت عن أدب خطاب في قوله:﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ

---

[1] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٥٠٨ – ٥٠٩

[2] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج ١١، ص ٧٠٣٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ فعندما تحدّث عن والده قال: (يأذن) والإذن هنا يعني السماح بالانصراف، وهذا يعني نيل العفو والصفح من والده. أمّا اختيار كلمة يحكم في قوله: " يحكم الله " فهو في حكم الضراعة والتوسل إلى الله، وهو أدب ظاهر.

وفي موطن آخر من السورة تتصاعد وتيرة الأحداث، وذلك واضح في الآيات الآتية:﴿ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ (الآية٨١ – ٨٥)، إذ تعدّ صيغة الأمر" ارجعوا " من أبرز أدوات التصعيد في هذا الموضع، فلا زال التصعيد النفسي قائماً في نفس الأخ الأكبر، فحدث الرجوع يترتب عليه نقل الخبر، لكنّه يحاول أن يجنّب نفسه نقل الخبر إلى والده، فأمر إخوته بالرجوع لينقلوا الخبر إليه.

أمّا النفي ففيه "احتراس من تحقق كونه سرق، وهو إما لقصد التلطف مع أبيهم في نسبة السرقة إلى ابنه، وإما لأنهم علموا من أمانة أخيهم ما خالجهم به الشك في وقوع السرقة منه"[1].

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص١٠٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وتتزايد درجة التصعيد في مواجهة يعقوب لأبنائه بقوله:﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ فجملة " قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ " في صورة الجواب عن الكلام الذي لقّنه أخوهم لهم على طريقة الإيجاز[1]. فهذه الجملة تزيد من اتهام يعقوب لأبنائه، فالتصعيد مستمر باتهامه لهم فيقول لهم: زينت لكم أنفسكم أمرًا هممتم به وأردتموه " فَصَبْرٌ جَمِيلٌ"، أي صبري على ما نالني من فقد ولدي، صبرٌ جميل لا جزع فيه[2]. فتكرار الآية ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ ﴾ أي إنّ صبر يعقوب في المرة الثانية لا يقلّ عن المرة الأولى، فلا بدّ من الصبر، فهو مفتاح الفرج، وآية ذلك: تصعيد قوله النابع من عمق الإيمان " إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ " فالأمل والرجاء بقوله:عسى ما هو إلا تصعيد يبيّن مدى صبر يعقوب على فقد أبنائه.

إن قول يعقوب ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ " كقوله لهم حين زعموا أن يوسف عليه السلام أكله الذئب، فهو تهمة لهم بالتغرير بأخيهم. قال ابن عطية: ظنّ بهم سوءاً فصدق ظنّه في زعمهم في يوسف عليه السلام، ولم يتحقق ما ظنّه في أمر بنيامين. إنّ اتهامه لأبنائه بأن يكونوا تآمروا على أخيهم بنيامين ظن مستند إلى القياس على ما سبق من أمرهم في قضية يوسف عليه السلام[3]" فإنه كان قال لهم: ﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ ﴾(الآية ٦٤) لقد زادت في نفس يعقوب درجة

---

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ١٠٦-١٠٧

[2] . الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج١٦، ص ٢١٣

[3] . نقلاً عن ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج ١٢، ص ١٠٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التصعيد اليقيني بقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فالتوكيد هو أداة التصعيد التي أظهرت عمق اليقين بقدرة الله تعالى في جمعهم بعد التفرّق.

إنّ هذه الآية اشتملت على مواطن لأدب الخطاب ففي قوله: " فَصَبْرٌ جَمِيلٌ " أي إنّ سيدنا يعقوب قد لجأ إلى الصبر الجميل الذي لا جزع فيه ولا يأس، ولا شكوى للخلق. فصبري على ما نالني من فقد ولدي، صبرٌ جميل لا جزع فيه، أثاب عليه، ولو قال: صبراً لكان آمراً لنفسه بما لم يقع؛ وكأنّه يأمرها بالصبر تجلّداً. إنّ أدب الخطاب تجلى في هذا الموطن بصورة مشرقة حيث بيّن أنّه من الصابرين الذين يرجون رحمة الله ولا يقنطون بما عنده.

وبعد قول يعقوب عليه السلام: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أدب خطاب مع الله، ويدل دلالة واضحة على كمال إيمانه، وحسن صلته بالله وقوة رجائه في كرمه وعطفه ولطفه، وكأنه بهذا القول يرى بنور الله الذي غرسه في قلبه، ما يراه غيره بحواسه وجوارحه. وقدّم العليم على الحكيم، تأكيداً بأن الله يعلم حقيقة ما جرى ليوسف، ولأخيه من بعده، وله حكمته من ذلك، فعلم الله يصيب به من يشاء بحسب ما تقتضي به حكمته.

إنّ إعراض يعقوب عن أبنائه كراهة لما جاءوا به وقوله: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ قد جعله يضيف الأسف وهو أشدّ من الحزن والحسرة إلى نفسه[1]، دلالة على تصعيد الهم والحزن العميق في نفسه تأثراً على يوسف، لأنّ أسفه عليه كان متمادياً لم ينقطع قط."

[1] . الزمخشري. الكشّاف. ج٢، ص٣٤٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ولأنّ الرزء في يوسف كان قاعدةً مصيباته التي تُرتّبُ عليها الرزايا في ولده، فكان الأسف عليه أسفاً على من لحق به"[1]، ويتزايد التصعيد في قوله: ﴿ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴾ فقد تزايد الحزن حتى أن دموع يعقوب كثرت وبدا الجزء الأسود في العين و كأنّه أبيض، فقد تبدّل لون سوادهما من الهزال. ولذلك عبّر "وابيضت عيناه" دون عميت عيناه". و " في قوله: "من الحزن " فمن سببية. والحزن سبب البكاء الكثير الذي هو سبب ابيضاض العينين[2]. ونلمح التصعيد قد بلغ حدّه بقوله: "فَهُوَ كَظِيمٌ " ففي هذا القول إشارة إلى سوء الحال الذي وصل إليه يعقوب فهو مملوء بالغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوءهم، فيكون بذلك قد وصل قمة الهم النفسي.

إنّ أدب الخطاب تمثّل في قول يعقوب عليه السلام: " يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ". فأداة النداء (يا) تعبير عن الأسف العميق الذي كان في صدر الوالد الكريم، النبي الحليم، الذي لا يجد ما يعبّر به عن حزنه إلا أن يقول:﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ وفي ألف الإطلاق في (أسفا) ما يدلّ على سعة النفَس الذي ينطلق من صدر أب حزين على فقد ابنه، وفلذة كبده. وامتداد الحزن وإطلاقه على هذا الولد. ومما يدلّ على شدة المعاناة عند قوله: ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ أنّ الآية أعقبت ذلك بالعبارة القرآنيّة المؤثرة: ﴿ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ ﴾ فقد اكتفى سيدنا يعقوب بذلك ولم يصدر منه ما يسوء الأبناء، فقد كتم غيظه، ولم يظهره لبنيه.

---

[1] . نقلاً عن الزمخشري. الكشّاف. ج٢، ص ٣٤٦

[2] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ١٠٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University

ونجد في الآيتين الآتيتين مظهرا آخر من مظاهر التصعيد باستخدام أسلوب القسم في قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(الآية ٨٥ – ٨٦)، فقد كان لاستخدام أسلوب القسم دور في تصعيد الحوار بين يعقوب عليه السلام وبنيه، فالمقسم عليه بالتاء يكون نادر الوقوع لأنّ الشيء المتعجب منه لا يكثر وقوعه، فهم يتعجبون من حزنه الشديد ودوام ذكره ليوسف[1]، وترتفع درجة التصعيد في جملة جواب القسم ﴿تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ لأن "المقصود من هذا اليمين الإشفاق عليه بأنه صائر إلى الهلاك بسبب عدم تناسيه مصيبة يوسف عليه السلام وليس المقصود تحقيق أنه لا ينقطع عن تذكر يوسف. وجواب القسم هنا فيه حرف النفي مقدر بقرينة عدم قرنه بنون التوكيد لأنه لو كان مثبتاً لوجب قرنه بنون التوكيد فحذف حرف النفي هنا"[2].

لقد تزايد خوف أبناء يعقوب عليه، حتى نصحوا والدهم، وأشفقوا عليه، وخالط ذلك شيء من اللوم والتعنيف، فهم يصعّدون سوء الحال الذي وصل إليه والدهم ليكفوه عن البكاء والحزن، لكي لا يكون من الهالكين، غير أن يعقوب عليه السلام قد عمل على خفض التصعيد بقوله: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. لقد أوقفهم عن لومهم له، فهو لا يشكو لهم، وإنّما يشكو إلى الله لا إلى نفسه ليجدد الحزن، فصارت الشكوى بهذا القصد ضراعة وهي عبادة لأنّ الدعاء عبادة.وهذا من باب أدب الخطاب. فإن الإنسان لا يشكو إلا إلى خالقه. ويزيد من تصعيد قوله لهم بأنه يعلم علماً من

---

[1] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٥٢٣

[2] . نقلاً عن ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ١٠٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

عند الله علّمه إياه لا يعلمونه، وهو علم النبوة. فهم عاجزون عن إدراك المقاصد العالية ليعلموا أنهم دون مرتبة أن يعلّموه أو يلوموه[1].

يتوالى التصعيد في هذه السورة الكريمة فنجده يأخذ بالارتفاع من آية إلى أخرى فيظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ (الآية ٨٧ – ٨٨) فقد استجاب الأبناء لطلب والدهم وذهبوا يستطلعون أخبار يوسف وأخيه، ورجعوا إلى مصر بتوجيه نبويّ من والدهم، وأخذت الأحداث بالتصعيد بدخول أبناء يعقوب على عزيز مصر للمرة الثالثة، ويعدّ النداء أحد أدوات التصعيد، فالتفخيم للنداء جاء من أجل استمالة العزيز، ثم بدأوا بترقيق قلبه بشكوى الحال من جوعٍ صار بهم إلى هزال.

إنّ اختيار التفخيم والترقيق فيه تصعيد للخطاب الذي جرى بينهم وبين يوسف عليه السلام. فالتفخيم بندائه بلقب العزيز، يهدف إلى أن ما سيطلبونه هو أمر في متناول سلطته. أمّا الترقيق بشكوى الحال فقد كان اعتذاراً عن الثمن الذي سيدفعونه ثمناً للبضاعة التي سيعطيهم إياها. والذي يزيد من تصعيد الخطاب صيغة الأمر التي جاءت بمعنى الرجاء أن يوفّى لهم الكيل ولا ينقصه ويجعله بمثابة الصدقة عليهم[2]، فقد عملت الرقة التي

---

[1] . نوفل، أحمد. سورة يوسف، دراسة تحليلية. ص ٥٢٤

[2] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج ١١، ص٧٠٥٧ – ٧٠٦٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أبدوها في كلامهم على رفع درجة التصعيد الإنساني العاطفي في نفس يوسف فأدركته الرقّة وباح لهم بما كان يكتمهم من شأنه[1].

لكن يوسف عمل على رفع تصعيد الخطاب مع إخوته، وخفض التصعيد العاطفي بقوله: ﴿ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ وذلك باستعمال الاستفهام التوبيخي، فهو توبيخ على ما يعلمونه محققاً من أفعالهم مع يوسف عليه السلام وأخيه، أي أفعالهم الذميمة بقرينة التوبيخ، وهي بالنسبة ليوسف عليه السلام واضحة. وأما بالنسبة إلى بنيامين فهي ما كانوا يعاملونه به مع أخيه يوسف عليه السلام من الإهانة التي تنافيها الإخوة، ولذلك جعل ذلك الزمن زمن جهالتهم بقوله: ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾[2]. وبهذه الجملة يكون الأمل قد تصاعد في نفوس الإخوة بالعثور على يوسف وأخيه. إضافة إلى تصاعد الأمل في الصفح والعفو عنهم من يوسف.

ويظهر أدب الخطاب على لسان يوسف في " إذ أنتم جاهلون " ففي هذا القول ما يلتمس لهم به العذر بالجهل، فلم يتحدّث إليهم بعزة الكبرياء، وغرور المكانة التي وصل إليها، فهدفه أن يخفف عنهم صدمة المفاجأة، فذكر لهم أنّهم فعلوا ذلك أيام جهلهم[3]. إن استخدام الحدث في الزمن الماضي " فعلتم " واستخدام الظرف " إذ " يشير إلى الزمن الماضي الذي كانوا فيه جاهلين قبل أن يصلوا درجة التعقّل، كأنّ يوسف عليه السلام أراد أن يخفف عنهم شدة الحرج الذي كانوا فيه أمامه، فهو يصفح عنهم ويلتمس لهم العذر عن سوء فعلتهم به، مما جعلهم يتمنّوا أن لو تسوّى بهم الأرض.

---

[1] . الطبري. جامع البيان في تأويل القرآن. ج ١٦، ص ٢٤٤

[2] . قطب، سيد. في ظلال القرآن. ج٥، ص ٤٤ – ٤٥

[3] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج ١١ ، ص ٧٠٦٠ – ٧٠٦١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

إنّ العبارات التصعيدية تأخذ بالتزايد من بداية السورة حتى نهايتها، فترتفع درجته عند سؤالهم إخوة يوسف بأسلوب الاستفهام التقريري حيث:﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾(الآيـــة ٨٩ – ٩٢)

ففي سؤالهم التقريري الذي أكدوه دليل على تصعيد الفرح والسرور في نفوسهم وذلك بنجاحهم في التحسس الذي أوصاهم به والدهم[1]. فهم بالسؤال يريدون إقراراً، وفي توكيدهم أرادوا أن يؤكد لهم ما توصلوا إليه ليزدادوا يقيناً، فيأتي التصعيد اليقيني على لسان يوسف بقوله: " أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي " مؤكّداً لهم ما قد تحققوا منه، ويستمرّ التصعيد على لسان يوسف عليه السلام بتعليم إخوته وسائل التعرض إلى نعم الله، وحثهم على التقوى والتخلّق بالصبر تعريضاً بأنهم لم يتقوا الله فيه وفي أخيه ولم يصبروا على ما توهموه من إيثار أبيهم إياهما[2].

وفي موضع آخر من قولـه تعـالى:﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ يرتفع التصعيد باعتراف إخوة يوسف بالفضل له وأكّدوا إقرارهم بالقسم "تالله" بعدما جحدوا فضله في زمن مضى بقولهم: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا

---

[1] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج ١١، ص ٧٠٦٢

[2] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ١١٣

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (الآية ٨)، وتتزايد درجة التصعيد في قولهم حتى وصلوا إلى الاعتراف بارتكابهم الخطيئة، ليبلغ التصعيد أعلى درجاته على لسان يوسف بقوله لهم: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ فقد تنازل عن لومهم وعتابهم، ثمّ يصل إلى درجة عالية من الصفح والعفو بأن يدعو لهم بالمغفرة من الله تعالى.

وترى الباحثة أن أدب الخطاب قد ظهر في مواضع عدة من الآيات؛ ففي هذه الآيات نلمح أدب خطاب راقٍ من يوسف في قوله تعالى: ﴿ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ فقد عبر يوسف عن منّة الله وفضله عليه تعويضاً عما عاشه يوسف من خداع إخوته وغدرهم، ولم يصارحهم بلغة اللوم والعتاب. إنّما عبّر عنها بامتنانه بفضل الله عليه، وما نلمحه كذلك من أدب يوسف في الخطاب مع إخوته وبما ينسجم مع سجايا الأنبياء.

لقد كان اعترافهم يحمل في طيّاته طلب العفو والصفح وإظهار الندم فيردّ عليهم يوسف بطلب المغفرة لهم وأن الذمّ مرفوع عنهم وذلك واضح في قوله: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾ وتظهر معالم النبوة في سلوكه عند دعائه لإخوته بالرحمة والمغفرة؛ لأنهم قصّروا في حقّ الله بفعلتهم. أمّا بحقّه فقد صفح وعفا عنهم، وهو مدرك أنّ الله كريم مع عباده، فإذا كان البشر يغفر ويصفح فلن يكون أكرم من الله عزّ وجل ، لذلك قال: ﴿ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ فالإخوة لم يقولوا ليوسف استغفر لنا ذنوبنا، لكنّ يوسف هو الذي

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

بادر إلى طلب المغفرة مؤكّداً لهم أن الله رحيم بعباده بتذييل في آخر الآية ﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾.

وتتصعّد أحداث القصة في المعجزة التي أجراها الله لنبيه وما تحمله هذه المعجزة من قيمة إيمانية وبشارة لنبي الله يعقوب عليه السلام، واعتراف أبنائه بذنبهم، فقد ظهر التصعيد بالطلب وجوابه، والتوكيد والقسم والشرط والاستفهام والنداء. فلما قال ربّ العزة على لسان يوسف:﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الآية٩٣) فهذا يعني أنّ فعل الأمر "اذهبوا" فيه تكليف مباشر لمن يحملون القميص لتبشير يعقوب عليه السلام بحياة ولده، وإدخال السرور عليه بذلك؛ ليكون هذا القميص في مقابلة القميص الأول الذي جلب الحزن والعمى ليعقوب، وكان مقابل القميص الثاني شاهد النقاء والطهر، ويتصعّد التكليف بالفعل " ألقوه " ليضمن يوسف عليه السلام انتعاش قلب أبيه، وعودة البصر إليه، لأنه يدرك أنّ للفرح تأثيراً عظيماً في سلامة الجسد[1] لذلك قال من باب جواب الطلب ﴿ يَأْتِ بَصِيرًا ﴾، فالتصعيد الذي يستهدفه يوسف هو الوصول إلى هذه النتيجة.

وتتصاعد الأحداث التي تحمل البشرى والسرور ليعقوب عليه السلام، حيث ترتفع درجة التصعيد الحسي في التوكيد الوارد على لسان يعقوب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ (الآية٩٤).

فقد أدرك يعقوب بقلبه إلهاماً رائحة يوسف، "وإيجاد يعقوب لريح يوسف عليه السلام إلهام

---

[1] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٥٣٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

خارق للعادة جعله الله بشارة له، إذ ذكّره بشمه الريح الذي ضمّخ به يوسف عليه السلام حين خروجه مع إخوته، وهذا من صنف الوحي بدون كلام ملك مُرسل. وهو داخل في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾[1] (الشورى ٥١). ولكن يعقوب عمل على خفض التصعيد بقوله:﴿ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ فهو الوحيد الذي يدرك حقيقة قوله، لأنه نبي موحى إليه من عند الله فهو يعلم من الله ما لا يعلمون، فعندما عمل على خفض التصعيد، لأنه تأكّد أنّهم سيلومونه، وسيقتلون الأمل في داخله فقد مهّد لذلك بقوله: "لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ".

يزداد التصعيد بمجيء البشير الذي يحمل البشارة لسيدنا يعقوب عليه السلام، وهذا ظاهر في قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الآية ٩٦)، فانقلب إلى حاله الأولى بصيرا، بعد أن ابيضت عيناه من الحزن، فتزايدت درجة التصعيد بقوله لمن حضره من أولاده وأهله الذين كانوا يفندون رأيه، ويتعجبون منه منتصرا عليهم، مبتهجًا بنعمة الله عليه: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

وتنخفض درجة التصعيد عندما يتوجّه أبناء يعقوب قائلين بلهجة الاعتذار والتوبة ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ (الآية ٩٧) فقد عمل النداء وهو أحد أدوات التصعيد على خفض درجته، لأن النداء هنا فيه استعطاف لوالدهم، وفيه إشراقة

[1] . نقلاً عن ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ١١٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

للنفوس بالإيمان حيث تتجلى في طلب الاستغفار، والطلب من والدهم أن يستغفر لهم، فذلك الطلب يبرر أنهم كانوا خاطئين[1]. وتزداد درجة التصعيد بقوله: ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الآية ٩٨) حيث إن الأب قد عمل على رفع الروح المعنوية لدى أبنائه عندما وعدهم بأن يستغفر لهم، وقد زاد في تصعيد استجابته لهم بالتوكيد الذي جاء على لسانه بأنّ مغفرة الله أكبر من خطئهم.

إنّ أدب الخطاب تجلّى في أكثر من موضع وذلك ظاهر في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ حين أكّد يعقوب لأبنائه، أنّه نبي الله، موحى إليه ويعلم رحمته، فقد أحسن الظن بالله، لذا جاءه الفرج من حيث لا يحتسب، فهو يعلّمهم بطريقة غير مباشرة، بألا يقطعوا الرجاء من الله. أمّا في خطاب الأبناء لأبيهم:﴿ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾ فأرى في النداء استعطاف، واعتراف بالذنوب التي ارتكبوها بحقّ أبيهم وأخويهما.

إن التصعيد الختامي للأحداث يتزايد، ففي دخولهم مصر تمت النعمة على سيدنا يوسف. وفي موضع سابق من الآيات وعد الله سيدنا يوسف بإتمام النعمة عليه كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ فقد أظهر الله إتمام النعمة وها هي تتحقق لسيدنا يوسف، حيث تتصعّد هذه النعمة لتصل إلى التئام الشمل، والالتئام رافقه

[1] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٥٤٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

امتلاء القلوب بالمودة والتصافي[1]، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ (الآية ٩٩). وقد ارتفعت درجة التصعيد في الدعاء الوارد بصيغة الأمر، حيث بادر يوسف أهله به عند اللقاء ليؤنسهم،ويطمئنهم وليزيل عن قلوبهم ما علق بها من الوحشة بالغربة، وكأنه أراد أن يبيّن لهم أن مصر صالحة، لأن تكون مستقراً لهم، ومكان كريم لسكنهم، وفي هذا تصعيد نفسي عظيم للروح المعنوية عند إخوته حيث كان هذا الدعاء إعلان من يوسف عن عفوه وصفحه عنهم.

وثمّة تصعيد آخر يظهر في قوله تعالى:﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(الآية ١٠٠) حيث عمل يوسف على تصعيد البرّ والإحسان وذلك برفع أبويه على سرير الحكم، فهذا قمة الإجلال والإكبار، فمن تمام البرّ أن لا يعتبر نفسه في حضرة والديه هو العزيز، ولا يرتفع عليهما وإن كان يسرهما هذا، ولكنّه من خلقه العظيم وبره الكريم لا يفعله، بل يرفع أبويه على سدة الحكم وكرسي الوزارة[2].

إن هذا التصعيد الأخلاقي من جانب يوسف مثلٌ يضربه لإخوته حتى لا يثير في نفوسهم أي غيرة. غير أن هذا المثل جعل الإخوة يسمون بأخلاقهم وينسون أحقادهم،

---

[1] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٥٤٦

[2] . المرجع السابق. ص ٥٤٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

"ويخرّون سجّداً لله إكراماً لأخيهم"[1]، مؤكدين أيمانهم التي أقسموا بها في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾. وفي فعلهم هذا تصعيد لاعترافهم بخطئهم الذي ارتكبوه بحق يوسف عليه السلام.

إنّ النداء في قوله:" يَٰٓأَبَتِ " قد عمل على خفض التوتر ويعدّ من باب التذكير بالماضي، أي بالرؤيا التي رآها، ولكنّه رفع درجة التصعيد في قوله: ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾ باستعمال حرف التحقيق، أي إنّ الرؤيا تحققت لسيدنا يوسف، وذلك بإخراجه من السجن، فأولى النعم إخراجه من السجن، ولأنها متصلة بما أصبح فيه من نعيم مقيم ومقام كريم. ويظهر أدب الخطاب في خطاب سيدنا يوسف لأبيه، فلم يذكر له حوادث الابتلاء وما تجرّعه من مرارة وألم، لأنه لم يرد أن يجرح شعور إخوته الذين كانوا سبباً بذلك. ولئلا يكدّر أهله بذكر الحوادث المثيرة للألم، وهم في وقت صفائهم وغبطتهم باجتماعهم به. ومن أدب الخطاب أنّه اعتبر أن ما حدث بينه وبين إخوته بسبب الشيطان، فلم يشأ أن يذكرهم بأي إساءة، وإنّما هي نزغة من شيطان وقعت بينهم. ويعتبر المحن التي واجهته نعماً وذلك لإفضائها إلى النعم الكبرى التي هو فيها الآن[2].

---

[1]. نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٥٤٧

[2] .المرجع السابق. ص ٥٤٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانيًا: الترتيب

العبارات الترتيبية التي يظهر فيها دقة الاختيار لإعطاء المعنى المراد، تظهر في مواطن متعددة في السورة. فنجد التقديم والتأخير واضحًا في بداية السورة، حيث يظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (الآية ٣) فقد افتتحت الجملة بضمير العظمة " نحن " للتنويه بالخبر، وتقديم الفاعل دلالياً هنا على الفعل جاء لإفادة الاختصاص، وفيه تأكيد أن الذي يقصّ هذه القصص هو الله لا غير رداً على من يطعن من المشركين في القرآن[1].

ويعدّ الترتيب من سمات آيات سورة يوسف فنجده في آيات متعددة من السورة الكريمة وهذا ظاهر في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (الآية ٤) فقد ذكر يوسف أولاً الكواكب لكثرتها. إلا أنها لا تعطي إضاءة كالشمس والقمر؛ لذلك جاء ذكر الشمس والقمر بعد الكواكب؛ فالشمس تدفع الظلمة، وتعدّ مصدر الحياة. وقد أفاد العطف هنا الجمع والمشاركة في حكم السجود، فالنجوم العظيمة كالشمس شاركت الكواكب في السجود، وهذا يدلّ على عظمة الحدث ألا وهو السجود. "وقد أخّر الشمس والقمر ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بياناً لفضلهما، واستبداداهما بالمزية على غيرهما من الطوالع"[2]. ومن الممكن

---

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج ١٢، ص ٩

[2] . الزمخشري. الكشّاف.ج٢، ص ٣٠١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أن يكون تأخر مجيء الشمس والقمر بعد الكواكب إشارة إلى تأخر ملاقاته لوالديه عن ملاقاته لإخوته، بعد أن أصبح عزيزاً لمصر.

أمّا تقديم الجار والمجرور في قوله: "لِي سَٰجِدِينَ" فقد جاء لإظهار العناية والاهتمام بالمسجود له، واختصاصه بالحدث، حيث عبّر به عن معنى تضمّنه كلام يوسف عليه السّلام بلغته يدل على حالة في الكواكب من التعظيم له تقتضي الاهتمام بذكره[1]. إنّ في التقديم هنا أهميّة كبرى من الناحية التداولية، حيث إن تقديم الجار والمجرور على العامل جاء لبيان المنزلة التي صارت ليوسف وقد تحققت رؤياه حتى إن إخوته اعترفوا له بالفضل عليهم فسجدوا له.

إنّ في قول يوسف: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ أدباً جماً لا يصدر إلا عن نبيّ أوحي إليه. فالكواكب في السماء لا حصر لها، فكيف رأى أحد عشر كوكباً فقط؟ فلا بدّ من أنهم اتصفوا بصفات خاصة ميّزتهم عن بقية الكواكب الأخرى، وقام بعدّهم، فقد رآهم شمساً وقمراً وأحد عشر كوكباً، ثمّ رآهم بعد ذلك ساجدين. رآهم يوسف أولاً بصفاتهم التي نرى بها الشمس والقمر والنجوم بدون سجود، ثمّ رآهم وهم ساجدون، فتكرار كلمة " رأيت " هنا لإيضاح الأمر[2]. فقد رفع يوسف بهذه الرؤيا منزلة إخوته قبل مجيء وقت السجود له عندما وصفهم بأنهم أحد عشر كوكبا، فما كان منهم إلا أن يمتثلوا لأمر الله.

ونجد عنصر الترتيب وارداً في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (الآية ٥) حيث إنّ تقديم الجار على

---

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ١٤

[2] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج١١، ص ٦٨٤٣

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المجرور في (لك) جاء لغرض الاختصاص؛ أي فيكيدوا لك خصوصاً كيداً عظيماً، وقد أكّد الفعل (فيكيدوا) بالمصدر (كيداً) لتحذير يوسف وتخويفه من قصّ الرؤيا على إخوته.

نجد وفي موضع آخر أنّ الترتيب كان له أثر دلالي واضح في قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (الآية ٦) فالترتيب المتأدب للأفعال يجتبيك، ويعلمك، ويتم نعمته عليك، يشير إلى أمارات النبوة، وأنّ أول أماراتها الرؤيا. وبعد الرؤيا التي تحققت له سيجتبيه الله ويصطفيه كما اصطفى آباءه من قبل، وفي قوله:" وكذلك " إشارة إلى ما دلّت عليه الرؤيا من العِناية الربّانيّة به، أي ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربّك في المستقبل، والتّشبيه هنا تشبيه تعليل؛ لأنّه تشبيه أحد المعلولين بالآخر لاتّحاد العلّة . وموقع الجار والمجرور موقع المفعول المطلق لـ" يجتبيك" المبيّن لنوع الاجتباء ووجهه. والاجتباء: الاختيار والاصطفاء؛ أي تمّ اختياره من بين إخوته، أو من بين كثير من خلقه. وقد علم يعقوب عليه السّلام ذلك بتعبير الرؤيا ودلالتها على رفعة شأنه في المستقبل، فتلك إذا ضُمّت إلى ما هو عليه من الفضائل آلت إلى اجتباء الله إياه، وذلك يؤذن بنبوءته. وإنّما علم يعقوب عليه السّلام أنّ رفعة يوسف عليه السّلام في مستقبله رفعة إلهية، لأنّه عَلِمَ أن نعم الله تعالى متناسبة فلمّا كان ما ابتدأه به من النعم اجتباءً وكمالاً نفسيّاً تعيّن أن يكون ما يلحق بها، من نوعها [1].

ثم إنّ ذلك الارتقاء النفسي الذي هو من العطايا الإلهية غايته أن يبلغ بصاحبه إلى النبوة أو الحكمة، فلذلك علم يعقوب عليه السّلام أنّ الله سيعلّم يوسف عليه السّلام من تأويل

---

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير.ج١٢، ص ١٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الأحاديث، لأنّ مسبّبُ الشيء مسبّب عن سَبب ذلك الشيء، فتعليم التّأويل ناشئ عن التشبيه الذي تُضمنه قوله: " وكذلك "؛ ولأنّ اهتمام يوسف عليه السّلام برؤياه وعرضها على أبيه دلّ أباه على أنّ الله أودع في نفس يوسف عليه السّلام الاعتناء بتأويل الرؤيا وتعبيرهـا.

وهذه آية عبرة بحال يعقوب عليه السّلام مع ابنه، إذ أشعره بما توسّمه من عناية الله بـه ليزداد إقبالاً على الكمال بقوله:"﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾[1]، فالاجتباء تكريم ليوسف بأنه هو الذي اختاره الله ليكون نبياً.

وللعطف أهمية كبيرة في ترتيب ما الذي سيجري ويحدث بعد عملية الاختيار، وهو التعليم الذي سيتحقق ليوسف بأن يهبه الله نفاذ البصيرة وصدق الحسّ والقدرة على تأويل الرؤيا[2]، وسيصل إلى شأنٍ عظيمٍ بفضل العلم في تأويلها، وأنّ الله سيجعل له شاناً كبيـراً في الأرض ويتم النعمة عليه بالنبوة والملك فيكون المراد إتمام نعمة الاجتباء الآخـروي بنعمة المجد الدنيوي[3].

إنّ لترتيب الأفعال أثراً بارزاً في بيان التدرج في أحوال حياة سيدنا يوسف عليـه السلام، وإشارة أخرى من ربّ العزة بأنّ يعقوب نبي لله يوحى إليه بما سيحدث ليوسـف عليه السلام. أما استخدام حرف العطف الواو الذي يفيد الجمع والمشاركة فيه إشارة إلـى أنّ هذه الأحداث ستحدث كلها مجتمعة.

إنّ الترابط التسلسلي بالواو أبعد أثراً ففي يجتبيك ويعلّمك ويتمّ نعمته عليك وعلى آل يعقوب تواضعاً، فلم يذكر نفسه، فهذا من أدب الخطاب فعندما أراد ذكر النعم عليه لم يذكر

---

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ١٩- ٢٠

[2] . قطب، سيد. في ظلال القرآن. ج٤، ص٦٩٦

[3] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٢٨٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نفسه بالخصوص، وإنّما ذكر آل يعقوب ، فعند نفسه عمّم، فهذا أدب خطاب وتواضع منه، حيث ذكر بالتفصيل إبراهيم وإسحاق. فأدب الخطاب يظهر في " آل يعقوب " فعند التعميم شمل نفسه، وعند التخصيص استثنى نفسه، فقال إبراهيم وإسحاق. فكان ذلك من باب العموم الذي لا يخصّ أحداً بعينه.

إنّ للترتيب في أركان الجملة أثراً كبيراً في توضيح دلالة الجملة، فنجد عناصر تقدّمت على أخرى، وما ذاك إلا لأجل غاية لغوية وفائدة دلالية. فالترتيب ظاهر في قوله تعالى :﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ (الآية ٧) حيث إنّ لتقديم خبر كان على اسمها " في يوسف وإخوته " فائدة دلالية، حيث اقتصر الخبر على يوسف وإخوته، لأنّهم موضوع القصة ومحور السورة الكريمة، وما سواهم فهو مذكور بالمناسبة والعرض، فلقد جاء التقديم للخبر وافتتاح الآية به، لأجل تحريك الانتباه والاهتمام، فالظرفية المستفادة من " في " ظرفية مجازية بتشبيه مقارنة الدليل مع المدلول، أي لقد كان شأن يوسف عليه السلام وإخوته مقارناً لدلائل عظيمة من العبر والمواعظ، والتعريف بعظيم صنع الله وتقديره[1].

أما تأخير اسم كان، فالهدف منه تخصيص الفائدة بمن يبحث عنها، "ففي قصة يوسف عليه السّلام دلائل على ما للصّبر وحسن الطويّة من عواقب الخير والنصر، أو على ما للحسد والإضرار بالنّاس من الخيبة والاندحار والهبوط"[2]. وتمثّل هذه الآية الجملة النص في السورة كلّها حيث تشتمل على أدب خطاب شامل. فكلّ ما يرد في السورة من

---

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ٢١

[2] . نقلاً عن المرجع السابق. ص ٢١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أحداث سيكون شاملاً لكلّ أحداث القصة. فقد قدّم يوسف في الذكر لأنّ السورة من بدايتها حتى نهايتها تتحدث عنه.

وفي موضع آخر من السورة الكريمة استخدمت فيه الأفعال بترتيب معيّن، فباستخدام صيغة فعل الأمر في قوله تعالى: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الآية ١٢) بيان لمدى إصرار إخوة يوسف، وتوكيد طلبهم اصطحابه، حيث إنهم يعملون ما فيه نفع ليوسف عليه السّلام.وجملة " أرسله " مستأنفة استئنافاً بيانيّاً؛ لأن الإنكار المتقدّم يثير ترقب يعقوب عليه السّلام لمعرفة ما يريدون منه ليوسف عليه السّلام[1]. ففي جملة أرسله زيادة توكيد للجملة السابقة لها ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴾ لذا جيء بصيغة الأمر المؤكدة للاهتمام بشأن يوسف، ويعدّ ذلك من باب أدب الخطاب مع والدهم فهم لا يقصدون الأمر وتنفيذ الطلب، وإنّما توكيد الاهتمام بأخيهم.

وترى الباحثة أنّ الإتيان بصيغة المضارع فيه تعبير عن تجدد رغبة الأطفال في اللعب.واسم الفاعل (حافظون) يدلّ على التجدد أيضاً. وقد جاء في ختام الآية من أجل الدلالة على المحافظة على يوسف حتى النهاية.

أمّا في قوله تعالى:﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾(الآية ١٣) فإنّ استخدام لام التوكيد في قوله "إنّه ليحزنني" يدلّ على تأكيد حزنه، وتقديم المفعول على فاعله جاء لبيان الفائدة وإيضاح أثره السيئ في نفسه إن فارقه يوسف، فأول ما تسلل إلى نفس يعقوب الحزن الذي سيصيبه إن حدث الذهاب. وقد قدم العذر الأول رداً على عتابهم الاستنكاري وجعله ينفي بطريق غير مباشر أنّه لا يأمنهم

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ٢٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

عليه، ويعلل احتجازه معه بقلة صبره على فراقه[1]. ونرى الباحثة أن هذا الاعتذار قد تقدّم ذكره لتحريك العاطفة في نفوس الأبناء إزاء والدهم الذي شُغف بحبّ هذا الابن، ليرعوا حقّ الأبوة، وليزيل من نفوسهم شكّه بهم.

و يأتي العذر الثاني وهو الخوف عليه من أن يأكله الذئب، فيعقوب عليه السلام يدرك حقيقة نفوس أبنائه، فتقديم الاحتمال العقلي بأن يأكل الذئب يوسف كان من باب الاعتذار عن خوفه عليه في ساعة غفلة منهم[2]. إلا أنه يدرك تماماً ما الذي سيجري ليوسف، وما الحجة التي سيعتذرون بها له بعد تنفيذ ما يزمعون عليه، فلما اختار سيدنا يعقوب " وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ " فلأنّه نبي موحى إليه وقد أدرك إلحاحهم فأجابهم بقوله:" وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ". وقد قدّم الجار والمجرور على الخبر لإفادة الاختصاص أي يكون الإخوة خاصة في حالة غفلة عن يوسف وفي لفظة "غافلون" مسوّغ لامتناعه عن الاستجابة لطلب الخروج به، إنه بذلك يعلّمهم أدب الخطاب فالابن البار يتقي ما يحزن أباه.

ونلمح أدب الخطاب في قول يعقوب عليه السلام: " وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ " فهو لا يتهم إخلاصهم. فإذا تأمّلنا الحكمة في قوله وجدناها في ذلك أسلوب تربية عظيماً، فهو لا يهدم جسر الثقة بينه وبين أبنائه، فهو يعلم يقيناً ما هم عليه من سوء طوية لكنّه لا يصارحهم بذلك، حرصاً على بقاء خيط الحياء في نفوسهم موصولاً حتى لا يتجرؤوا على

---

[1] . قطب، سيد. في ظلال القرآن. ج٤، ص ٧٠١

[2] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص٣٠٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

معصيته، وقد عزا ما سيحدث ليوسف إلى الغفلة وليس إلى كيدهم وحقدهم عليه. فهو لا يؤذي مشاعر أبنائه باتهامهم صراحة، وقدم لهم ذلك الاحتمال ليؤكّد عدم شكّه بهم.

ونجد الترتيب واضحاً في الأفعال الماضية في قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (الآية ١٩). فإنّ حدث المجيء يشير إلى قرب نجاة يوسف، كما أن استخدام الفاء العاطفة والفعل (أرسلوا) يدلّ على هذا الغرض، فالفاء العاطفة تفيد الترتيب والتعقيب، والتعقيب يكون سريعاً. لذا استخدمت لتدل على أن الحدث الآخر بعد المجيء، هو إرسال الوارد بسرعة إلى البئر ليسقي قومه، وذلك كلّه بتوفيق من الله، والإسراع بإدلاء الدلو سخّر من أجل الإسراع في نجاته[1].

لقد نجا يوسف، وأخرج من الجبّ فكانت بشرى عظيمة للوارد، حتى إنه قال يا بشرى؛ فقد استخدم يا النداء هنا؛ للدلالة على الفرح الذي حصل لديه. وترى الباحثة أنّ هذا من أدب الخطاب فاستخدام المد في بشرى هنا يدلّ على الاستغراق في سعادته عند رؤيته، وتعبير عن فرحه بهذا الغلام، فأدب الخطاب هنا برز في هذا الموضع بأبهى صوره، حيث أظهر النداء مقدار الفرح والسرور لدى الوارد حتّى قال يا بشرى. وعلى الرغم من فرح السيارة بيوسف، إلا أنهم جعلوه بضاعة وأسرّوها لكي لا يعلم بها أحد.

ونجد في قوله تعالى:﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ (الآية٢٠) أحداثاً متتابعة بعد النجاة من الجبّ، حيث صاحب عملية النجاة والبشرى بهذا الغلام عملية البيع، ثمّ أن الصفة المشبهة على وزن (فَعْل) تشير إلى

[1] . العلمي، عبدالله. مؤتمر تفسير سورة يوسف. ج١، ص ٤٢٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الكثرة، وهي هنا المبالغة في تقليل ثمن شرائه، وفي هذا الترتيب للأحداث نجد أن الأمور سارت كما أرادها إخوة يوسف من طمس آثار أخيهم. ولكن الله أراد بيوسف الخير؛ فجاء هذا الخير ليزيل ما كان قد وقع ليوسف من الشرّ فكانت هذه المحنة الأولى التي يتجاوزها يوسف عليه السلام[1]. وترى الباحثة أنّ تقديم الجار والمجرور"فيه" على "الزاهدين" يشير إلى التنويه بشأن المزهود فيه، والتنبيه على ضعف بصيرتهم وتوسمهم به. فلو عرفوا القيمة الحقيقيّة له لما باعوه بهذا الثمن.

يظهر الترتيب في قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (الآية ٢٢)، فالحكمة مرتبطة بالبلوغ؛ أي إنّها لا تكون حتى يكون البلوغ، وقد قدّم الحكمة على العلم؛ لأنّ الحكمة هي الأساس؛ فلا قيمة للعلم بدون حكمة[2]. فالحكمة لا تتأتى إلا بوجود اعتدال في التفكير، والعقل لا يبلغ الرجاحة إلا بعد سنٍ معينة. وقد قدّم الحكمة لسبب آخر وهو أنها تجعل الانتفاع بالعلم ممكناً، ولأن الحكمة تقود صاحبها إلى الابتعاد عما لا يقبله العقل، ولا يشترط في العالم أن يكون حكيماً.

وفي قوله تعالى:﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(الآية ٢٣) ترتيب مقصود ففي هذه الآية الكريمة استخدم الفعل الثلاثي المزيد (راود) الدال على المتابعة والتكرار، وفي هذا إشارة إلى أن عملية المراودة كانت أكثر من مرة بصورة

---

[1] . قطب، سيد. في ظلال القرآن. ج٤، ص٢٩٧

[2] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج١١، ص ٦٩٠١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

متتابعة لتنال مأربها[1]. وفي تقديم المفعول على فاعله إشارة إلى يوسف لأهميته العظيمة، ولخصوصيّة المراودة فيه. وبعد إصرار يوسف على رفض ما أرادته، غلّقت الأبواب وهي الخطوة الأكثر حسماً؛ لتظفر به. فاستخدام صيغة فعّل تدل على شدة الإغلاق وإحكامه وقد دفع إلى هذا رغبتها الجامحة في سلب غايتها منه، ومن البداهة أنّ إغلاق الأبواب سيتبعه عمل أكثر إغراءً وهو ترقيق القول له حتى يستجيب لرغبتها حيث قالت: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾، وقالت ذلك بعد أن سلكت كل سبيل لإغرائه، إلا أنه كرر عليها الرفض، فقال: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ اعترافاً منه بفضل العزيز عليه وأنه لا يخون من كان مصدر الإنعام عليه، ومصدر الأمان له بعدما انقطعت به السبل. وقد استخدم صيغة المصدر معاذ للدلالة على استحالة اقترافه هذا الإثم، وكأن يوسف عليه السلام يذكرها بما يجب عليها من الحفاظ على غيبة زوجها الذي أحسن مثواها حين قال لها إنه لا يفلح الظالمون.

إنّ استخدام الأفعال بزياداتها واستخدام مصادرها كان له أثر بالغ في إظهار التدرج والترتيب الذي جرت فيه أحداث عملية المراودة، التي انتهت برفض يوسف الانصياع لرغبتها مع ما رافق ذلك من النصح الذي قدّمه لها لتنتهي عن مراودته.

وترى الباحثة أن من كمال الأدب مع الله أن يضع الإنسان مخافته نصب عينيه، وهذا ما نجده في قول يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، حيث أضيف المصدر إلى لفظ الجلالة في "معاذ الله" لبيان مدى خشية يوسف من الله، الذي هو مصدر العصمة له، وكذلك لا يخون من كان مصدراً

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ٤٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لإكرامه وإيوائه، فقد قرن مصدر العصمة بمصدر الإحسان إليه، فإذا حفظ الإنسان الإحسان إليه حفظه الله ونجّاه من كل مكروه، ودليل ذلك التوكيد الوارد على لسان يوسف بعدم فلاح الظالم، فكأنه يذكّر زوجة العزيز بما يجب عليها فعله لمن يكرم مثواها، فهذا من أبسط حقوق الزوج على زوجته أن تحفظ غيبة زوجها، ونجده في قوله "معاذ الله" قد صرفها ونهاها عمّا أرادته باحتجاج وملاينة فلم يصرفها بشدة ودلّ على ذلك بعدم فلاح الظالمين.

وجاء الترتيب بتقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (الآية ٣٣ – ٣٤)، ويتضح أن التقديم في "عني" على المفعول به "كيدهنّ" وتقديم الجار والمجرور "عنه" على المفعول به "كيدهنّ"، وكذلك تقديم "له" على الفاعل "ربّه" من أجل إبراز الاهتمام بالحدث، وهو صرف الكيد عن يوسف. وقوله: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ﴾ ففي الخبر دعاء، حيث لزم يوسف الأدب مع الله ودعاه بلطف[1]، فكان الدعاء فيه استسلام لله ورغبة إليه وتوكّل عليه[2].

وباستخدام أسلوب الشرط نجد أنّ يوسف جعل الصرف مصدراً للعصمة من الوقوع بالذنب، فقدّم الفعل (تصرف)، لأنّه هو أساس النجاة من الكيد، وأن الكيد لا يصرف عنه إلا بقدرة ربّه، فعدم صرف الكيد عنه يؤدي إلى إذعانه إلى رغبتهنّ والوقوع في المعصية، وفي استخدام الفعل (أكن) دلالة بيّنه بأنّ الاستجابة لرغبتهنّ ستحدث،

---

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ٥٨

[2] . ابن عطية. المحرر الوجيز. ج٣، ص٢٤١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وستقوده إلى المعصية والجهل بحدود الله، وباستخدام العطف نجد الاستجابة جاءت سريعاً بأن صرف الله الكيد عنه فقد حدثت الاستجابة أولاً، ثمّ ثمّ صرف الكيد عنه بعد ذلك.

وترى الباحثة أنّ للشرط والعطف أهمية في ترتيب المعنى المراد فجاء القول على لسان يوسف: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾ لبيان رغبة النفس الداخلية ونقائها لدى يوسف، وإظهار الرغبة الفاسدة لدى النسوة. فقد بدأ بالحديث عن نفسه أولاً وبيّن صلاحها ورغبتها في النقاء، وجاء بالمقابل في الرغبة الباطلة لدى جماعة النسوة. وقد استخدم أسلوب الشرط لبيان مدى خطورة عدم صرف الكيد عنه، وباستخدام أسلوب العطف نجد الإجابة على سؤال يوسف فكان له ما سأل.

ويظهر أدب الخطاب في قول يوسف حيث قال: :"رَبِّ " وذلك اعتراف منه بفضل الله سبحانه عليه، لأنه هو من تولاه بالعناية والرعاية والاهتمام، فقد دعاه باسم الربوبيّة لأن في هذا عدم تخلٍّ عنه في هذا الموقف، ورجع إلى ربّه بصدق الاستغاثة، فكان ليوسف ما سأل، فقد تفضّل الله عليه فصرف عنه الكيد[1].

وفي ترتيب عناصر الجملة نجد أن هناك تقديماً لمتعلقات الجملة على بعضها ففي قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ (الآية ٣٦) حيث قدّم " معه" على المفعول به وعلى الفاعل للاهتمام والاعتناء بشأن يوسف حيث كان دخولهما مصاحباً لدخوله، وكان ذلك بتسخير من الله عزّ وجلّ، ليخفف عنه محنته ومصيبته في سجنه. فدخولهما معه جعل بينهم المودة، ويشاء الله أن يري كل منهما رؤيا فيعرضانها على يوسف، فيؤول

[1] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج١١، ص ٦٩٤٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لهما رؤياهما[1]. فقد تقدّم " معه " على الفاعل والمفعول به للاهتمام بشأن يوسف والعناية به.

وترى الباحثة أنّ تقديم المفعول به على الفاعل " فتيان" قد أفاد التشويق للمتأخر والاهتمام بالمتقدّم، فالسجن موضع التقاء الفتيين بيوسف عليه السلام، أمّا تأخير الفاعل "فتيان"، فلأنه سيكون لصحبتهما أثر مستقبلي في حياة يوسف وتغّير حاله. فهذا من رحمة الله بعبده يوسف إذ منّ عليه بدخول السجن، وتأويل الرؤيا. تمهيداً لإتمام النعمة عليه.

إنّ للترتيب دوراً في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾(الآية ٤٣) فقد جاء الترتيب فيها بتقديم " للرؤيا " على عامله " تعبرون" وذلك من أجل إظهار العناية والاهتمام بها، لذا أراد التأكيد على تأويلها، فاللام لام التقوية لضعف العامل عن العمل بالتأخير عن معموله[2]. دخلت على الرؤيا للتأكيد والربط، ذلك أنّ المفعول إذا تقدّم حسن في بعض الأفعال أن تدخل عليه لام، وإذا تأخر لم يحتج الفعل إلى ذلك[3]. وقد تقدّمت "للرؤيا" لأنها غريبة ومن هنا اهتمّ الملك بشأنها، فكان محتاجاً إلى تعبيرها، أي بيان العبرة منها.

ويظهر الترتيب في قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴾(الآية ٤٥)، حيث ترى الباحثة أنّ الترتيب في استخدام الأفعال الماضية، قد ظهر في استخدام الأفعال الثلاثية المجردة، ثم استخدام الأفعال المزيدة، ولهذا

---

[1] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٣٨٦-٣٨٧

[2] . ابن عاشور. التحرير والتنوير ج١٢، ص ٧٠

[3] . ابن عطيّة. المحرر الوجيز. مج٣، ٢٤٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

دلالة، فاستخدام الأفعال المجردة (قال ونجا) فيه دلالة على أنّ العمل متعلّق بشخص القائل، وأن القائل هنا ليس هو المراد، فأتى ذكره أولاً ليخلص بنا إلى ذكر المهم المرجو، وباستخدام الأفعال المزيدة بيان لمقدار وقيمة الذي تمّ تذكره، فالأشياء النفيسة لا تظهر على السطح، وإنّما تستتر عن الأعين ولا يُعثرُ عليها إلا بعد التنقيب عنها. لذا اذكره لمدة من الزمن فبحث عنه في ذاكرته، وبالغ في عملية التذكر، فالفعل اذكر يفيد المبالغة في البحث حتى عُثِر على الجوهرة الثمينة (يوسف)، وهذا سيكشف عن حقيقة الرؤيا التي رآها الملك.

إنّ تقديم المسند إليه على المسند في ﴿ أنا أُنبّئُكم ﴾ فيه إثبات له ونفي عن غيره، أي إنّه "ابتدأ كلامه بضمير وجعله مسنداً إليه وخبره فعلي لقصد استجلاب تعجب الملك، من أن يكون هو ينبئ بتأويل رؤيا عجز عنها علماء بلاط الملك. مع إفادة تقويّ الحكم، وهو إنباؤه إيّاهم بتأويلها، ولأن في تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في سياق الإثبات يفيد التقوّي، وإسناد الإنباء إليه مجاز عقلي، لأنّه سبب في الإنباء لذلك قال ﴿ فأرسلون ﴾ [1].

فعندما قدّم المسند إليه على المسند كان الهدف منه أنه هو من سيخبرهم بتأويل الرؤيا تأويلاً صادقاً، لأنه على يقين من صدق يوسف الذي أول له رؤياه من قبل، فالذي نجا من السجن وعد الملك بخبر الرؤيا، وحتى لا يكون هناك شكّ حول هذا الوعد فقد ضمن لهم الوفاء بالوعد من خلال تقديم المسند على المسند إليه.

---

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ٧١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يظهر أدب الخطاب في قول الناجي من السجن عندما خاطب الملك بقوله: "أنبئكم" و"فأرسلون" بإسناد الأفعال إلى ضمائر جمع المخاطب. فإذا خوطب بها المفرد فإنّ هذا خطاب تعظيم لمكانته، وإظهار للولاء والامتثال لأوامر الحاكم.

وجاء الترتيب في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ (الآية ٤٩) بتقدّم الجار والمجرور "فيه" على عامله "يغاث" و"يعصرون" وقد جاء للاهتمام بذلك العام وللأهميّة، فقد عبر بـ "عام" ولم يعبّر بالسنة، لأنّ السنة تدلّ على القحط والشدة والصعوبة، بينما يدلّ العام على الرخاء، إضافة إلى الفارق الزمني فالسنة الشمسيّة أطول. أما العام فإنه يطلق على السنة القمرية وبينهما فارق في عدد الأيام[1].

ويشير استخدام الأفعال المضارعة (يغاث ويعصرون) إلى الدلالة على استمراريّة الحدث لأكثر من عام." وفيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيلٌ لحال العام القادم ، وذلك لا يعلم إلا بالوحي[2]"و" هو بشارة وإدخال المسرة والأمل بعد الكلام المملوء باليأس ، وهو من لازم انتهاء مدة الشدة، ومن سنن الله تعالى في حصول اليسر بعد العسر[3]". ونلمس من استخدام الأفعال الدالة على الاستمرارية أدب خطاب جمّ، حيث يزرع في نفوسهم الاستبشار والسرور، وزيادة اليقين بأن الفرج يأتي بعد الشدة، فهو يعلّمهم الصبر حتى يأتي الفرج من الله.

---

[1] . عباس، فضل حسن. إعجاز القرآن الكريم. ص ١٨٣

[2] . الزمخشري .الكشّاف.ج٢، ص ٣٣٠

[3] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ٧٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تتمثّل الإحالة في عودة بعض عناصر الملفوظ على عناصر أُخرى نقدّرها داخل النص أو في المقام"[1]. والإحالة هي العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات[2]. وهي أيضاً العناصر المحيلة كيفما كان نوعها ولا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها. وتتوافر كل لغة على عناصر تملك خاصية الإحالة كالضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة وأدوات الربط، والأسماء الموصولة[3]. فالإحالة لها أهمية كبرى في خلق النص دلالياً، فلا تخضع للقيود النحوية بل تخضع للقيود الدلالية حيث يجب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه[4].

ابتدأت سورة يوسف عليه السلام بعدد من الحروف المقطّعة، وهي التي يتألّف منها التركيب اللغوي القرآني. وهذا التركيب اللغوي دليل على وحدة المادة اللغوية للنّص القرآني وتكرار هذه الحروف يعني وحدة النص، والمراد من التكرار غالباً التأكيد على المكرر في النفوس[5]. وقد بدأت هذه السورة من حيث أدوات الاتساق بالإحالات باستخدام اسم الإشارة "تلك"، وهي عنصر إحالي في قوله تعالى:﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ (الآية ١) وهذا العنصر الإحالي يمثّل ارتباطاً شاملاً للسورة مع عموم نص القرآن الكريم، فهو إحالة نصية عامة موسعة، لأنه يحيل بالتفصيل على عموم آيات القرآن لكونه نصاً

---

[1] . نقلاً عن الزبيدي، نضال أحمد. سورة الكهف دراسة تحليلية. ص ٧٨

[2] . بوجراند. النص والخطاب والإجراء. ص ١٧٢

[3] . خطابي، محمد. لسانيات النص. ص ١٦

[4] . المرجع السابق. ص ١٧

[5] . الهواوشة، محمود. أثر عناصر الاتساق في تماسك النص.ص١٤٢

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

واحداً، وقريبة وبعيدة من حيث المدى الإحالي إذ أحالت على آيات السورة وتجاوزت حدّ الجملة النصية والمقطع النصي في السورة وأحالت على عموم نص القرآن[1].

وهذا موضع من مواضع جمال الخطاب الرباني، حيث يظهر من هذه الجملة البسيطة بيان عظمة نسج القرآن. وبهذا العنصر الإحالي الإشاري يظهر عظيم خطاب الله، حيث ربط نص السورة بنصّ القرآن العظيم كاملاً، وذلك بدخول أل التعريف على لفظة "الكتاب" التي فيها إشارة إلى شيء معروف واضح. ونلمح أدب الخطاب باستخدام عنصر الإحالة اسم الإشارة "تلك" للبعيد إشارة إلى بعد القرآن في المنزلة وعلوّه فيها.

أمّا في قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الآية ٢) فيظهر عدد من الإحالات ففي ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ إحالة للضمير(نا) للدلالة على الذات الإلهية الذي أنزل القرآن العظيم، أمّا ضمير الغائب في"أنزلناه" فإنّه يحيل على نص القرآن بكامله "الكتاب المبين"، ويؤدي إلى تعزيز الترابط بين نص سورة يوسف و نص القرآن الكريم. أمّا الإحالة في ضمير المخاطب "لعلّكم" و"تعقلون" فهي إحالة مقاميّة نصيّة تعود على عناصر إشارية في عموم النص وعناصر إشارية خارج النص. ونلحظ من هذه الضمائر الإحالية التي تحيل إلى عناصر موجودة في النص نفسه وعناصر خارج النص أدب خطابٍ جمّ في الآية الكريمة ففي نون العظمة في ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ إشارة إلى عظمة منزّل الكتاب فعظمة المنزّل يرتبط بها عظمة الكتاب وعظمة الأمة التي نزل إليها الكتاب.

أما الإحالة في ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ فتظهر في أدب الخطاب باستخدام ضمير المخاطبين "كم وواو الجماعة" العنصر الإحالي الذي يبيّن مكانة العرب بأن شرّفهم الله

---

[1] . الهواوشة، محمود. أثر عناصر الاتساق في تماسك النص. ص ١٤٤ – ١٤٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ورجا لهم حصول العلم بلفظ القرآن ومعناه، لأنهم عرب ولغة القرآن لغتهم، فالقرآن يشتمل على ما فيه نفعهم وصلاحهم وهو سبب لعلمهم.

أما الإحالة في الآية التالية:﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (الآية ٣). فتظهر في ضمير المتكلمين "نحن" الذي يحيل على الذات الإلهية، فهو من أقوى المؤثرات التي تثير المشاعر الدينية في نفس الإنسان المؤمن بأنّ من يقصّ هذه القصص هو الله جلّت قدرته على أنبيائه، ويكشف لهم ما خفي عليهم من أسرارها، وفي ذلك أدب خطاب عظيم[1]، حيث يبرز أدب الخطاب في استخدام العنصر الإحالي "نحن" فعند الحديث عن أفعال الله يأتي بضمير الجمع وأنّ كل فعل من أفعاله يتطلب وجود صفات متعددة كالعلم والقدرة والحكمة والإمكانات[2].

وترى الباحثة أن الإحالة المقامية في ضمير المتكلمين "نحن" المنفصل والمستتر تثير العظمة في النفوس مما يبعث على الشعور بأنّ هناك قوة غيبية تسخّر الأحداث وتوجهها، ولهذا أثره في النفوس. وأنّ المراوحة في استخدام العناصر الإحالية كضمائر المتكلّم وضمائر المخاطب فيه أدب خطاب عظيم، حيث إن الله أوحى لنبيه محمد صلّى الله عليه وسلّم بهذه القصص، وهذا تشريف للنبي الأمي أن يعرف ويعلم من الله ما كان غافلاً عنه.

---

[1] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٢٣٧ – ٢٣٨

[2] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج ١١، ص ٦٨٢٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أمّا العنصر الإحالي اسم الإشارة "هذا" ففيه إحالة بعدية على نصّ القرآن الكريم ولبيان أهميته. ويعدّ هذا العنصر الإحالي من العناصر التي تسهم في بيان مكانة القرآن العظيمة وما اشتمل عليه من قصص وعلوم وأحكام غفل الرسول عن معرفتها في السابق.

وفي قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (الآية ٤) تبدأ هذه الآية الكريمة اتساقياً بالإحالة المقاميّة ظرف الزمان "إذ" حيث ارتبط هذا العنصر الإحالي الظرف بأحسن القصص الوارد في الآية السابقة. وبهذا الظرف موجز للقصة من بدئها إلى منتهاها، فالعنصر الإحالي هنا عمل على ذكر القصة بإيجاز، إذ عمل هذا العنصر الإحالي على بدء القصة، ونقل الأحداث من الماضي إلى الحاضر إلى المتلقي، فالإحالة القبلية هنا كان لها دور كبير في التمهيد للدخول بأحداث القصة وربطها بالقصص القرآني.

أمّا الإحالة في ضمائر المتكلّم التي تحيل على سيدنا يوسف عليه السلام في "إنّي، لي" فقد كانت تهدف إلى بيان قيمة العنصر الإشاري وأهميته. أمّا إحالة الضمائر في "رأيتُ، ورأيتهم" كلّها فتحيل على مرجع إشاري واحد هو سيدنا يوسف عليه السلام الذي هو محور القصة والشخصية الرئيسة فيها، وفي هذه الآية إحالة نصيّة واحدة تحيل إلى إخوة يوسف عليه السلام وأبويه في "رأيتهم" بضمير الغيبة "هم" فالآية هنا قد جمعت بين العناصر الإشارية الرئيسة في القصة. وهذا التفاوت في استخدام عناصر الإحالة ضمائر المتكلّم والغائب قد بيّنت أهميّة العنصر الإشاري الرئيسي بتوالي الإحالات التي تحيل إليه،

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وفي نفس الوقت أُشارت إلى العناصر الإشارية الأخرى التي كانت من أبـــرز المراجـــع الإشارية في القصة[1].

ومن هذه العناصر الإحالية يبرز أدب الخطاب الرباني في توجيه اهتمـــام المتلقـــي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم إلى المحور الرئيس في القصة سيدنا يوسف عليه السلام ليتبيّن ما كان يواجهه كل نبيّ من صعاب وشدائد تعترض سبيله ولكن صـــبرهم مفتـــاح الفرج إليهم.

إنّ الإحالة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ (الآية ٥) نجدها عنصراً من عناصر الاتساق النصي تشمل كل مستويات اللغة فإحالة الضمير المستتر في "قال" على لسان يعقوب عليه السلام ربط السابق باللاحق، وعمل الضمير المتصل بالنداء "يا بُنيّ" على الربط مع الآية السابقة فالذكر المسبق " يَتَأَبَتِ " أجاز الإحالة بالضمير، كما أن النداء قدّم لنا عنصراً إحالياً أحال فيه على يوسف ونلمس أثر العامل الصوتي جلياً في النداء، فقد ساهم العامل الصوتي في توجيه الإحالة، ويجسّد النداء هنا مع الفعل اللاحق به " لَا تَقۡصُصۡ " شعور الأب بـــالخوف والحنو على ولده، وقد استخدم النداء للبعيد علماً أن المنادى قريب إلا أن الغـــرض مـــن التركيب البعيد هو شعور الأب بالآتي البعيد المؤلم للمخاطَب القريب. لذلك يمكن تفـــسير وجود الربط بين النهي في "لَا تَقۡصُصۡ" وجوابه " فَيَكِيدُواْ "عن طريق الفـــاء الرابطـــة. فخوف الأب من الكيد بولده فسّره بعداوة الشيطان الواضحة لبني البشر، وأحال الـــضمير

[1] . محمود الهواوشة. أثر عناصر الاتساق. ص ١٥٣

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المستتر في "لَا تَقْصُصْ " على المرجع الإشاري في القصة الكاملة الذي يتمثّل في سيدنا يوسف عليه السلام.

وعنصر الإحالة يتمثّل في المستوى المعجمي في لفظة "رُءْيَاكَ " إذ أحال على مضمون الآية السابقة كعنصر إشاري نصي، وأضاف الكاف في "إِخْوَتِكَ " لربط يوسف مع إخوته، وكذلك الحال في واو الجماعة في "فَيَكِيدُواْ لَكَ " إحالة على إخوة يوسف. كما أنّ ضمير الخطاب في "لَكَ " يحيل نصيّاً على يوسف، فكلّ هذه الضمائر مجتمعة عملت على الربط بين المرجع المشار إليه يوسف وبين العناصر الإشارية الأخرى الإخوة والأب والرؤيا[1].

يبدو واضحاً أنّ الإحالة هدفها ربط المرجع الإشاري وهو المركز في هذه القصة وبطلها وبين العناصر الإشارية الأخرى سواء أكانت هذه العناصر أشخاصاً أم أحداثاً. كما أنّ هذه الإحالة تصعّد لنا أحداث القصة وتكشف عن نهايتها، وتبرز أدوار الشخصيات فيها وحوارهم وصراعهم الداخلي المنولوجي، وكيف أنّ هذا الصراع الداخلي سيتحوّل إلى صراع خارجيّ، فالأب تلطّف مع ولده في كشف حقيقة الإخوة حرصاً على مشاعر يوسف حتى لا تحدث فجوة عاطفيّة بين الإخوة، وفي الوقت نفسه كشف ليوسف عن حقيقة إخوته حتى لا يغرر به من قبلهم متلطّفاً في طرح هذه الحقيقة مقرناً إياها بفعل الشيطان وما يحمله الشيطان من عداوة للإنسان، إلا أنّه كان مضطراً إلى لفت انتباه ولده إلى كيد الإخوة حرصاً منه عليه. ويلوح في الأفق حرص آخر على الإخوة عندما برر هذا الكيد

---

[1] . الهواوشة، محمود.أثر عناصر الاتساق في نحو النص. ص ١٥٥- ١٥٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

بأنّه عمل الشيطان، فكأنّ يعقوب أراد أن يقول إن صنيع السوء لا يخرج من إخوتك رغبة به، إنّما من وسوسة الشيطان.

وتظهر الإحالة في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (الآية ٦) حيث تتناوب ضمائرها في الآية الكريمة فهناك ضمائر محيلة إلى الله سبحانه وتعالى، وضمائر محيلة إلى يوسف عليه السلام. فهذا يدلّ على شدة صلة يوسف بالله عزّ وجلّ. فقد نجد الضمائر في: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ، وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ ... أَبَوَيْكَ ﴾ تحمل إحالات نصية ومقامية، وفي هذه الإحالة كشف عما تحمله هذه القصة من عبر، وما سيمرّ به نبي الله يوسف عليه السلام من فضائل ونعم. وقد استخدم واو العطف في "وَكَذَٰلِكَ" مع اسم الإشارة ليربط هذه الآية بالآية الرابعة، لأن الآية الرابعة كشفت لنا عن نعمة عظيمة وهبها الله لنبيه يوسف عليه السلام؛ وهي الاعتناء بتأويل الرؤيا وتعبيرها. فهذه الإحالة الإشارية تؤكدها عناصر إشارية أخرى كالكاف في "كما أتمها" والكاف تفيد المقارنة والمشابهة والمثلية في إتمام حاضر يوسف، كما تمت النعم في الماضي على آبائه وأجداده، ونقلاً للحدث من الماضي إلى الحاضر[1].

يركّز الاتساق الإحالي على الرؤيا ورؤيا الأنبياء حقّ، وحتى يثبت يعقوب لولده أن رؤياه أمر سيتحقق وأن هذا الأمر يستدعي السرية حتى لا يحقد على ولده أو يكاد له، فقد

---

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير.ج١٢، ص١٩. الهواوشة، محمود. أثر عناصر الاتساق في تماسك النص. ص ١٥٦- ١٥٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ذكّر نبي الله يعقوب ولده بتوفيق الله له، وبإتمام النعمة عليه مستخدماً ضمير المخاطب المفرد، لأنّ هذه النعمة ستخصّ يوسف دون سواه وهي خاصة به دون إخوته، وأنّه سيتمكّن من التغلب على كلّ المحن التي ستواجهه، لأنّه مؤيد بنصر ورعاية من الله. وحتى لا يتسلل الشك إلى نفس يوسف عليه السلام أحال يعقوب التذكير بالنعمة عن طريق ذكر الآباء والأجداد بضمير الإحالة أبويك وربط النعم أو مماثلة النعم الآتية بالتي مضت والتأكيد عليها باستخدام الفعل "أتمّ" في موضعين.

أما قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ (الآية ٧)، فيظهر فيه أنّ إخوة يوسف هم موضوع الأحداث الأولية التي جرت ليوسف، وقد استخدم ضمير الغائب في إخوته، ليؤكّد أن أحداث القصة في مشهدها الأول بدأت بإخوة يوسف، وقد كرّر ذكر المرجع الإشاري وهو يوسف في هذه الآية لتأكيد أن يوسف هو المحور الذي تدور حوله كل أحداث القصة وتداعياتها. وقد استخدمت إحالة نصية زمنية بلفظة كان، فكان تعود بنا إلى ما مضى من أحداث وتصلنا بالحاضر. فقال لنا إن قصة يوسف "آيات للسائلين"[1].

ففي قوله تعالى:"آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ" إحالة عامة تنقلنا إلى خصوصية النص. وقد جاءت (آيات) بصيغة الجمع، لأنّ فيها إحالة ذهنية تنقل المتدبّر للآيات إلى مجموعة من الدلائل والإثباتات التي يشدّ بها الله عزم رسله، ولكي تكون هذه الأحداث عبرةً للمتلقي، لأن قصة يوسف في حقيقتها تعكس لنا سلوك البشر في حياتهم اليومية وما يمكن أن يلاقيه

[1] الهواوشة، محمود. أثر عناصر الاتساق في تماسك النص. ص ١٥٧ – ١٥٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الإنسان الصالح من مكائد ودسائس، فإذا أخلص النية مع الله فإنه لابدّ أن ينتصر. لذلك قال "للسائلين" ولم يحدد لنا سائلاً بعينه؛ لأن الناس كافة معنيّون به في كلّ زمان ومكان.

ونجد الإحالة متعددة في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ (الآية ١٥-١٨)، وفي قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾(الآية ١٩-٢٠) حيث إنّ الآيات ترتبط مع بعضها بنسيج محكم إما بضمير أو اسم إشارة أو تكرير أو وصل، أو حذف وهي عناصر إحالية من أكثر عناصر الاتساق اللغوي استخداماً. فالإحالات النصية من خلال الضمائر المحيلة على يوسف وأخوته والسيارة عملت على تحديد المدة الزمانية، وهذا يعني أن عملية جعل سيدنا يوسف في الجب تمت دون فواصل زمنية تذكر، فهناك إصرار وتخطيط مسبق لم يحوجهم إلى وقت من التفكير، كما أن هناك إصراراً من السيارة بأخذ الغلام والتنفع من وراءه، وعدم البحث عن أهل الغلام طمعاً في الكسب عند بيعه. إن العناصر الإحالية التي تحيل على أخوة يوسف جاءت مكثفة للإشارة إلى الخوف والارتباك الذي يسيطر عليهم، فقد قدموا مبرراً كان أبوهم قد

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

توقعه مسبقاً، وبادروا أباهم بقول ما يتوقعون أن يقول لهم، فأدانوا أنفسهم من حيث لا يشعرون، فامتنع الصدق لعدم صحة الادعاء[1].

ويتكرر الفعل قال والمرجع الإشاري يوسف مع الإحالة عليه بالضمير (فأكله)، كما يتكرر فعل (أكله) وهذا يعيدنا إلى خوف أبيهم من أن يأكله الذئب كما جاء في الآية الثالثة عشرة، ويكشف عن تلوين نسيج النص بخيط طويل وآخر قصير، ليؤكد على تجليات الحدث بما ينسجم ووقائع القصة. أما تكرار الفعل في (وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ)،(وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ) فهو تأكيد لما يحمله المجيء من أهمية في أحداث القصة، وما يحمله من أعذار تكشف عدم صحة دعوى أبناء يعقوب. كما أن الوصل الإضافي المتمثل بحرف العطف الفاء (فأكله) أحال إلى جملة تفصيلية تبين فترة وقوع حدث الأكل المفتعل. ويظهر دور الوصل العكسي في حرف الإضراب (بل) كعنصر من عناصر الإحالة في إبراز ضعف حجة الأبناء أمام أبيهم، وعدوله عن سماع هذه الحجة الباطلة إلى غيرها، ويأتي الحذف كعنصر إحالي في قوله تعالى على لسان يعقوب (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) للتأكيد على رفض يعقوب لادعاء بنيه. وعمل العنصر الإحالي الاسم الموصول (ما) رابطاً مع العنصر الإشاري المحال عليه في (عَلَىٰ مَاتَصِفُونَ) للإجمال بعد التفصيل ليؤكد على أن أحداث القصة مليئة بالتآمر والكذب[2]. والعنصر الإشاري في (هَٰذَا غُلَٰمٌ) فلا يقصد به الدلالة على ذات معينة مرئية بل يقصد به إشعار السامع بأنه حصل شيء مفرح غير متوقع[3].

---

[1] . الهواوشة، محمود. أثر عناصر الاتساق في تماسك النص. ص١٦٦-١٦٨ وابن عاشور. التحرير والتنوير.ج١٢، ص٣٩-٤٠. قطب، سيد. في ظلال القرآن. مج٤، ص١٩٧٦

[2] . الهواوشة، محمود. أثر عناصر الاتساق في تماسك النص. ص١٦٨-١٧٠

[3] . ابن عاشور. التحرير والتنوير.ج١٢، ص ٤٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يتمثل أدب الخطاب في عناصر الإحالة على اختلافها، ففي الضمائر المحيلة على الإخوة إشارة إلى بعدهم عن الصواب، وغياب إدراكهم لخطورة ما يفعلونه بحق أبيهم وأخيهم، وبعدهم عن النظرة المستقبلية لما سيترتب على صنيعهم، وغياب الضمير الواعي عند تنفيذ مؤامرتهم، لذا نجد الإحالة بالضمائر أكثرها بضمير الغياب، مع تكثيف استخدام العناصر الإحالية على الإخوة، فهذه الإحالات كشفت للقارئ حقيقة صفات هؤلاء الإخوة دون التصريح بها، كما أن السيارة كانوا كذلك في بعد عن معرفة حقيقة الغلام الذي وجدوه، وهم لا يعرفون شرف نسب هذا الغلام، وأنه من بيت نبوة، فكثفوا جهودهم من أجل الوصول إلى تحقيق كسب مادي دون أن يأبهوا لأمر الغلام، وقد تساوى في هذه الإحالات حال الإخوة بحال السيارة في مقدار جهلهم لمكانة يوسف، ولا يعاب هذا على السيارة، إنما يعاب على الإخوة، فالإحالات في الآيات السابقة بمجموعها تشير إلى خزيهم وعارهم أمام أبيهم.

ويظهر أثر الإحالات في قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (الآيات ٣٦- ٣٨).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

إن الإحالات بالضمائر وتكرار الأفعال، وأدوات الوصل والنداء مع الإحالات المقامية التي تُرجع إلى رب العزة لهي بدون أدنى شك سبيل نفسي تجميعي لأحداث القصة، وطريقة تربط أشتات القصة ببؤرتها، فتجعل القارئ يتأكد من فهم الحدث السابق بما أحيل إليه من أحداث لاحقة، كما أن الأحداث اللاحقة تكون في خانة التوقع والتقدير، مما يدفع إلى سبر جو النص، والخوض في أعماقه لمحاكاة ما يجده في النص القرآني مع ما يعيشه في الواقع، ليكن واعياً مدركاً للنماذج البشرية، التي تحدث عنها رب العزة في محكم تنزيله، وهو خالقه، وما يدخل على الأنفس البشرية من نوازع، وكيف ينبغي أن تواجه هذه النوازع.

ويظهر أثر الإحالات في قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الآية ٤٠) و﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (الآية ٤١)، إذ يبرز دور النداء باعتبار إحالته، كما أن الضمائر تحيل على العناصر المشار إليها في النص ففي (ربه) إحالة نصية على الملك، وفي (فيسقي، فيصلب رأسه) إحالة نصية على الفتيين. ويأتي الوصل السببي الممثل بالشرط (أَمَّآ أَحَدُكُمَا)، والاسم الموصول والضمير المتصل في (ٱلَّذِى فِيهِ) إحالات نصية تربط السياق وفق اتساق دلالي معجمي في الأبعاد القبلية والبعدية للإحالة[1].

[1]. الهواوشة، محمود. أثر عناصر الاتساق في تماسك النص. ص ١٩٦-١٩٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أظهرت أداة النداء البعد المكاني والعقدي الذي يعيشه الفتيان عن عقيدة التوحيد، كما أن أسلوب النداء بكليته يشير إلى القرب النفسي لشخص سيدنا يوسف بالنسبة للفتيين. لذلك كانت الضمائر المحيلة إلى الفتيين بلغة الخطاب، لأن الأمر يستدعي التوجيه المباشر، لما لسيدنا يوسف من هيبة ومكانة وتأثير، ولما يحتاجه الفتيان من مصارحة مباشرة تقودهم إلى راحة نفسية مفادها التعلق بالله وحده والاعتماد عليه في كل الظروف. وتأتي الإحالة الحرة في (لَا يَعْلَمُونَ)، لبث الراحة والطمأنينة في نفس الفتيين، على اعتبار أن عدم العلم ليس خاصاً بهم، بل يتعداهم إلى الكثير من الناس، وهذا يحمل الفتيين إلى التفكر في قضية الإيمان والكفر في الإطار الخاص والعام.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library Yarmouk University

رابعاً: الألفاظ النسقية

يتحدد مفهوم الألفاظ النسقية عندما نثير علاقة تلك الألفاظ بالبنية، فلا يمكن أن نهمل الملابسات السياقية التي تربط الألفاظ النسقية بجملة من المفاهيم والمصطلحات، ومن أهم هذه المفاهيم والمصطلحات علاقة النسق بالوظيفة، فالوظيفة كالبنية، وهي ذلك الدور الذي يؤديه العنصر اللساني مثل الوحدة الصوتية الصغرى أو الوحدة الصرفية الصغرى أو الوحدة التركيبية الصغرى أو الوظيفة المعجمية الصغرى داخل النسق اللساني العام، فما يحكم العلاقة بين الوحدات اللسانية السابقة ومستوياتها، ويربط بعضها ببعض هو ما يسمى بالنسق أو الوظيفة النسقية. فالنص كاملاً نسق عام والوحدات اللسانية أنساق صغرى تشكل ذلك النص. ويبقى النسق قابلاً للتحول، فهو إما أن يكون معطى أولياً، وإما أن يحدده الوعي الكلي للنص، وإما أن يسهم القارئ أو المتلقي في بنائه وتشييده[1] .فالنسق اللغوي عند دي سوسير اختلافات في تضادات ثنائية[2]

وتنشأ العلاقة النسقية من تسلسل الكلمات والأشياء والعناصر المتفرقة تسلسلاً منطقياً، فلا معنى يمكن بلوغه دون سلسلة من الحقول اللغوية المترابطة، وهو أساس كل عمل سيميولوجي؛ فمحور الترابطات بين الألفاظ نجده بين وحدة حاضرة في التركيب، ووحدة غائبة عنه أو لاحقة أو سابقة له كنتيجة وسبب لبعضها مع بعض، سواء أكان في لفظها أم مدلولها. فالنسق تقارب في الصوت أو تقارب في المعنى أو المدلول بين الألفاظ، واستدعاء للدلالات التي تتشابك الواحدة منها بالأخرى، فيظهر الإيحاء وظلال المعنى في الدلالة الأولى، فيتمكن القارئ من تفسير سنن النص اللغوي، فترد العلامة

---

[1] . يوسف، أحمد. القراءة النسقية. ص ١١٨-١٢٢.

[2] . الكعبي، ضياء. السرد العربي القديم. ص ٢١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

بدالها ومدلولها لتعطي دالاً لها، فيظهر مدلولاً إضافياً يشير إلى المعنى الحرفي المباشر الواضح الذي تُمثله الدلالة الأخرى، بصورة نسقيّة تستدعي كل منها الأخرى[1].

وتعد الألفاظ النسقية من أهم المظاهر اللسانية التي تعمل على الكشف عن حقيقة تماسك النص القرآني وجمال الخطاب فيه، وتبرز الأسباب والنتائج المترتبة عليها، وفائدة ذلك في نشوء أدب خطاب جمّ. ونجد هذا النمط يتكرر كثيراً في آيات سورة يوسف عليه السلام.

من ذلك ما ورد في قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾(الآية ٢-٣) ففي هاتين الآيتين أكّد الله حقيقة إنزال القرآن ردّاً على من أنكر أن يكون القرآن منزّلاً من عنده تعالى، أمّا تسميته قرآنا فلأنه اسم جنس يقع على الكلّ والبعض، فسورة يوسف بعض القرآن. وجعل الله القرآن عربياً مخاطباً في ذلك نبيه صلى الله عليه وسلّم النواة الخيرة من أمته التي ستحمل الخير والنور للبشرية قائلاً: إنّ الله جعل القرآن عربياً بلسانكم وأنتم الطليعة والرواد من أجل أن تفهموا معاني ومرامي وغايات القرآن العظيم وغاياته فهماً عميقاً راسخاً، فنزول القرآن عربياً كان رجاء لحصول العلم للعرب من لفظه ومعناه[2]. ولقد ترتب على نزول القرآن عربياً بأن قصّ الله أحسن القصص على نبيه حتى يعلم ما كان غافلاً عنه ومن بين هذه القصص قصة يوسف عليه السلام.

---

[1] . بوعزيزي، محسن.السيميولوجيا الاجتماعية. ص٦٩-٧١.

[2] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٢٣١. وابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ٨. والزمخشري. الكشّاف. ج٢، ص ٢٩٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في خطاب الله تعالى لنبيه صلّى الله عليه وسلّم تلطّف كبير؛ إذْ إنّ إنزال القرآن عربياً فيه تكريم وتأييد للنبي عليه السلام، ونزوله بلغة العرب فيه نفعهم وصلاحهم وحصول العلم لهم ليعلموا ما لم يكونوا يعرفونه، وبالقصّ تحدث المعرفة من العموم إلى الخصوص فالأخص؛ فكان الحديث عن قصص القرآن على وجه الخصوص، ثم الحديث عن قصة يوسف وتحديداً عن مشهد معين منها[1].

ويظهر في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(الآية ٦) أنّ نهي يعقوب ولده عن قصّ رؤياه لم يمنعه من تعبيرها له ضمناً. وإنّ اجتباء يوسف عليه السلام لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على بشارة النبوة، وسيترتب عليها اجتباء آخر مشابه، فالاجتباء الآخر سيكون فيما بعد لأمور عظيمة، وفي عطف "وكذلك يجتبيك" على قصّ الرؤيا، "إشارة إلى ما دلّت عليه العناية الربانية به، أي ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك في المستقبل"[2]. فأول النعم عليه اجتباء وكمال نفسيٌّ، والارتقاء النفسي من الواردات الإلهية غايته أن يبلغ بصاحبه إلى النبوة والحكمة. وسيترتب على هذا الاصطفاء والاختيار القدرة على تأويل الرؤيا، حيث سيعلّمه ويهبه من صدق الحسّ ونفاذ البصيرة ما يدرك به الأحاديث، وهو إلهام من الله لذوي البصائر المدركة النافذة[3].

---

[1] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٢٣٧

[2] . نقلاً عن ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ١٩

[3] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٢٨٢. ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ١٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

"أمّا إتمام النعمة عليه فإعطاؤه أفضل النعم وهي نعمة النبوة، أو هو ضميمة الملك إلى النبوة والرسالة فيكون المراد بإتمام النعمة الاجتباء الآخروي بنعمة المجد الدنيوي"[1].

وهذه من الأشياء التي ترتبت على قصّ الرؤيا وتعليم تأويل الأحاديث، فالاصطفاء دلالته الرؤيا التي رآها يوسف، وتأويل الأحاديث بقدرته التي وهبه الله إيّاها على تعبير الرؤيا "من تعبيره لرؤيا صاحبي السجن، ورؤيا الملك. فكان ذلك مقدّمة لإتمام النعمة عليه بالنبوّة.

ويبين قوله تعالى:﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ (الآية ٩-١٠) أن الجملة المستأنفة تثير في النفس استجابة سريعة لأن لها تأثيراً في النفوس، فتصبح هذه النفوس سريعة الامتثال للمطلوب، فالمطلوب قتل يوسف أو طرحه أرضاً، لأن بقتله أو طرحه سيخلو للإخوة وجه أبيهم، فإذا تخلصوا من وجود يوسف تفرّغ أبوهم إليهم وتوجّه عليهم، إذن فلا بدّ من أن يزيلوا هذه العقبة عن طريقهم التي تحول بينهم وبين أبيهم، فهذا ما اتفقوا عليه وهو مخالف للعقل والمنطق، فالعلة الحقيقية الحسد والبغضاء، حيث كانت هي الدافع الحقيقي لهم على إرادة القتل أو الطرح في أرض خالية[2].

وبعد التخلّص من يوسف هناك إشارة صريحة إلى التوبة التي سينتهون إليها ويكونون قوماً صالحين بعد أن يتخلّصوا منه. إنّ القتل أو الطرح أرضاً في نظر الإخوة

---

[1] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٢٨٤ وابن عاشور ص ٢٠

[2] . العلمي، عبدالله. مؤتمر تفسير سورة يوسف. ج١، ص ٢٨٢

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سيكون من نتائجه المثمرة خلوص محبة والدهم لهم دون مشارك، وبعد تُحقّق ذلك لهم فإنّهم سيعلنون التوبة جرّاء ما فعلوه بيوسف، وسيكونون من الصالحين في عيشهم مع أبيهم[1].

إنهم يُقدِّرون الصلاح؛ ويعرفون أن الذي فكّروا فيه غيرُ مقبول بموازين الصلاح؛ ولذلك قالوا: إنهم سيتوبون من بعد ذلك. أو أن يكون المقصود بـ﴿ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾ هو أن يكونوا صالحين لحركة الحياة، ولعدم تنغيص علاقتهم بأبيهم؛ فحين يخلُو لهم وجهه؛ سيرتاحون إلى أن أباهم سيعدل بينهم، ويهبُهم كل حبه فيرتاحون[2].

إن التوبة ليست هكذا. إنما تكون التوبة من الخطيئة التي يندفع إليها المرء غافلاً جاهلاً غير ذاكر؛ حتى إذا تذكر ندم، وجاشت نفسه بالتوبة. أما التوبة الجاهزة التي تعد سلفاً قبل ارتكاب الجريمة لإزالة معالمها، فليست بالتوبة، وإنما هي تبرير لارتكاب الجريمة التي يزينها الشيطان، فيقظة الضمير لدى أحدهم جعلته يرتعش لهول ما هم مقدمون عليه. فيقترح حلاً يريحهم من يوسف، بأن يلقوه في الجب، حيث يرجح أن تعثر عليه إحدى القوافل فتنقذه وتذهب به بعيداً، فعدم الارتياح لفكرة القتل أو الطرح أرضاً جعلت أحدهم يقترح حلاً بديلاً[3].

ويتضح في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا

---

[1] . باجودة، حسن محمد. الوحدة الموضوعية في سورة يوسف. ص ١٤٠-١٤١

[2] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج ١١، ص ٦٨٧١

[3] . قطب، سيد. في ظلال القرآن. مج٤، ص ٢٩٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لَخَٰسِرُونَ ﴾(١١-١٤) أدب الخطاب جلياً في خطاب الأبناء لأبيهم، في مواطن متعددة من السورة، حيث استخدموا النداء الذي فيه تشريف وتكريم للمنادى، وفيه أيضاً تقرب وتودد إليه. وقد يكون هذا التودد مقصوداً لنيل حاجة في النفس. والدليل على ذلك إغراء الإخوة لأبيهم بأخذ يوسف معهم، فبعد أن اتفق الإخوة على إلقاء يوسف في غيابة الجب جاء دور تنفيذ المؤامرة، بكلام مباشر مع والدهم.

ترتب على النداء كلام مباشر من الأبناء مع أبيهم بمخاطبته صراحة بصيغة الاستفهام التعجبي، وسؤالهم فيه عتب واستنكار خفي، وفيه استجاشة لنفي مدلوله من أبيهم، والتسليم لهم بعكسه، وهو تسليمهم يوسف[1]، لذا جاء الإخوة بتمهيدٍ استفهامي فيه عتب واستنكار، وتوكيد إخلاصهم النصح له ليضمنوا تلبية طلبهم بأخذ يوسف وعدم رفض يعقوب بقولهم: "مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا" ففي لفظة (لا تأمنا) روعة وجمالاً فقد "أجمع القراء على حذف حركة الرفع في (تأمن) أصلها (تأمَنُنا) وإدغام نونه بعد تسكينها تبعاً للرسم في نون الضمير المتصل (نا) ، دلالة على نفي سكون قلبه عليه السلام بأمنه عليه منهم على أبلغ وجه مع أنهم أهل لأن يسكن إليهم بذلك غاية السكون ، ولو ظهرت ضمة الرفع عند أحد من القراء فات هذا الإيماء إلى هذه النكتة البديعة"[2] .

إنّ التوطئة التي قدمها أبناء يعقوب بقولهم: ﴿مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴾قد أهملها يعقوب لعلمه اليقيني بأن ما صرح به الإخوة من عدم الائتمان

---

[1] . قطب، سيد. في ظلال القرآن. مج٤، ص٢٩٥. باجودة، حسن محمد.الوحدة الموضوعية في سورة يوسف. ص ١٥١

[2] . نقلاً عن البقاعي، برهان الدين. نظم الدرر. ج٤، ص١٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

حقيقةً لعلمه بحسدهم له، أمّا القسم الثاني من التوطئة ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴾فقد أهمله لعدم التأكد من صدق أبنائه والحيرة في أمر هذا التحوّل المفاجئ، فلم يجب على التوطئة الأولى، لأنها حقيقة وسكوته يدلّ على ذلك، ولم يجب على التوطئة الأخرى، لأنّه في حيرة بين تصديق ما يقوله قلبه من عدم نصحهم ليوسف، وبين ما يقولون به من النصح له.

إنّ عدم الإجابة على التوطئة في قسميها، يعدّ من أدب الخطاب، لأنّه لو أجاب على سؤال أبنائه، لم يكن ليتكلّم إلا الصدق، وهو عدم ائتمانهم على يوسف، فهو لا يريد أن ينطق بها صراحةً، حتى تبقى المودة بينه وبينهم، أمّا عدم الإجابة على القسم الآخر من التوطئة فهو لعدم وجود دليل مادي على عدم النصح، لذلك جاء جوابه على طلبهم ليس قبولاً واضحاً ولا رفضاً بيناً وهو للرفض أقرب[1] في قوله: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾. إنّ في جواب يعقوب "إني ليحزنني أن تذهبوا به" طعنة بلغت أعمق أعماق قلوبهم[2]، لأنّ ذلك هو السبب الذي يدفعهم لأن يحسدوا يوسف كل ذلك الحسد، وهو حبّ يعقوب غير المتناهي له، لذلك لم يبالوا بحديث يعقوب عن نفسه وركّزوا جوابهم على الذئب وذات أنفسهم، واستهانوا بمشاعر والدهم من شدة حقدهم على يوسف، واستمروا في الإصرار على تنفيذ ما اتفقوا عليه. عن طريق جوابهم لوالدهم ﴿ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾.

ويتضح لنا من جواب الأبناء الإصرار على أخذ يوسف، وهذا الإصرار جاء على لسان الأبناء وقولهم "ونحن عصبة" فضمير جمع المتكلمين "نحن" يدلّ على ثقتهم المطلقة

---

[1] . باجودة، حسن محمد. الوحدة الموضوعية في سورة يوسف. ص ١٥٢ – ١٥٤

[2] . المرجع السابق. ص ١٥٤ –١٥٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

بأنفسهم، والتوكيد أيضاً بضمير المتكلمين يمثّل كلام الواثق من قدرته على الحفظ والعناية إضافة إلى أنهم موضع ائتمان على أخيهم. فلقد ترتب على شعورهم بمحبة يعقوب الزائدة لولده يوسف الكراهية الشديدة له والإصرار على الإيقاع به.

ولقد اختاروا أسلوباً من الأساليب المؤثرة لنفي هذا الخاطر عنه:" قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة،إنا إذن لخاسرون" لئن غلبنا الذئب عليه ونحن جماعة قوية هكذا فلا خير فينا لأنفسنا وإننا لخاسرون كل شيء، فلا نصلح لشيء أبداً! وهكذا استسلم الوالد الحريص لهذا التوكيد ولذلك الإحراج[1]، لأنّ إجابة الأبناء بالقسم وتوكيدهم الإجابة باللام وإن ولام الابتداء وإذن الجوابية جاءت كلّها تحقيقاً لخسرانهم إن عجزوا عن حفظه[2]، وقد حوّلوا التشاؤم لدى يعقوب بقولهم "ونحن عصبة" إلى تفاؤل. فجملة الحال والتوكيد بعدها هنا قد طمأنت يعقوب عليه السلام، وكان مدعاة لأن يوافق على إرسال يوسف معهم. ويعد ذلك من أساليب التلطف والأدب في إقناع يعقوب عليه السلام بالموافقة على إرسال يوسف عليه السلام معهم، وهذا ما حدث فعلاً.

يظهر أدب الخطاب في أبهى صوره في قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾ حيث إن ضمير جمع المتكلمين يشير إلى عظمة الموحي والموحى به والموحى إليه. فبالإيحاء إلى سيدنا يوسف عليه السلام ندرك أنّ الله قادر على أن يتولى عباده ويخفف عنهم، ويبث في نفوسهم السكينة والطمأنينة، فبهذه الظروف العصيبة يوحي الله إلى عبده لكي لا يحزن، ولتنبئنّهم بالذي فعلوه معك وهم غافلون لا يشعرون، والإنباء الإخبار بخبر صادق غيبي. وإنّ التوكيد

---

[1] . قطب، سيد. في ظلال القرآن. ج٤، ص ٢٩٥

[2] . ابن عاشور. التحرير والتنوير.ج١٢، ص ٣١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

باللام ونون التوكيد جاء من أجل زيادة السكينة في نفسه، وهذا الإيحاء جعل سيدنا يوسف عليه السلام يدرك حقيقة الرؤيا التي رآها في السابق فهذه المحنة جعلته يدرك تمام الإدراك أنّ الله اصطفاه وابتلاه وسيكون له مكانة عظيمة في المستقبل.

ويظهر أدب الخطاب والترفق من الأبناء بأبيهم، عندما جاءوه يتباكون، لإشعار والدهم بحزنهم العميق على أخيهم الذي يحبّه ولكي يواسوه بمصيبته، وحتى يشعروا والدهم بحزنهم العميق على فقد يوسف عليه السلام جاؤوا في ظلمة الليل؛ لئلا يتفرس أبوهم في وجوههم، فإذا رآها في ضياء النهار رأى ضد ما جاؤوا به من الاعتذار[1].

أراد الأبناء أن يقنعوا والدهم بصدقهم: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ لإيهامه بأنه دم يوسف، ومن تمام أدب الخطاب الآلهي استخدام لفظة المصدر "كذب" والمصدر هنا جاء بمعنى المفعول أي المكذوب، وجاء الوصف المصدري هنا للمبالغة في كذب إخوة يوسف[2]. فما كان من يعقوب إلا أن أجابهم:﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ فكان رد يعقوب لهم مباشرة دليلاً على كشف أدلتهم وتهافتها باستخدام حرف الإضراب (بل) ويعد رد يعقوب عليه السلام أدب خطاب راق، فلم يكذّب أبناءه صراحة، لكن باستخدامه حرف الإضراب بل الذي أفاد الإضراب عن

---

[1] . البقاعي، برهان الدين. نظم الدرر. ج٤، ص ١٧

[2] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج١١، ص ٦٨٨٩ وابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ٣٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الحكم الأول وهو أن الذئب أكل يوسف، وإثباته للحكم الثاني أن نفوسهم سولت لهم أمراً وفي استخدامه لهذا الحرف إبطال لدعواهم الكاذبة[1].

ونعلم أن النفس أمارة بالسوء تزيّن لصاحبها سوء عمله، ويزين الشيطان له هذا العمل والذي يؤكد قول يعقوب لأبنائه ما قاله في السابق ليوسف: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ فمن أدب خطاب يعقوب لأبنائه بأن قال: "أمراً: فالتنكير في كلمة "أمراً" يدل على تعظيم الحدث وتهويله وخطورته، فهو لم يستقص الحقيقة منهم، ولكن بمخاطبتهم بهذه الألفاظ فإنه يخبرهم بحقيقتهم الكاذبة، وعدم صدقهم وخيانتهم لعهدهم الذي أخذوه على أنفسهم بقولهم: ﴿قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾، ويظهر في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ (الآية ١٩-٢٠) أن إخوة يوسف عندما جعلوه في غيابة الجبّ كان هدفهم إبعاده حتى يخلوا لهم وجه أبيهم، وكان من نتائج إلقائهم ليوسف في الجبّ، أن ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ وقد عطفت قصة على قصة، وهذا رجوع إلى ما جرى في شأن يوسف عليه السلام[2]، وقد اقتضت العناية الآلهية مجيء السيارة في الوقت الذي ذهب فيه الإخوة، فالنتيجة المتوقّعة لمجيء السيارة إرسال الوارد ليسقي لهم، وعندما أدلى الوارد دلوه "قال يا بشرى هذا غلام" إن الأسباب السابقة

---

[1] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٣٢٠- ٣٢٢

[2] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ٣٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من مجيء السيارة وإرسال الوارد وإدلاء الدلو، ترتب عليها حصول نتيجة لم تكن متوقعة وكانت مفاجئة للوارد والسيارة، مما جعل الوارد يسرّ بهذه المفاجأة والدليل قوله "يا بشرى".

إنّ البشرى السارة التي فرح بها السيارة لم تمنعهم من النظر إلى يوسف على أنه سلعة ستجلب لهم بعض النفع، لذلك أسروه وأخفوه عن الأعين حتى لا يطالب به مطالب وهذا يدلّ على هدفهم الربحي المادي[1]، لذا باعوه بثمن قليل، ونرى أنّ إخفاء يوسف عن الأعين كان فيه تسخير من الله، لأنه أراد ليوسف علواً وتمكيناً في الأرض، لقد شروه بثمنٍ بخس حتى يتخلّصوا من وجوده معهم فما قام به السيارة من إخفاء وشراء كان كلّه من أجل تمكين يوسف في الأرض.

إنّ رؤيا الفتيين هي الرؤيا الثانية، إذ جاءت في قوله تعالى:﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (الآيات ٣٦- ٣٨)، فقد كان للفتيين دور كبير في تسيير الأحداث، فقد عرف يوسف الساقي الذي كان وسيلة يوسف للوصول إلى الملك. فدخولهما مع يوسف نوع من تخفيف

[1] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٣٢٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الابتلاء واللطف به، فقد نشأت بينهم علاقة مودة. وشاء الله بقدرته أن يرى كل واحد منهما رؤيا، فيعرضانها على يوسف، لتأكدهما من إحسانه[1]. ويبدو في طريقة تناوله للحديث لطف مدخله إلى النفوس، وكياسته وتنقله في الحديث في رفق لطيف، إذ يبدأ يوسف مع صاحبي السجن من موضوعهما الذي يشغل بالهما، فيطمئنهما ابتداء إلى أنه سيؤول لهم الرؤى، لأن ربه علمه علماً خاصاً، جزاء على تجرده لعبادته وحده[2].

وترى الباحثة أن دخول الفتيين مع يوسف السجن كان تلطّفاً من الله به، حيث خفف عنه هذا الابتلاء بصحبة فتيي السجن. أما الرؤيا التي رآها كل واحد منهما فكان لها نتائج طيبة، حيث طلب إلى يوسف تأويلها، وتأويل الرؤى من قبل يوسف عليه السلام يعدّ معجزة وعلماً ووحياً أوحى الله به إلى نبيه عليه السلام. والمتأمل لقوله تعالى:﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾ يجد فيه أدباً وتلطّفاً كبيراً، حيث عمل يوسف على لفت انتباه الفتيين إلى أن الطعام إنّما هو رزق من الله سبحانه وتعالى وليس من سواه، وأنه يخبرهما به قبل أن يصل إليهما، وفي ضمير الخطاب إشارة إلى اهتمام يوسف بهذين الفتيين وحرصه على الإحسان إليهما حتى يستميل قلبهما إلى الإيمان.

وفي قوله "ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ" أدب خطاب عظيم، وخلق من أخلاق نبوّته عليه السلام، فقد نفى عن نفسه فضل ذلك العلم، ففضل الله عظيم عليه لا يحصى ولا يعدّ، وهذا بعض من أفضاله عليه. وفي هذه الجزئية تطمين للفتيين بأنّ يوسف سيؤول رؤياهما، وفي

---

[1] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ٣٨٦ – ٣٨٧

[2] . قطب، سيد. في ظلال القرآن. مج٤، ص ٣٠٦ – ٣٠٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لفظة ربّي المسندة إلى ضمير المتكلّم إشارة إلى أن الله اختصّ يوسف بهذه النعم وتكفّل بحفظه ورعايته جزاءً لصبره وقوة إيمانه. فكان هذا العلم مترتباً على تركه لعبادة قومه الذين لا يؤمنون بالله تعالى، فالتخلي عن الشرك، وترك اتباع ملة القوم الذين لا يؤمنون بالله، كان من نتائجه الحسنة التي ترتبت عليه التحلي بالتوحيد وهو ملة آبائه عليهم السلام، ويأتي على لسان يوسف النصح والإرشاد في قوله: ﴿ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (الآية ٣٨) فهو نبي اصطفاه الله واختاره وميّزه على غيره من الناس، فلا بدّ أنه أكرمه بالحكمة والموعظة الحسنة . فهذا النصح لا يصدر إلا عن نبي كريم، وفي نصحه هذا دعوة للفتيين إلى التبصر بنعم الله وفضله على الناس، ويستدرك قائلاً:﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾" ويلمح من هذا الخطاب المتأدب ليوسف عليه السلام أنه يدعو هذين الفتيين إلى الإيمان بالله وشكره على نعمه وفضله عليهم.

ويظهر في قوله تعالى: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الآية ٣٩-٤٠) أنّ التلميح السابق ودعوة الفتيين غير الصريحة إلى الإيمان بالله تعالى في الآية السابقة، كانت تمهيداً لهذا النداء المتلطّف، ليطرح عليهم السؤال التقريري الذي فيه إقناع وحجة قائمة على بدهية وعقلية ونفسية واقعية في قوله:

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾. فقد ترتب على التلميح السابق دعوة صريحة إلى الإيمان بالله تعالى.

وترى الباحثة أنّ الأسباب التي دعت إلى طرح هذا السؤال التقريري، طلب تأويل الرؤيا، حيث بيّن للفتيين أنه قادر على تأويلهما وكلّ ذلك بفضل الله عليه، فهذه الأسباب قادته إلى دعوتهما بأدبٍ خالص إلى التمييز بين عبادة الأرباب وعبادة الله وحده لا شريك له، وذلك عن طريق التفكير العقلي السليم، دون أن يفرض عليهما رأيه. وعند النظر إلى الأسلوب الذي اتبعه يوسف في دعوته الفتيين إلى الإيمان بالله، حيث التودد لهما بأسلوب النداء الذي يشعر المنادى بقربه من المنادي، وبحرص المنادي عليه، وأيضاً باحترام تفكيرهما العقلي بأن ترك لهما المجال في التفكر والتدبر للسؤال المطروح عليهما. وهذه الطريقة الفضلى لدعوة الآخرين للإيمان بالله.

إنّ النداء في قوله تعالى:﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (الآية ٤١) جاء ليفتتح خطابهما واهتماماً بما يلقيه إليهما من التعبير، وخاطبهما بوصف صاحبي السجن. لأن في تأويل الرؤيا لأحدهما ما يسوء صاحبُها فعمد إلى نداء المودة قصداً، لأنّ ما سيلقيه عليه سيكون مفاجئاً له من أول الكلام، وبعد التأمل يعلم أن الذي يسقي ربه خمراً هو رَائي عَصر الخمر، وأن الذي تأكل الطير من رأسه هو رائي أكل الطير من خبزٍ على رأسه[1]، فقد أراد التخفيف عن الآخر ثقل تعبير الرؤيا له فافتتح خطابه بالنداء تأدباً وتقرباً في إيصال النبأ السيئ من تعبير الرؤيا له.

---

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢. ص ٦٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ويظهر في قوله تعالى:﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ (الآية ٤٢) أن الظن هنا استعمل في القريب من القطع، لأنه لا يشكّ في صحة تعبيره الرؤيا[1]. ولذا فإنه أراد منه أن يذكره عند ملك مصر، إلا أنّه نسي ذكره لعدة سنين، وقد يكون العود للضمير على الساقي الذي نجا أي إنّ الشيطان أنسى الساقي أن يذكر يوسف للملك، أو أن يكون الضمير في "أنساه، وربه" عائداً على يوسف ذلك أن نسيان يوسف أن يسأل الله إلهام الملك تذكر شأنه كان من الشيطان، وذلك سبب إلهيّ في نسيان الساقي تذكير الملك، لأن يوسف عليه السلام قد انشغل عن الاستعانة بربه على خلاصه من السجن[2]. وترى الباحثة أن النسيان الذي حدث مقصود من أجل تذكير يوسف بتقصيره في طلب العون من الله تعالى لأجل خلاصه من السجن، وأنّ العتاب الآلهي قد جاء بهذا التوجيه المتأدب تلطّفاً في إشعار يوسف بتقصيره، وأيضاً لأنّ الكلام الموجهة أخف وألطف من الكلام الصريح. فالنسيان قد حدث من أجل التذكير بواجب العبد تجاه ربّه، بأن يلجأ إليه في السراء والضراء.

يتبيّن في قوله تعالى:﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ (الآية ٤٣ -٤٥) أنّ النداء الموجه من الملك إلى من

---

[1] . نقلاً عن ابن عاشور. التحرير والتنوير.ج١٢، ص ٦٧

[2] . المرجع السابق. نفس الصفحة

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

حوله قد جاء من أجل التنبيه على عظمة الرؤيا التي رآها، حيث إن الرؤيا كان لها دلائل كبرى عندهم آنذاك. وقد جاء النداء للملأ، لأجل التنبيه على سعة المشهد وتعظيم الرؤيا التي ستكون فيما بعد سبباً في خروج يوسف من السجن، كما كانت في السابق سبباً في كيد إخوته له، الذي نتج عنه كيد النسوة له ودخوله السجن[1].

فقد طلب الملك من الملأ تعبير رؤياه غير أنهم قد عجزوا عن تأويلها حتى قالوا عنها أخلاط أحلام، مع نفيهم أن يكونوا عالمين بتأويلها، فهم ليسوا من أهل التمييز في التأويل ويعد ذلك من باب صدق البطانة في ألا تخبر بشيء إلا إذا كانت عالمة به.إلا أن الساقي قد أعمل عقله وافتعل التذكّر واجتهد ليتذكّر ما حدث له منذ سنين عندما كان سجيناً، حيث اخبر الملك بتأويل يوسف لرؤياه التي رآها، فطلب من الملك أن يرسله إلى من يستطع تعبيرها[2].

إن صدق تعبير يوسف رؤيا فتيي السجن بأن جاءت حركة الحياة مطابقة لتأويل رؤيا كل منهما في قوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ (الآيات ٤٦– ٤٩) قد جعل الساقي يأتي إليه ليعبّر له رؤيا الملك[3]،

---

[1] الهواوشة، محمود. أثر عناصر الاتساق في تماسك النص. ص١٩٩

[2] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج١١، ص ٦٩٦٨ –٦٩٧١

[3] . المرجع السابق. ص ٦٩٧٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فعندما أذن الله بالفرج هيأ الأسباب، حيث حركت رؤيا الملك ذاكرة الساقي، وفي ذلك حكمة عظيمة كيف يتذكر الآن بعد عهد طويل، فقوة تأثير الرؤيا في نفسه جعلته يتذكر عهد يوسف[1]. لذا طلب من الملك إرساله إلى من سيؤول له الرؤيا في قوله "أرسلون" على وجه التعظيم، ولم يسمِ الذي سيؤول الرؤيا، لأنه أراد أن يفاجئهم بخبره، وحتى يكون له وقع عظيم في نفس الملك والملأ من حوله[2].

الآية الكريمة:﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾(الآية ٥٨- ٦١) تظهر تولي يوسف خزائن مصر وهذا يعني أنّ الملك استجاب لطلبه، فقد جنى يوسف ثمرة صبره، وذلك بفضل من الله تعالى بدليل قوله:﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الآية ٥٦)[3]، إذ إنّ لله عزّ وجلّ في ذلك حكمة عظيمة، فقد أراد أن يظهر يوسف على إخوته الذين كادوا له، وأن الكيد كان له قيمة عظيمة في مكانة يوسف، فالله عزّ وجل أراد له أن يعلو شأنه عليهم، و وأن يدركوا حقيقة كانت غائبة عنهم وهي حبّ يعقوب إليه وخاصة أنه نبي يوحى إليه، وأن الله اصطفاه عليهم جميعاً.

---

[1] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٤٠٦

[2] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ٧١ – ٧٢

[3] . قطب، سيد. في ظلال القرآن. مج٤، ص ٢٠١٥ – ٢٠١٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لقد طوى السياق القرآني الحديث عن سنوات الرخاء. فلم يذكر كيف كان الخصب، وكيف أدار يوسف جهاز الدولة. وكيف نظم ودبر وادخر. كأن هذه كلها أمور مقررة بقوله:"إني حفيظ عليم"، وكذلك لم يذكر مقدم سني الجدب، وكيف تلقاها الناس، وكيف قلت الأرزاق، لأن هذا كله ملحوظ في رؤيا الملك وتأويلها: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴾ (الآية ٤٨). أما فعل الجدب فقد أبرزه السياق في مشهد إخوة يوسف، حيث جاءوا من أرض كنعان يبحثون عن الطعام في مصر. ومن ذلك ندرك اتساع دائرة المجاعة[1].

إنّ اتساع دائرة المجاعة قد كان سبباً في مجيء الإخوة إلى مصر، ويعد ذلك عناية إلهية حيث تكفّل الله بحفظ يوسف ورعايته وتمكينه في أرض مصر، ثمّ يأتي بإخوته ويجمعه بهم بعد عهد طويل، فيعرفهم على الرغم من عدم معرفتهم له علماً أنهم كانوا عصبة، فمعرفته لهم تدلّ على قوة ذاكرته، وفطنته وإحساسه الصادق بأنهم إخوته. ويعد مثول إخوته بين يديه من أعظم متممات سعادته وسروره حيث قال الله على لسانه: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (الآية ٤) فمجيء الإخوة يعدّ بدء تأويل رؤياه. أمّا عدم معرفتهم له، فقد كان ناتجاً عن ضعف الإيمان الذي في نفوسهم، إضافة إلى الحقد والكراهية التي في نفوسهم تجاه يوسف. فهم العصبة الظالمة التي ما زالت تضمر السوء على الرغم من هذه السنوات الطويلة. حيث إنّ الظالم يغطي الله على قلبه وبصيرته فلا يدرك ولا يشعر.

---

[1] . قطب، سيد. في ظلال القرآن. مج٤، ص ٣٢٨. ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ٨٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويكشف قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ۖ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾(الآيـة٦٥ – ٦٦) أنّ جملـة" قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا " مستأنفة استئنافاً بيانياً لترقب السامع أن يعلم ماذا صدر منهم حين فاجأهم وجود بضاعتهم ضمن متاعهم، لأنها مفاجأة غريبة، ولهذا لم يعطف بالفاء. وأما في قوله: "مَا نَبْغِى" فيجوز أن يكون للاستفهام الإنكاري بتنزيل المخاطب منزلة من يتطلب منهم تحصيل بغية فينكرون أن تكون لهم بغية أخرى، ويجوز كون "ما" نافية، والمعنى واحد، لأن الاستفهام الإنكاري في معنى النفي. وجملة "هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا" مبينة لجملة "مَا نَبْغِى"على الاحتمالين.

وفي الآيات السابقة يؤكّد أبناء يعقوب حفاظهم على أخيهم تطميناً لخاطر أبيهم في جملة " وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ " وزيادةً في إظهار حرصهم على سلامة أخيهم لأن في سلامته فائدة لهم بازدياد كيل بعير[1]. إن وجود بضاعتهم في رحلهم كانت السبب الرئيس في طلبهم إرسال أخيهم معهم إلى مصر حتى يجلبوا الطعام، مما جعل يعقوب عليه السلام يوافق على إرساله ولكن موافقة مشروطة بأن يحلفوا يميناً بالله العظيم على أن يعودوا به إليه[2].

---

[1] . ابن عاشور التحرير والتنوير.ج١٢، ص ٩٠

[2] . المرجع السابق. ص ٩١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لقد كان وجود البضاعة في رحالهم سبباً في طلب إرسال أخيهم معهم مرة أخرى من والدهم، ولعلّ في ذلك حكمةٌ إلهيةٌ أوحي بها إلى سيدنا يوسف عندما طلب الإتيان بأخيهم، ليبدأ جمع شملهم، ويبدأ الفرج لسيدنا يعقوب عليه السلام بعد صبر طويل. وتأكيدهم على حفظ أخيهم بصور مختلفة يوحي بأنهم استدرجوا أباهم للموافقة على إرساله. إن تأكيد الأبناء لأبيهم الحفاظ على أخيهم جعل يعقوب يوافق على إرساله معهم إرسالاً مشروطاً.

نلمح أن الخطاب قد عكس صورة المفاجأة والدهشة عندما وجدوا بضاعتهم في رحالهم" بقولهم: "يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِي هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا ..."، حيث عمل الأبناء على إقناع والدهم بإرسال أخيهم معهم، وذلك بإثارة عطفه وتذكيره بحقّ العزيز الذي لم يأخذ ثمناً للكيل الذي جهزهم به. والترغيب الذي اتبعوه مع والدهم لإرسال أخيهم، حيث إن سبب تصميمهم على أخذه زيادة الكيل لهم، خاصة أن هذا الكيل غير يسير. وبذلك يكون الأبناء قد نجحوا في إقناع أبيهم، وكانت الأسباب التي ذكروها أمام والدهم مدعاة لموافقة يعقوب على إرسال أخيهم معهم. ونرى أنّ الموافقة على إرساله كانت مشروطة بإعطائهم ميثاقاً لوالدهم أن يعيدوا أخاهم سالماً إليه، فقد كان سبب ذلك الطلب أنه عندما وافق على إرسال يوسف معهم أعطوه موثقاً وأكدوا له على حفظه وحمايته، إلا أنهم رجعوا دونه بحجة واهية. لم تقنع يعقوب عليه السلام، لأنه يعلم عدم صدقها.

ويشير قوله تعالى:﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

ٱلْمُتَصَدِّقِينَ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾ (الآيـــة ٨٧ – ٨٩) إلى أنّ يعقوب وجّه أبناءه إلى تلمس يوسف وأخيه وألا ييأسوا من رحمة الله، وفـــي ذلك بعد نظر وعمق إيمان، حيث نرى يعقوب في لطف وبصيرة وصبر يوجه بنيه إلـــى البحث ودون يأس من الله وفرجه ورحمته. وكلمة "روح" أدق دلالة وأكثر شفافية. ففيهـــا ظل الاسترواح من الكرب الخانق بما ينسم على الأرواح من روْح الله الندي[1].

إنّ طلب يعقوب لهذا الأمر من أبنائه، جاء رداً على نهيهم إياه عن ذكـــر يوســـف عليه السلام. ونلمح الرقة واللين في طلبه هذا، حيث إن الخطاب الرقيق في النداء الـــوارد "يا بنيّ" كان لابدّ من أن يستجيب الأبناء له ويلبّون رغبة الوالد الذي يحسن خطابهم على الرغم من كل ما فعلوه. فهذا الخطاب المتأدب عمل على تحويل مجرى تفكيـــر الأبنـــاء. وتغيير قناعتهم والاستجابة لقول أبيهم. وفي وقت اشتداد الكرب وتأزّمه كان يعقوب متفائلاً يرى الفرج قريباً لذا جاء طلبه في تلك اللحظات العصيبة، فهذا هو المؤمن بحـــق كلمـــا اشتدت عليه الأزمات يؤمن إيماناً قطعياً بفرج الله القريب .

ونجد فـــي الآيـــة الكريمـــة :﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾(الآية ٨٨) أنّ المؤمنين المتعلقة قلوبهم بالله، الندية أرواحهم بروْحه، لا ييأسون من روْح الله ولو أحاط بهم الكرب، واشتد بهم الضيق. فيستجيب الأبناء لرغبة والدهم، فيذهب إخوة يوسف إلى مصر للمرة الثالثة، وقد أضرت بهم المجاعة، ببضاعة رديئة هي الباقية لديهم يشترون بها الزاد، فيدخلون وفي حديثهم انكسار لم يعهد في أحاديثهم من قبل.

---

[1] . قطب، سيد. في ظلال القرآن. مج٤، ص ٢٠٢٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

إن الحال الذي آل إليه أبناء يعقوب قد جعلهم في ضيق وانكسار، فلم تبق في نفس يوسف قدرة على المضي في إخفاء حقيقته، والتخفي عنهم، فقد حان وقت المفاجأة الكبرى التي لا تخطر لهم على بال؛ فإذا هو يترفق في الإفضاء بالحقيقة إليهم، فيعود بهم إلى الماضي البعيد الذي يعرفونه وحدهم، ولم يطّلع عليه أحد إلا الله[1]: ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ (الآية ٨٩).

إنّ اشتداد المجاعة كان سبباً في ذهاب أبناء يعقوب إلى مصر للمرة الثالثة، وكانت المجاعة قد أرهقت نفوسهم، إضافة إلى ما حلّ بهم من المصائب، فكلّ ذلك كان سبباً في تراجع الروح المعنوية لديهم، وتمكن اليأس من نفوسهم، مما حداهم للموافقة على طلب أبيهم فذهبوا ليتحسسوا خبر يوسف وأخيه. فسيطرة الانكسار النفسي، والتراجع في معنوياتهم. جعلهم يدخلون على يوسف وقد ملأهم اليأس، وظهرت عليهم ملامح الذلّ، وتدنّت الروح المعنوية لديهم، مما أثار مشاعر يوسف تجاه إخوته، فالحال التي هم عليها، كانت دافعاً ومحركاً لعاطفته الأخوية أن تظهر ويخبرهم بحقيقته.

وعند النظر في الآيات السابقة نجد أن الانكسار النفسي الذي كانت المجاعة السبب الرئيس فيه، قد عمل على إصلاح نفوسهم من الداخل وتطهيرها، فنلمح من خطاب الإخوة اللين في القول، وهذا أدب عظيم، حيث إنهم قد رجعوا إلى حقيقتهم الطيبة و بينوا ليوسف حاجتهم ولأي سبب جاءوا، فهذا ينم عن إقبال أكيد منهم على الله فقد صفت نفوسهم وطهرت أفئدتهم.

---

[1] . قطب، سيد. في ظلال القرآن. مج٤، ص ٢٠٢٦ – ٢٠٢٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ونجد في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ (الآية ٩٠-٩١) أنّ الأمل الذي زرعه يعقوب في نفس أبنائه في تحسس خبر يوسف وأخيه كان سبباً في تهيئتهم من الناحية النفسية ودليل ذلك أن والدهم قال "وأعلم من الله ما لا تعلمون". إذ اتضح لهم المعنى التعريضي من كلامه فعرفوا أنه يتكلم مريداً نفسه. وهذا يدل على أنهم استشعروا من كلامه ثم من ملامحه ثم من تفهم قول أبيهم لهم[1]. وتخلص الباحثة إلى أن مقدار سيطرة الأنا العليا في نفس يعقوب التي كانت تنزع إلى الإيمان المطلق بالله تعالى وتحافظ على القيم والثوابت الراسخة لديها كانت سبباً في هذا الخطاب العظيم بأنه يعلم من الله ما لا يعلمه أبناؤه.

ويأتي سؤال طبيعيّ على لسان إخوة يوسف" ﴿ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾ رداً على سؤاله ﴿ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ (الآية ٨٩)، إذن فهم مُهَيَّؤون من الوجهة النفسية أن يكون الذي يخاطبهم هو أخوهم يوسف، وذلك بسبب الأمل الذي ألقاه يعقوب في قلوبهم، لأن يتحيّنوا كل شاردة وواردة من الممكن أن يكون لها علاقة بأخيهم. فكيف إذا سئلوا عن شيء لا يمكن إلا أن يصدر عنه. فهذا السؤال الإنكاري من يوسف لهو أبلغ دليل على أنه هو.

---

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير.ج١٢، ص ١١٣

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

إن السؤال التقريري الذي أُدخل على الجملة المؤكدة والذي جاء على لسان الإخوة كان يهدف إلى تأييد علمهم به، ونلمح من هذا السؤال أدب خطاب ينبثق عن فرح عظيم بالبشرى السارة التي طال انتظارها، حتى أن الإنسان يبقى في حالة ذهول وعدم إدراك للواقع الذي هو فيه وبين الشكّ واليقين؛ لفرط سعادته بما سمع. لذا لم يقصدوا الاستفهام بل قصدوا الإقرار الذي يؤكّد النبأ السار الذي سمعوه. وأن تأكيد يوسف لهم بأنه أخوهم قد جعلهم يدركون حقيقة ما يعلمه يعقوب من الله ولا يعلمونه.

وترى الباحثة في قول يوسف عليه السلام الذي ترتب على السؤال التقريري الذي ينتظر السائل من وراءه تأييداً لعلمه بالشيء أدب خطاب عظيم ففي قوله:﴿ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى ﴾ فهو يذكرهم بصنيعهم به وما كادوه له. كما يشير إلى أنهم لم يعترفوا بالعلاقة الجامعة بينه وبينهم، فلم يعترفوا بأنه أخوهم وغلب عليهم أن يذكروا اسمه فقط دون ذكر الرابطة التي بينهم. فهو يذكرهم بهذه الأشياء بأقصر العبارات وأدقها ملمّحاً إلى سوء أفعالهم به دون التصريح بها. أمّا قوله: "هذا أخي" فقد كان في قوله هذا أدباً رائعاً في خطاب إخوته وتذكيرهم بأهمية العلاقة التي تربطه بأخيه الذي لم يصدر منه ما يسوءه، والذي شاطره الهم والحزن على الرغم من بعده عنه. فقد أراد سيدنا يوسف عليه السلام أن يقارن لإخوته بين اعتزازه بأخيه وبين إنكارهم له وعداوتهم له.

لقد أراد يوسف أن يستثير العاطفة الأخوية الكامنة في نفوسهم، وأن يبيّن لهم حقيقة العلاقة الأخوية التي لا يأتي من وراءها إلا الحرص على المصلحة الأخوية، وأن الأخ الحقيقي هو الذي يقوم بحقوق الإخوة ولا يمسّ بأي أذى. وفي هذا أدب خطاب من يوسف

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عليه السلام فهو يعاتبهم عتاباً غير مباشر محاولاً أن يشعرهم بأهميّة العلاقة التي ينبغي أن تكون بينهم.

ويظهر في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (الآية ٩٢) اعتراف الإخوة بالذنب والإقرار بالخطيئة، وتقرير إيثار الله له عليهم بالمكانة والحلم والتقوى، وأنّ يوسف عليه السلام يقابله بالعفو والصفح[1]. وترى الباحثة أن نتيجة اعتراف الإخوة ليوسف بالفضل وإيثار الله لهم. واعترافهم بذنبهم ، يأتي عفوه عنهم، ونلمح أدب الخطاب في قوله:﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾" فهذا يدل على نقاء يوسف النفسي، حيث لا مكان للحقد في نفسه أو الكراهية. وهذا خلقٌ عظيم لا يمتلكه إلا من أنعم الله عليه بنعمة الصبر. وقد اتبع يوسف عليه السلام أسلوب تأنيب الضمير الإيجابي فالعفو عن إخوته أشعرهم بمرارة ما صنعوه بيوسف، فقد اكتفى يوسف عليه السلام بذلك ليقينه بأن ذلك مؤثر في نفوسهم من أي عقاب آخر، فالعفو أشد من الانتقام عند الكرماء الأشداء.

ويظهر تطوّر الأحداث في قوله تعالى:﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

[1] . قطب، سيد. في ظلال القرآن. مج٤، ص ٢٠٢٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تَعْلَمُونَ ﴾ (الآية ٩٣-٩٦) إذ تمّ التوصل إلى المصالحة بين يوسف وإخوته والعفو عنهم. ويتذكر يوسف والده الحبيب يعقوب عليه السلام فبأمر من يوسف عليه السلام يذهب الإخوة بقميصه إلى يعقوب عليه السلام، وفي هذه المعجزة الإلهية أراد يوسف تبشير أبيه بحياته، وإدخال السرور إلى نفسه، فبعد أن كان القميص الأول نذير شؤم و حزن، أصبح قميص اليوم نذير سرور وغبطة[1].

وتستخلص الباحثة أن الطلب في" اذهبوا ... فألقوه" سيكون سبباً في ما سيحدث ليعقوب عليه السلام، ونلمح في هذا السبب رقةً في الخطاب، حيث طلب منهم الذهاب إلى أبيهم ثم إلقاء القميص. حيث يأتي جواب الطلب مبيّناً نتيجة الإلقاء للقميص على وجه يعقوب عليه السلام بارتداد البصر إليه. كما أن الطلب وجوابه قد كانا سبباً في إنتاج أدب خطاب رائع، فقد نتج عن الطلب وجوابه تفاؤل وأمل في نفس يعقوب عليه السلام وهذا لا يتأتى إلا من نفس تحمل الإيحاء الدائم بالحقيقة الإيمانية والقدرة الإلهية، فقد اطمأن إلى أن الله سيجمعه بيوسف. حيث كان كلامه بغاية الوضوح والاطمئنان فقال: ﴿ "إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ وهذا تأكيد منه على فضل الله عليه بأنّ يوسف حيّ يرزق وأنّ ريحه متجهة إليه، وليست بعيدة عنه.

استدرك يعقوب عليه السلام، هذا التأكيد بقوله: "لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ "فقد أحجم عن التصريح أكثر وزيادة التأكيد على عودة يوسف؛ خوفاً من اتهامه بالخرف، حيث ترى الباحثة أن التفاؤل الذي كان في نفس يعقوب عليه السلام كان موجوداً منذ أن ادعى الإخوة

---

[1] . نوفل، أحمد. الوحدة الموضوعية في سورة يوسف. ص ٥٣٩ و باجودة، حسن محمد. الوحدة الموضوعية في سورة يوسف. ص ٣٣٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أن الذئب أكل يوسف، والدليل على ذلك قوله: "فصبرٌ جميلٌ" حتى لحظة قوله:﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ فقد كان التفاؤل إيجابياً في نفسه وكان يتزايد باستمرار حتى جاء البشير فألقى القميص على وجهه، فارتدّ البصر إليه. إنّ التوافق بين القول والفعل لهو دليل على المعجزة الإلهية لنبي الله يعقوب عليه السلام.

ويأتي أدب الخطاب في سياق قول يعقوب عليه السلام: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فبعد أن عاد إليه البصر يأتي سؤاله الذي يلفت الانتباه إلى صدق إحساسه، مشعراً الأبناء أن هذا لا يتأتى إلا لذوي الإيمان العميق. وكأنّه أراد أن يعاتبهم ويشعرهم بالخجل من أنفسهم كيف كادوا ليوسف، وادّعوا موته، ونهوه عن التفكير به. وبهذا السؤال الإخباري يشعر الأبناء بغلبة الحقّ على الباطل الذي صنعوه بأخيهم، ويظهر في هذا الخطاب قصده في تأنيبهم وإشعارهم بعظمة الذنب الذي ارتكبوه دون إدراك لخطورته.

إنّ تأكيد يعقوب عليه السلام لأبنائه حقيقة علمه بعد ارتداد البصر إليه؛ قد جعل الأبناء يُقِرُّون بالذنب، مخاطبين أباهم بنداء الأبوة كي يستغفر لهم ما ارتكبوه من ذنوب كثيرة[1] إذ : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الآية ٩٧- ٩٨) وترى الباحثة أن النداء الاستعطافي الذي استخدمه الأبناء قد جاء من أجل نيل رضا والدهم عليهم؛ ليتجرؤوا بمطالبة الأب بالاستغفار لهم، معلنين أمامه اعترافهم بالخطأ الذي ارتكبوه بحقّ أبيهم وحقّ أخيهم يوسف

[1] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج١٢، ص ٧٠٧٣

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

عليه السلام، وأن السبب الذي دفعهم إلى الاعتراف بخطئهم هو صحوة الضمير، والتخلّص من وسوسة الشيطان وذلك لعمق الإيمان الذي أصبحت عليه نفوسهم. فالنفس السويّة ترى أن الاعتراف بالذنب فضيلة، وهذا يدلّ على نقاء ضمائرهم من الداخل.

إن الاستعطاف الذي جاء بأسلوب النداء قد حمل الأب على أن يعدهم بالاستغفار لهم، ونرى أن العاطفة الأبوية قد سيطرت على يعقوب عليه السلام حتى وافق على طلب المغفرة لهم من الله. أمّا تسويف طلب الاستغفار لهم، فلأنه أراد أن يتخير لحظة الصفاء النفسي إزاءهم، ليقبل على الله بالدعاء والاستغفار حتى يستجيب له.

وتأتي لحظة اللقاء بين يوسف عليه السلام وأهله كلّهم فقد قال تعالى:﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(الآية ١٠٠) حيث ترى الباحثة أنّ المحن والمصاعب قد انتهت عن سيدنا يعقوب وولده يوسف عليهما السلام، وجاء وقت اجتماع الشمل، وكان ذلك كلّه بفضل صبرهم وإيمانهم بأنّ الله سيجزي الصابرين، وهذا من تمام النعمة على من امتلأ قلبه بالمودة والصفاء والإيمان الذي يبعد عن وسوسة الشيطان. وكما ترى أيضاً أن الشرط كان سبباً في حدوث الجواب، فقد ترتب على دخول يعقوب وأهله مصر أن ضمّ يوسف أبويه إليه وجعل لهم مكانهم الذي يليق بهم، وسجد له إخوته وبذلك تكون رؤيا يوسف قد تحققت. وتحقق الاجتباء من الله له.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثالث

استراتيجيات الخطاب

- مدخل
- المبحث الأول: استراتيجيّة الإقناع
- المبحث الثاني: استراتيجيّة التلميح
- المبحث الثالث: استراتيجيّة التأدب الإيجابي
- المبحث الرابع: التضام
- النتائج

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

مدخل

يهدف هذا الفصل إلى الكشف عن أهم الاستراتيجيات التي تتبع لإنتاج أدب خطابٍ سامٍ، وتعدّ هذه الاستراتيجيات أدوات رئيسة في إنتاج خطاب متميّز كما تعدّ طرق فاعلة في الكشف عن مواطن أدب خطاب المرسل، كما تكشف عن القدرة الذهنية العالية لدى المتلقي. فيكون من خلال هذه الاستراتيجيات قادر على تأويل الخطاب والوقوف على قصد المرسل.

ويشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث رئيسة. تناولت في المبحث الأول منها: استراتيجيّة الإقناع: تعريفها وأدواتها، بالإضافة إلى وسائلها اللغوية. أمّا المبحث الثاني، فقد اشتمل على استراتيجيّة التلميح، حيث تمت مناقشتها من خلال التلطّف، والكشف عن المقاصد. أمّا المبحث الثالث: فقد تمّ مناقشة استراتيجيّة التأدب الإيجابي ومواطن وجودها في السورة الكريمة، وفي المبحث الأخير تناولت استراتيجيّة التضام مع بيان دورها في إنتاج أدب الخطاب.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

استراتيجيات الخطاب

إن استراتيجيّة الخطاب مصطلح مؤلف من لفظين: هما الاستراتيجيّة والخطاب. فلكلّ لفظ مفهومه المستقل عن اللفظ الآخر، فالاستراتيجيّة مفهوم عام، أمّا الخطاب فهو مفهوم خاص[1]، وقد سبق وأن بيّنا مفهوم الخطاب؛ لأنّه محور هذه الدراسة وصلبها، وقد ناقشناه من وجهات نظر متعددة.

أمّا استراتيجيّة الخطاب فهي: " المسلك المناسب الذي يتخذه المرسل للتلفّظ بخطابه، من أجل تنفيذ إرادته، والتعبير عن مقاصده، التي تؤدّي إلى تحقيق أهدافه من خلال استعمال العلامات اللغوية وغير اللغويّة، وفقاً لما يقتضيه سياق التلفّظ بعناصره المتنوعة، ويستحسنه المرسل"[2].

وتظهر الاستراتيجيّة بجلاء ووضوح في إنتاج الخطاب مع التركيز على سياقه. ويمكن تقسيم الاستراتيجيات باعتبار سياقاتها إلى ما يأتي: استراتيجيّة الإقناع، واستراتيجيّة التلميح، واستراتيجيّة التأدب الإيجابي، واستراتيجيّة التضام.

---

[1] . الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب. ص ٥٢

[2] . نقلاً عن المرجع السابق. ص ٦٢

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الأول:

استراتيجيّة الإقناع

الإقناع في اللغة هو الرضا، ونجده في مادة (قَنِعَ) حيث تقول العرب: قَنِعَ بنفسه قَنَعاً وقَناعةً رَضِيَ[1]، فقد استعمل العرب قَنِع للدلالة على رضا النفس. ولها دلالات أخرى، ولكن ما يهمّ الباحثة الدلالة التي تتوافق مع موضوع الدراسة. "ويحدد معنى الإقناع اصطلاحاً حمل الإنسان على اعتقاد رأي للعمل به. وعرّفته الموسوعة البريطانيّة أنّه العملية التي بها يؤثر الخطاب في مواقف الإنسان وسلوكه بدون إكراه أو قسر"[2].

"وقد ذهب حازم القرطاجنّيّ في تعريفه للإقناع بأنّه " حمل النفوس على فعل شيء، أو اعتقاده، أو التخلي عن فعله واعتقاده"[3]. بينما يرى الدكتور سمير استيتيّة أنّ الإقناع ليس هو حمل إنسان على فعل أيّ شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله أو اعتقاده، وإنّما هو تبصير الطرف الآخر بالرأي الذي نوصله إليه. ويتمّ الإقناع بمجرد اعتقاد الطرف الآخر بصحة الرأي أو الفكرة حتّى وإن لم يترجم عمله إلى سلوك يترتب على اقتناعه بالضرورة"[4]. كما يرى الدكتور سمير استيتيّة أنّ الإقناع هو أحد طرفي العلاقة، بين رسالة هادفة إلى توجيه الفكر أو الاعتقاد، وطرفها الآخر وهو الاقتناع. فهما متلازمان فلا اقتناع دون وجود الإقناع[5].

---

[1] . ابن منظور. لسان العرب. (مادة قنع)

[2] . نقلاً عن باطاهر، بن عيسى. أساليب الإقناع في القرآن الكريم. ص ٢١

[3] . القرطاجنّي، حازم. منهاج البلغاء وسراج الأدباء. ص ١٠٦

[4] . نقلاً عن استيتيّة، سمير. اللسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج. ص٧٠٠

[5] . المرجع السابق. ص ٧٠١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتعرّف الباحثة الإقناع بأنه منطق عقلي يحمل الإنسان على قبول أمر ما عن طريق الأدلة والبراهين والحجج المنطقية لحمله على الرضا بذلك الأمر. ويعدّ الإقناع أحد الاستراتيجيات التي يتم بها إيصال الخطاب إلى المتلقين لحملهم على تصديقه والرضا به.

إنّ استراتيجيّة الإقناع تداولية تكتسب اسمها من هدف الخطاب، وتعتمد على معيار شكل الخطاب اللغوي للدلالة على قصد المرسل. فقد يرمي المرسل إلى تحقيق أهداف من خلال خطابه وإقناع المرسل إليه بما يراه هو؛ أي إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي لديه[1]. وقد اعتمدت هذه الاستراتيجيّة على المدخل النفسي والاجتماعي لتحليل الظاهرة اللغوية المكتوبة والمسموعة[2].

ويعدّ الإقناع فناً من فنون استخدام الكلام،إذْ تبدأ عمليّة الإقناع من الفكرة وطريقة التعبير عنها وأسلوب نقلها[3]. وترى الباحثة أنّ استراتيجيّة الإقناع قائمة على الخطاب حيث إنّ المرسل يعمد إلى إيصال رسالته إلى المتلقي مستخدماً أساليب شتى لإيصال أفكاره، وتأثيرها في نفس المتلقي، فيعمد إلى إقناع المتلقي بطرق متعددة. أمّا الخطاب الذي يرسله المرسل فإنه يضمنه أساليب الإقناع النفسي والاجتماعي، بالإضافة إلى استخدام الأساليب اللغوية المؤثرة التي تكون سبباً مباشراً للإقناع.

إنّ مسوغات استخدام هذه الاستراتيجيّة أنّ تأثيرها التداولي في المرسل إليه أقوى، ونتائجها أثبت حيث تدفع المرسل إليه إلى الاقتناع الذاتي. وهناك آليات كثيرة يستخدمها المرسل لمحاولة التأثير على المتلقي، وإقناعه بما يريد، فيعمد إلى استخدامها لتحقيق غرض الخطاب المنشود. ومن أبرز هذه الآليات الحجاج الذي يعدّ أبرز ما يجسد

---

[1]. الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب. ص ٤٤٤

[2]. مصطفى، معتصم بابكر. أساليب الإقناع في القرآن الكريم. ص٣٢

[3]. المرجع السابق. ص٣٣

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

استراتيجيّة الإقناع "فهو كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها"[1]. وقد يعمد إلى استخدام الأدلة والبراهين ليقنع المتلقي بما يريد إيصاله من الخطاب، وقد يعمد المرسل إلى آليات متعددة مثل التهديد والتلويح والوعد والوعيد[2]. فالحجاج منهج استدلالي يتميز عن الخطابات الأخرى بكونه خطاباً موجّهاً وهادفاً مبنيّاً بناءً استدلالياً، يتمّ فيه اللجوء إلى الحجة والاستدلال والمنطق والعقل، كما أنّه موجّه بظروف تداولية معينة[3].

عندما يطالب المرسل غيره بمشاركته في اعتقاداته، فإنّ مطالبه لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تنزح على منهج القمع، وإنّما تتبع في تحصيل غرضها سبلاً استدلالية متنوعة تجرّ غيره جرّاً إلى الاقتناع برأي المرسل. وإذا اقتنع المخاطَب بهذا الرأي، كان كالقائل به في الحكم؛ وإذا لم يقتنع به ردّه على قائله مطلقاً إياه على رأي غيره، ومطالباً إياه مشاركته القول به. وقد تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع فتكون إذ ذاك أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب، وتوجيه سلوكه لما يهبه هذا الإمتاع من قوة في استحضار الأشياء حتى يخيل للمخاطب أنه يراها رؤى العين[4].

لقد ظهر الإقناع جليّاً في هذه السورة، وقد أدّى هذا إلى أن يكون الخطاب ذا أثر كبير في أحداث القصة ، وقد شغلت هذه الاستراتيجيّة حيّزاً كبيراً من أحداثها. وبناءً عليه فإنّ الباحثة ستقوم ببيان مواطن هذه الاستراتيجيّة في السورة حسب تصنيفها إلى موضوعات محددة منها.

---

[1]. نقلاً عن الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب. ص٤٥٦.

[2]. المرجع السابق. ص ٤٥٧

[3]. عشير، عبد السلام. عندما نتواصل نغيّر. ص ١٢٨

[4]. عبد الرحمن، طه. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ص٣٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أدوات الإقناع

تسهم العلامات اللغوية وما يصاحب التلفظ من تنغيم، وإشارات جسدية و هيئات معيّنة في بناء استراتيجيات محكمة، حيث إنّ الأساليب والأفعال والأدوات اللغوية كلّها تعمل على سبكها وتجسيدها تجسيداً حيّاً؛ حتى يشعر المتلقي لها كأنّه يعيش الحدث فعلاً. وتعمل العلامات اللغوية على ربط أجزاء الخطاب بعضها ببعض. وتسهم في بناء استراتيجيات قائمة على الإقناع والتلميح والتصريح، والتأدب، وتنتج لنا خطاباً متماسكاً قائماً على استعمال الأدوات اللغوية كألفاظ التعليل، والوصل السببي، والأفعال اللغوية والوصف وغيرها من العلامات اللغوية. وبهذه العلامات نستطيع أن نجسّد آليات إقناعية أو تلميحية، حيث تضطلع هذه العلامات بدور محدد في الخطاب[1]. وتتعدد وسائل الإقناع اللغوية كالتلويح، والتحذير، والتهديد، والابتزاز، والوعد والوعيد[2].

١. الحجاج العقلي بالإثبات

ويظهر الحجاج في مواطن متعددة في هذه السورة الكريمة منها:

أولاً: الطرفان يتبادلان التهم. أحد الطرفين وهو زوجة العزيز تتهم الطرف الآخر وهو يوسف عليه السلام بقولها: ﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الآية ٢٥) وهو يردّ التهمة عن نفسه بقوله: ﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾ (الآية ٢٦) فالفصل بين الموقفين يحتاج إلى قاضٍ حكيم فكان الشاهد الذي من أهلها فقال: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (الآية٢٦) فالحجاج بين الطرفين

---

[1] . الشهري، عبد الهادي بن ظافر .استراتيجيات الخطاب. ص ٤٧٨ – ٤٨٢

[2] . المرجع السابق . ص ٤٥٤– ٤٥٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أدى إلى إثبات الحجة على لسان الرجل الذي هو من أهلها. فالحجاج يؤدي إلى إثبات الحجة .

إنّ الأدلة الإقناعية تبرز في مواطن متعددة من السورة الكريمة فيظهر في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الآية ٩٦) أنّ مجيء البشير ومعه قميص يوسف؛ ليلقي به على وجه الأب تنفيذاً لأمره عليه السلام. يعدّ سبباً في إنهاء بكاء يعقوب، وفَرِحه فرحاً شديداً، فضلاً عن أن الفرح له آثار نفسية تنعكس على الحالة الصحية، فقد حدَّثه قلبه بالإلهام من الله أن يوسف ما زال حياً[1]. إنّ في هذا القميص دليلاً على صدق النبوة وبه تجلّتْ انتصارات الحقّ، فقد قال يعقوب عليه السلام: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(الآية٩٦)، ولم يَقُلْ ذلك إذلالاً لهم، بل ليعطي الثقة والتوثيق لأخبار كل نبي، وأن الواقع قد أيَّد الكلام الذي قاله لهم: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (الآية٨٧).

وتعتقد الباحثة أنّ أدب الخطاب يتمثّل في قوله "فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ " حيث تمثّل هذه الصفة حجة المرسل في خطابه لإقناع المرسل إليه، لأنها تمثّل أداة الفعل الحجاجي وعلامة عليه، لأنّ بلفظة البشير معاني السرور والسعادة المطلقة، وتحمل في ثناياها كلّ معاني الفرح بتحقق شيء لم يكن متوقّعاً، فقد كانت البشارة قميص يوسف عليه السلام فهو دليل إقناعيّ، وقد كان السبب في بكاء يعقوب في السابق، ودليل تلوح به حقيقة كذب

[1] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج١١، ص ٧٠٧١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أبناء يعقوب في ادعائهم بأن الذئب أكله. كما أنه دليل عند يعقوب عليه السلام على نجاة يوسف وأنّه ما زال حيًّا، فقد كان القميص في كلّ مرة يلوّح ليعقوب بأنّ يوسف على قيد الحياة، فحضور البشير ومعه القميص يلوّح بصدق يعقوب، ويكون وسيلة إقناع لأبناء يعقوب عليه السلام بصدق نبوّة والدهم، فلا يجد الإخوة إلا أن يقرّوا بذنوبهم فيقول الحق سبحانه: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ (الآية٩٧).

وتستخلص الباحثة أنّ سيدنا يعقوب استطاع إقناع بنيه بواسطة هذا الدليل المادي، وفي قوله: ﴿ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ لفت انتباه إلى صدق نبوّته، وصدق ما كان يخبرهم به عن يوسف، وإثبات حجته، وفي ذلك أدب خطاب عظيم، حيث إنّ الأدلة المادية لهي أبرز دليل على الإقناع، والدليل أنّ أبناء يعقوب اقتنعوا بصدق قول والدهم ذلك أنهم طلبوا منه أن يستغفر لهم.

٢. **الحجاج العقلي بالإغراء**

لجأ إخوة يوسف إلى إغراء والدهم بما يحبه لولده، وقد ذكروا ذلك لأنّه يسرّ أبوهم أن يكونوا فرحين[1]. فقد أطمعوا يعقوب عليه السلام في تمكينهم من يوسف بما فيه راحة نفسه فقالوا: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ (الآية١٢)، فهنا قد أغروا والدهم بما فيه راحة يوسف في اللعب و الرتع، والأكل والتوسع فيه[2]. وقد جاء الإغراء هنا لإقناع والدهم في تمكينهم من يوسف، ومحاولة التأثير عليه. ويعدّ الإغراء النفسي أدب خطاب راق، فهم لم يلجأوا إلى الطلب المباشر، وإنما استعاضوا عنه بتقديم

---

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ٢٩

[2] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٣٠٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الإغراءات المتعددة، وهذه تعدّ أحد آليات الإقناع النفسية التي استخدمها الإخوة في هذا الموضع لتنفيذ ما أرادوه. فلا يملك المخَاطَب إلا الاقتناع والموافقة.

٣. الحجاج البرهاني بالتبرير

لقد وقع الإخوة في حالة التبرير كما يفعل المذنب؛ إذ يعمد إلى تفسير سلوكه؛ ليبين لنفسه وللناس أن لسلوكه هذا أسباباً معقولةً[١]، فالتبرير هو أحد آليات الإقناع وفي حال الإخوة ما يدلّ على ذلك إذ: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ (الآية ١٦-١٧) فلقد كان اصطناع البكاء أكبر دليل على تبريرهم لموقفهم، وليكون ذلك علامة على صدقهم أمام والدهم، كما أنّهم قد أكدوا الخبر وذلك لإقناع أبيهم وحمله على تصديقهم.

و يندرج قول الإخوة: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ في إطار أساليب الإقناع غير المباشر التي تخاطب اللاوعي في الإنسان أكثر من مخاطبة الوعي، حيث يسرد المرسل حادثة صعبة التصديق، ولا يعطي المتلقي مجالاً للتصديق. حيث إنّ الأبناء يتهمون أباهم أنه مُتحَدٌّ لهم، حتى ولو كانوا صادقين، وهم يعلمون أنهم غير صادقين؛ ولكن جاءوا بكلمة الصدق ليداروا كذبهم[٢]. وليقنعوا والدهم بصدق مقالتهم.

وفي موضع آخر من السورة الكريمة في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ (الآية

---

[١] . مصطفى، معتصم بابكر. أساليب الإقناع في القرآن الكريم. ص ٤٨

[٢] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج١١، ص٦٨٨٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٨) نجد أن الأبناء قد حاولوا تسويغ جريمتهم فصبغوا قميص أخيهم بالدم ليقنعوا أباهم، وليشهد لهم بصدقهم. فقدّموا براهين متعددة على صدقهم، حيث البكاء وتلويث القميص بالدم حتّى يبرروا فعلتهم[١].

وترى الباحثة أنّ المرسل عندما يطرح قضيّة ما لا بدّ أن يقدّم لها التبرير المناسب باعتماده على الأدلة المادية والمعنوية، فمن أدب الخطاب أن يقنع المرسل المرسل إليه بصحة ما ينقله إليه من أنباء وقد ظهر ذلك في موقف الأبناء الذين حاولوا الإتيان ببعض البراهين الدالة على صحة قولهم، فبرهنة الأبناء لما حدث وعدم الاستخفاف به يعدّ من باب أدب الخطاب المعتمد على البراهين والأدلة التي تجعل المخَاطَب يقتنع بصحة ما ينقله إليه المخاطِب.

وترى الباحثة أنّ زوجة العزيز قد بررت مراودتها ليوسف في الماضي بقوله تعالى على لسانها:﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (الآية ٥٣) فتبدو المرأة متحرجة من الاعتراف بذنبها، ولكنّها تنسب ذلك إلى ضعف النفس الإنسانية ولكنها تتحفظ فلا تدعي البراءة المطلقة، لأن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، ثم تعلن ما يدل على إيمانها بالله[٢].

لقد مضت في إقرارها فقالت: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ ﴾ وهنا للاحتراس مما يقتضيه قولها:" ذلك لِيَعْلَم أني لم أخنْه بالغيب" من أن تبرئة نفسها من هذا الذنب العظيم ادعاءً بأن نفسها بريئة براءة عامة فقالت: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ ﴾، أي ما أبرىء نفسي من محاولة هذا

---

[١] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٣١٩ – ٣٢٢

[٢] . قطب، سيد. في ظلال القرآن. مج٤، ص٢٠٠٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الإثم، لأن النفس أمّارة بالسوء وقد أمرتني بالسوء ولكنه لم يقع. وجملة ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ تعليل لجملة ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾، أي لا أدعي براءة نفسي من ارتكاب الذنب، لأن النفوس كثيرة الأمر بالسوء[1].

والاستثناء في ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ استثناء من عموم الأزمان، أي أزمان وقوع السوء، بناءً على أن أمر النفس به يبعث على ارتكابه في كلّ الأوقات إلاّ وقت رحمة الله عبده، أي رحمته بأن يقيّض له ما يصرفه عن فعل السوء، أو يكون حائلاً بينه وبين فعل السوء، كما جعل إباء يوسف عليه السلام من إجابتها إلى ما دعته إليه حائلاً بينها وبين التورط في هذا الإثم، وذلك لطف من الله بهما. ولذلك ذيلته بجملة﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ثناءً على الله بأنه شديد المغفرة لمن أذنب، وشديد الرحمة لعبده إذا أراد صرفه عن الذنب[2].

---

[1] . ابن عاشور التحرير. والتنوير، ج١٢، ص٧٩

[2] . المرجع السابق. ص٧٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤. الحجاج العقلي بالترهيب والتخويف

إنّ جوهر الاستراتيجيّة النفسية للإقناع استخدام رسالة فعّالة قادرة على تغيير الوظائف النفسية للأفراد حتى يستجيب المخَاطَب لهدف المرسل[١]. فالسعي إلى التغيير في البناء النفسي للفرد من خلال استعمال الترهيب والتخويف، فإنه يعمل على تحويل عاداته السلوكية لتتفق مع أهداف المرسل[٢]. وترى الباحثة أنّ هذه الاستراتيجيّة النفسية للإقناع، تُعدّ من أقوي الأساليب التي قد يستخدمها المرسل لإقناع المخاطب. فإذا أُثير الخوف في نفس الإنسان أصبح تحت السيطرة، فيسهل بالتالي إقناعه بوجهة نظر المرسل، ولا تترك للمخاطَب مجالاً للتفكير بما يُطْرح عليه.

يعدّ التهديد والترهيب الوارد في قوله تعالى على لسان زوجة العزيز: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الآية ٢٥) بأسلوب الاستفهام أحد آليات أدب الخطاب غير المباشر فهي لم تلزمه بتنفيذ رغبتها، وإنّما أثرت عليه تأثيراً نفسياً جعل المخاطَب يميل إلى الاقتناع برغبة المرسل فيعمل على تنفيذها حتى لا يكون ضحيّة لها. ويكون خطاب التهديد قد أثمر وكان له نتائج إيجابية، حيث وصل التهديد بطريقة التلميح، دون التصريح المباشر، وحقق الغاية المرادة.

ويظهر الترهيب في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ (الآية ٣٢) إذ يعدّ ترهيبها له آلية إقناع جديدة، حيث تعتقد أنها بذلك ستدفعه إلى الخوف فيقتنع بطلبها، إلا أنها عندما استخدمت التوكيد لترهبه كآلية إقناع برز في

---

[١] . مصطفى، معتصم بابكر. أساليب الإقناع في القرآن الكريم. ص٧٨

[٢] . المرجع السابق. ص ٨٣

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

خطابها تلطف كبير فقد قدّمت السجن أولاً على الصغار، وأكّدته بنون التوكيد الثقيلة، فالمحبّ لا يحبّ أن يسرف في تعذيب من يحبّ. فقدّمت التهديد بالسجن على الصغار، فهي لا تريد له الإذلال، ولا تقوى على رؤيته صاغراً، لذا أكدتها بنون التوكيد الخفيفة. أضف إلى أن الصغار لا يكون إلا في معصية الله، ولا يأتي إلا من ذات الإنسان.

٥. الحجاج العقلي بالمقابلة

يتولد الإقناع عند المرسل إليه بالحجاج، حيث تظهر أهميته فيما يولّده المرسل من اقتناع عنده باستعمال اللغة بقصد التأثير به، وإثارة انفعالاته[١].

ويكون هذا النوع من الحجاج بمقابلة أمرين متناقضين أحدهما صحيح والآخر بخلاف ذلك. وذلك واضح في قول يوسف لصاحبي السجن: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ (الآية ٣٩) حيث كان هذا المدخل مدار إقناع يوسف ومحور حجته عليه السلام، إذ قامت آلية الإقناع هنا على بدهية عقلية ونفسية وواقعية، فقد عقد المقارنة والمفاضلة بين الأرباب العديدة وبين الله الواحد القهّار عن طريق أسلوب الاستفهام؛ لأجل إقناعهم بصلب الدعوة وجوهر العقيدة، فهو لم يدعهما إليها مباشرةً، ولم يستدرّ عطفهما، وإنّما عرضها قضية موضوعية تهزّ العقل وتثيره[٢].

فقد ينزع بعض الناس إلى ما لا يصحّ أن يرغبوا فيه ولا أن يختاروه، كاختيار المشركين الشرك. لكن يظهر عند مراجعة الإنسان لنفسه مراجعة صادقة، وعندما يقابل الشرك بتوحيد الله وعبادته، ليظهر أنّ سبيل الله هي السبيل الحق. وهذا هو الذي أراده

---

[١] . الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب. ص ٤٥٧

[٢] . نوفل، أحمد. سورة يوسف دراسة تحليلية. ص ٣٩٠ – ٣٩١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يوسف عليه السلام؛ فقد أراد أن يثبت فيهما نزعة الحجاج بمقابلة وحدانيـــة الله بالـــشرك لتكون النتيجة أنّ عبادة الله الواحد القهار هي الخير كلّه.

٦. الحجاج العقلي بالترغيب

يعدّ الترغيب أحد آليات الإقناع حيث يستطيع المرسل فـــي خطابـــه أن يـــستخدم العبارات التي تميل إليها النفس الإنسانية، فالمرسل الألمعي يخاطب المتلقي بما يتواءم مع حاجاته وطموحاته ورغباته. فقد استخدم يوسف عليه السلام الترغيب في خطابه لإخوته، كما يظهر في قوله تعـــالى:﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ (الآية ٥٩) ففي هذه الآية ترغيب لهم في العودة وقـــد علم أنهم مضطرون إلى العود إليه لعدم كفاية الميرة، والدليل على ذلك قولهم بعـــد "ذلـــك كيل يسير"، أما قوله:﴿ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ فهذه الجملة كناية عن الوعد بأن يوفي لهم الكيـــل ويكرم ضيافتهم إن أتوا بأخيهم[1].

وترى الباحثة أنّ يوسف عليه السلام قد علم حاجة إخوته إلـــى الميـــرة فـــأكرمهم وأحسن ضيافتهم، ووعدهم بأن يوفي لهم الكيل وقد لجأ إلى ذلك ليرغبهم بالرجوع ومعهم أخوهم، فالترغيب قد جاء على لسان يوسف بأسلوب الاستفهام التقريـــري الـــذي يـــدفع المخاطَب إلى الاعتراف بفضل المرسل عليه فلا يملك إلا أن يعترف له بالفضل ويعمـــل على تنفيذ رغبته. فالترغيب جاء على لسان يوسف حتى يأنس إليه إخوته، فكانت نتائجـــه عظيمة فقد سارت الأمور كما أرادها يوسف فقد جعلهم يطمئنون إليه.

---

[1] . ابن عاشور التحرير والتنوير. ج١٢، ص ٨٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الثاني:

استراتيجيّة التلميح

يعدّ التلميح آلية من آليات أدب الخطاب، فقد يلجأ المرسل إلى استعمال هذه الآلية للتأدب في خطابه، أو لإعلاء ذاته على حساب الآخرين، أو رغبته في التملص أو التهرب أحياناً من مسؤولية الخطاب، وقد يكون التلميح استجابة للخوف، أو العدول عن محاولة إكراه المرسل إليه أو إحراجه لإنجاز فعل غير راغب في إنجازه بمنحه فرصةً للرفض والمناورة باللغة، فلا يعمد المرسل إلى إحراجه إن كان لا يرغب في تنفيذ ما يريده منه. وقد يعمد المرسل إلى الاستغناء عن إنتاج عدد من الخطابات والاكتفاء بإنتاج خطاب واحد ليؤدي معنيين هما المعنى الحرفي، والمعنى المستلزم في الآن نفسه. وتعتمد الاستراتيجيّة التلميحية على أدوات لغوية متعددة[1].

وفي بعض الحالات يكون أسلوب التلميح أشدّ تأثيراً في النفس من أسلوب التصريح! ويكون القصد هو المحور الرئيس الذي يتجلّى في الاستراتيجيّة التلميحيّة خصوصاً لإنجاز أفعال لغوية متعددة في سياقات متنوعة ذي شكل لغوي واحد مثل خطاب الاستفهام إذ يمكن أن ينجز المرسل أفعالاً كثيرة مثل فعل الطلب أو الإخبار[2].

وتظهر حقيقة التلميح في كونه إشارة خفية أو خفيفة إلى قضيّة أو موقف معيّن. أمّا الإشارة الخفية فتكون غير مباشرة في التعبير؛ أي إنّ الألفاظ لا تدلّ عليها بصورة مباشرة في التعبير. وقد يكون بإشارة مباشرة لكنّها خفيفة الوقع والظلّ[3].

---

[1] . الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب. ص ٣٨٥ – ٣٨٧

[2] . المرجع السابق. ص ١٩٨

[3] . استيتيّة، سمير. اللغة وسيكولوجيّة الخطاب. ص ٧٨ – ٧٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويمكن تعريف الاستراتيجيّة التلميحيّة "بأنّها عمليات ذهنيّة استدلالية تتفاوت من حيث الطول والتعقيد، ويعبّر بها المرسل عن القصد بما يغاير الخطاب الحرفي، لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبّر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمراً في ذلك عناصر السياق"[1]. وقد أكّد (سيرل) "أنّ التأدب يعدّ من أبرز الدوافع لاستعمال الاستراتيجيّة غير المباشرة في الطلب، وهناك صيغ معيّنة تكاد تكون بطبيعتها طرقاً عرفيّة للتأدب في إنجاز الطلب غير المباشر"[2].

ويعد خطاب التلميح انتقائياً، لأنّ المخاطَب يملأ الفراغ عن طريق الاستدلال، فقد تكون الاستدلالات منها ما هو وارد، ومنها ما هو غير ضروري من أجل تأويل الجمل وقد تعدّ حشواً ما دمنا نملك بنية معرفية ذهنية[3].

١. التلطّف:

يعدّ التلطّف في التعبير من أبرز ما يميّز أدب الخطاب ويظهر جماله وسموّ ألفاظه عن الخطابات الأخرى، فهو وسيلة غير مباشرة يعمد إليها المتكلّم للتعبير عن مراده بترفّق ولين[4].

ويظهر من قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴾ (الآية١١) أنّ في قول الأبناء ما يدلّ على محاولاتهم المتكررة في السابق بأن يأخذوا يوسف معهم، لكن يعقوب عليه السلام لم يوافقهم[5] "خوفاً عليه من أن يصيبه سوء من

---

[1] . نقلاً عن الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب. ص ٣٧٠

[2] . المرجع السابق. ص ٣٧٢

[3] . خطابي، محمد. لسانيات النص. ص ٤٢

[4] . العموش، أحمد. التلطّف في القرآن الكريم. ص ٧

[5] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج١١، ص ٦٨٧٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

كيدهم، ولم يكن يصرّح لهم بأنّه لا يأمنهم عليه، ولكن حاله في منعه من الخروج كحال من لا يأمنهم عليه فنزّلوه منزلة من لا يأمنهم، وأتوا بالاستفهام المستعمل في الإنكار على نفي الائتمان"[1].

إن اللفظ والقصد في الآية السابقة لا يرتبطان برابط لغويّ[2]، حيث إنّ الأبناء هنا استخدموا الاستفهام الإنكاري لنفي ائتمانهم عليه. إلا أنهم أرادوا من وراء هذا الاستفهام التلميح إلى رغبتهم الحقيقية في موافقة والدهم على إرسال يوسف معهم، لينفذوا مؤامرتهم التي اتفقوا عليها بشأن التخلص منه، والتفات أبيهم إليهم. وتستخلص الباحثة أنّ الأبناء استخدموا هذا الاستفهام للوصول إلى ما أرادوا، فقد دخلوا من مدخلٍ يصعب على يعقوب أن يصرح به لهم، فهم يدركون حقيقة ظنّه بهم، وقد أرادوا التلميح إلى يعقوب بذلك، مما يجعله سريع الموافقة على إرساله لنفي ظنّهم.

وقد ظهرت الاستراتيجيّة التلميحية في مواطن عديدة في السورة الكريمة بعدة أساليب لغوية، إذ جاء على لسان يعقوب عليه السلام:﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾(الآية ١٣)، حيث إنّ في توكيد حزنه بأن يذهبوا بيوسف يلمّح إلى شدة محبته له، وعدم ائتمانهم عليه، وأن جواب يعقوب على طلبهم ليس قبولاً واضحاً ولا رفضاً بيّناً، وأن جوابه إلى الرفض أقرب، لعلمه اليقيني بحسدهم له[3]. إنّ خوف يعقوب الفائق على يوسف وعدم ثقته بأبنائه جعله يلمّح إلى حزنه إن فارقه يوسف؛ وذلك ليثني أبناءه عن الذهاب به.

---

[1] . نقلاً عن ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج ١٢، ص ٢٨

[2] . الشهري، عبد الهادي بن ظاهر. استراتيجيات الخطاب. ص ٤٢٠

[3] . باجوده، حسن محمد. الوحدة الموضوعية في سورة يوسف. ص ١٥٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وترى الباحثة أن من أدب خطاب يعقوب عليه السلام أنه قال: ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾، فهو يلمح إلى خوفه على يوسف إن غفلوا عنه، فقد لمّح إلى أنّ خوفه لم يكن ناشئ عن عدم ثقته بهم، وإنّما الخوف في حالة غفلتهم عنه، فهذا ما أراد أن يوصله إليهم من تلميحه إلى عدم رغبته بذهابه معهم.

فالتلطف ظاهر في قوله تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾ (١٦ الآية) إذ نجد أن البكاء هنا من الأفعال غير اللغوية التي تحتوي قوة إنجازية مستلزمة مرتبطة بالمقام، كما أن اختيار زمن العشاء الذي يلمّح فيه إلى الغموض والإبهام والرهبة، والتظاهر بالبكاء كلّها ملمحات أرادها الأبناء ليوصلوا إلى أبيهم خبر الضرر الذي لحق بيوسف. إن المجيء وقت العشاء والبكاء المتعمّد كلها أدوات غير لغويّة، تلمّح إلى المخاطَب عبر العمليات الذهنية الاستدلالية بحجم المصيبة التي وقعت[1].

ويعدّ ذلك من التعابير الاصطلاحيّة حيث إن القصد المراد يختلف عن المعنى الأصل، فالقصد هو ما يتبادر إلى الذهن، حيث كذب إخوة يوسف على أبيهم رغم أنهم كانوا يبكون، وهذا مظهر يناقض الحقيقة[2]. إلا أنهم كانوا يقصدون من هذا الكذب تخفيف الصدمة على والدهم، وإظهار حزنهم العميق على أخيهم، وليشعروا أباهم بأنهم حزينون عليه.

لقد تلطّف الأبناء في إخبار والدهم بما جرى ليوسف. وذلك أنهم لمّحوا إلى ذلك من خلال الزمن الذي جاءوا فيه، والتظاهر بالبكاء. فاختيار التلميح هنا كان لأجل تهيئة الأب

---

[1] . الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب. ص ٣٧٠. و باجودة، حسن محمد. الوحدة الموضوعية في سورة يوسف. ص ١٦٤ – ١٦٥

[2] . الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب. ص ٤٠٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لهذا الخبر المحزن، والتلطّف به، وعدم إبلاغه بما جرى ليوسف صراحة فمجيئهم بهذه الحال سيوحي إليه بحدوث المكروه لابنه الحبيب. وأيضاً لتخفيف الحرج عن أنفسهم وخاصة أنهم قالوا:﴿ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾

وثمّة تلميح نجده في قوله تعالى:﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الآية ٢٣)، حيث إنّ "المراودة" هي الطلب منه برفق ولين ومخادعة، وراودته امرأة سيّده عن نفسه(إنّه تعبير لطيف محتشَم)، وغلّقت أبواب قصرها وقالت: "هيت لك" هلمّ وأقبل وأسرع، عليّ يا يوسف، فقد هيأت لك نفسي فقال يوسف: معاذ الله أن أخون ربّي وسيّدي ومالك نفسي لقد أحسنَ إليّ غاية الإحسان، فكيف أخونه بعد كل هذا الإكرام![1].

إنّ التلميح ورد بتطلف كبير في قول زوجة العزيز ﴿هَيْتَ لَكَ ﴾ حيث عبرت عن رغبتها الداخلية في يوسف عليه السلام بهذا اللفظ، وأنّ فعل المراودة وإغلاق الأبواب وقولها: "هيت لك" كلّها أفعال تلميحيّة تعلن عن رغبة زوجة العزيز بفعل الزنا مع فتاها يوسف، ولكن هذه الرغبة لم تكشف عنها صراحة بل اختارت أخفّ الألفاظ وألطفها لتصل إلى رغبتها.

وتستخلص الباحثة موضع التلطّف والتأدب في خطاب زوجة العزيز ليوسف فقد قالت :﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾(الآية ٢٣) فهذه العبارة التي اختارتها زوجة العزيز لمخاطبته بها لها أبعد الأثر بالتأثير في النفس. لأنها توحي أنها على أتمّ الاستعداد لذلك، بدليل أنها

[1] . القطان، إبراهيم. تفسير التفسير. ج٢، ص٢٤٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وصلت درجة التهيئة، وانبعت عدّة وسائل من قول ليّن والقيام بأعمال تناسب ما أزمعت عليه من إغلاق للأبواب، ثمّ الوصول إلى أقصى درجات التلميح لرغبتها الشهوانيّة بهذا القول المتلطّف.

وثمّة تلميح في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (الآية ٣١) حيث إن التعبير الاصطلاحي "حاش لله" يتمّ منه فهم دلالة الخطاب مباشرة من خلال فهم معاني الكلمات التي دخلت في تركيبه، ويعدّ هذا التعبير الاصطلاحي من الأشكال المأثورة التي قد استقرّت معانيها في المعجم الذهني على أنها كلمة واحدة[1]. وقد استُعْمِلَ هذا التعبير للتلميح عن نزاهة يوسف وترفّعه عن أن يكون بشراً، ففي لحظة ذهول من النسوة ينطقن بهذه العبارة التي تلمّح إلى إعجاب النسوة به، حتى نزهنه عن أن يكون بشراً يرتكب الفاحشة، وترى الباحثة أن هذا التعبير الاصطلاحي يعدّ أداة تلميحيّة في غاية الروعة والجمال، لأنه ينبئ عن مصداقية عالية أتت في لحظة ذهول يصعب على الإنسان فيها أن يأتي بشيء يخالف الحقيقة والواقع، وفي ذلك تلميح إلى نزاهة يوسف وطهره وعفّته.

ويظهر التلميح في قول يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (الآية ٣٣). وهذا الكلام مناجاة لربه فقد فضّل السجن مع ما فيه من الألم والشدة وضيق النفس على ما يدعونه إليه من فعل الباطل، وعبّر عما عرضته المرأة بالموصولية لما في الصلة من

[1] . الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب. ص ٣٩٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الإيماء إلى كون المطلوب حالة هي مظنة الطواعية، لأن تمالئ الناس على طلب الشيء من شأنه أن يوطن نفس المطلوب للفعل[1].

إنّ التعبير عما عرضته النسوة بالموصولية فيه إيماء وتلميح، ومن وجهة نظر الباحثة فإنهّ أدب في خطاب ربّ العزّة، لأن ذكر ذلك الأمر فيه حرج وحياء شديدين لسيدنا يوسف أمام خالقه، فلا يليق بعظمة الله وهيبته أن يذكر هذا الأمر صراحةً، فلم يستطع تكرار لفظ هذا العمل، بل لمّح إليه باستخدام الاسم الموصول ذلك لأنّ ربّ العزة على علم به. فالعلامة اللغوية هي دليل على حرص المرسل على الأدب في خطاب ربّ العزّة، وبالتالي فهي أداة قادرة على تحديد مقصد الخطاب.

ويظهر التلميح في قوله تعالى:﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ (الآية ٤٢) حيث إنّ الضميرين في "أنساه ربه" يحتملان العود إلى"الذي"، أي إنّسى الشيطان الذي نجا أن يَذكره لربه، ويحتمل أن يعود الضميران إلى ما عاد إليه ضمير "وقال" أي يوسف عليه السّلام أنساه الشيطان ذكر الله، ولعل كلا الاحتمالين مراد، وهو من بديع الإيجاز. وذلك أن نسيان يوسف عليه السّلام أن يَسأل الله إلهام الملِك تذكر شأنه كان من إلقاء الشيطان في أمنيته، وكان ذلك سبباً إلهياً في نسيان الساقي تذكير الملك، وكان ذلك عتاباً إلهياً ليوسف عليه السّلام على اشتغاله بعَون العباد دون الاستعانة بربه على خلاصه. ولعل في إيراد

[1] . ابن عاشور التحرير والتنوير. ج١٢، ص ٥٧ –٥٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذا الكلام على هذا التوجيه تلطفاً في الخبر عن يوسف عليه السّلام، لأن الكلام الموجه في المعاني الموجهة ألطف من الصريح[1].

هناك أدوات لغوية في بنية الخطاب مؤشراً تلميحياً على قصد سيدنا يوسف عليه السلام. ففي استخدام الفعل "ظنّ" استعمله ربّ العزّة على لسان سيدنا يوسف للتعبير عن الشك وعدم التأكد من نجاته[2]. حيث ترى الباحثة أن سيدنا يوسف عندما ظنّ بنجاته كان ذلك من باب التلطّف والأدب، فهو لا يعلم الغيب، وإنما يتوقع نجاته وذلك بفضل الله عليه بأن علمه التأويل. وحسب تأويله لرؤياه التي ذكرها له توقع أنه هو الذي سينجو.

وقد ورد تلميح آخر بعتب إلهيّ على سيدنا يوسف عليه السلام، بنسيانه ذكر ربه، وذلك أنه طلب من الذي ظنه ناجٍ أن يذكره بالخير عند سيده، فكأنه نسي أن الله هو مصدر الخير كلّه، فكان التلميح إلى عتب الله عليه أنه نسي أن الله هو الذي ينجي من كلّ كربٍ وهمّ. وتستخلص الباحثة أنّ هذا التلميح جاء بمنتهى الرقة واللين، فلم يظهر هذا العتب مطلقاً، ولكننا نستشفه من مكوث سيدنا يوسف عليه السلام في السجن بضع سنين.

وثمّة تلميح في قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ (الآية ٥٦-٥٧) إذ إنّ استخدام اسم الإشارة "كذلك" يلمّح إلى كل ما حدث مع يوسف حتى وصل إلى التمكين، فقد ورد الحديث عن التمكين في موضعين نظراً لأهميّته في الحدث، وفي التكرار لعمليّة التمكين تلميح إلى إتمام نعمة الله عليه، وأن الرؤيا

---

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص٦٧ و الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج١١، ص ٦٩٦٦

[2] . الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب. ص ٣٣٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

التي أولّها يعقوب بدأ بالتحقق فعلياً، وهناك تلميح لطيف إلى أن الله لا يضيع أجر المحسنين كافة، فعمومه لخصوص ما أصاب يوسف عليه السلام من الرحمة في أحواله في الدنيا وما كان له من مواقف الإحسان التي كان ما أعطيه من النعم وشرف المنزلة جزاء له في الدنيا، لأن الله لا يضيع أجر المحسنين. ولأجره في الآخرة خير من ذلك له ولكل من آمن واتقى[1].

٢. **الكشف عن المقاصد:**

يظهر إثبات المقاصد والكشف عنها، أو سبل إثباتها في الاستنباط المباشر، وذلك بتتبع الأدلة والقصد والاجتهادات في السياق التداولي. ويتركز دور المقاصد على بلورة المعنى كما هو عند المرسل. فالمقاصد لب العمليّة التواصليّة، وغاية المرسل هي إفهام المرسل إليه[2].

وفي قوله تعالى كشف لمقاصد إخوة يوسف: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الآية ٨). إن افتتاح القول بلام الابتداء المفيدة للتّوكيد لقصد تحقيق الخبر وكأنهم قالوا: والله إن أبانا يحب يوسف وأخاه أكثر من حُبّه لنا. والتوكيد لا يأتي إلا بصدد إنكار[3].

إن للقصد أثراً في معرفة المعنى، والقصد هو المحور الرئيس في استراتيجيّة التلميح[4]، حيث إن مرسل الخطاب في الآية الكريمة السابقة قد استخدم أحد المؤكّدات

---

[1] . ابن عاشور. التحرير و التنوير. ج١٢، ص ٨٣

[2] . الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب. ص ١٨١ – ١٨٣

[3] . ابن عاشور. التحرير والتنوير.ج١٢، ص٢٣. و الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج١١، ٦٨٦٤

[4] . الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب. ١٨٦ – ١٩٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اللغوية (لام التوكيد في ليوسف)، وأنّ باستخدام هذا المؤكّد اللغوي تلميح إلى شدّة الغيرة من أفضليّة يوسف عليه السلام، حيث نستنتج من الأداة اللغوية مدى كراهية الإخوة ليوسف والغيرة منه، والذي يؤكّد هذا الاستنتاج اسم التفضيل أحبّ، حيث يكشف هذا الاسم عن مقدار ضيق أبناء يعقوب من مكانة يوسف في نفس والدهم، فالقصد من هذا التوكيد الكشف عن استياء الأبناء من تمتع يوسف بهذا الحبّ العظيم في حين أنهم لا يلاقون بمقداره على الرغم من أنهم جماعة.

ففي قوله تعالى كشف عن حقيقة قول الإخوة:﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ (الآية ٧٧) إذ إنّ العبارة الشرطية توحي بأن حدثاً يقع بسبب حَدَث وقع قبله، فهناك حَدَث يحدث وحده، وهناك حَدَث يحدث بشرط أن يحدث قبله حدث آخر[1]، وفي ذلك تلميح إلى أنّ ما حدث من سرقة الآن مشروطة بحادثة السرقة في الماضي. وقالوا ذلك في مجال تبرئة أنفسهم، وهكذا وَضُحَتْ ملامح العداوة منهم تجاه يوسف وأخيه[2].فالشرط هنا وضح قول إخوة بأن سرقة بنيامين مرتبطة بسرقة يوسف عليه السلام في الماضي. ويكشف قولهم عن مقصدهم بأن السرقة متأصلة في يوسف وأخيه، وهذا الاتهام الصريح يلمّح إلى مقدار الكراهية والبغضاء ليوسف عليه السلام، حتى أنهم مازالوا على موقفهم السابق من يوسف على الرغم مما فعلوه به.

---

[1] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج١١، ص ٧٠٣٠

[2] . المرجع السابق. ص٧٠٣٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يكشف السياق القرآني عن دور الصفة في بيان المقاصد والكشف عنها كما يظهر في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الآية ٧٨) حيث إنّ كلمة "كبير" تُطلق إطلاقات متعددة، إنْ أُريدَ الكِبَر في السنّ، أو كبيراً عظيماً في قومه[1]، فقد استخدمت كلمة كبير للتلميح إلى شيء يقصدونه، وجاء التلميح بهذه الكلمة ليس بقصد إخباره بذلك، وإنّما قصدوا أنّ والدهم لا يستطيع أن يستحمل صدمةً جديدة، بعد أن فقد ابناً له، أو أنّه عظيم في قومه، وحينما يبلغه أن ابنه احتُجز من أجل سرقة، فهذا أمر مؤلم، فكأنهم أرادوا أن يلمحوا للعزيز بأن أباهم لن يستطيع أن يستقبل خبراً كهذا، وأرادوا منه أن يأخذ أحدهم مكانه.

ولقد استخدمت كلمة كبير للكشف عن مقاصدهم والتلميح إليها، واتسم خطابهم بالأدب عندما وصفوا أباهم بهذه الصفة، كما أن أداة التوكيد التي سبقتها تؤكد أن هناك قصداً آخر يريده المرسل غير الإخبار عن أبيهم، فهذه أدوات تلميحيّة تلمّح برغبتهم بالعفو عن أخيهم، كما ترى الباحثة أن الأبناء قد لمّحوا بذلك للعزيز لما عرفوه عنه في السابق من إحسان، وبالتالي فإنه لن يفعل ما يسوء شيخاً ضعيفا، أو سيداً عظيماً.

[1] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج١١، ص ٧٠٣٣ – ٧٠٣٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث:

استراتيجيّة التأدب الإيجابي

استراتيجيّة التأدب هي الاستراتيجيّة التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبّر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، وإزالة الفروق بينهما، فهي استراتيجيّة تعمل على تقريب المرسل من المرسل إليه وتتخذ البعد الاجتماعي معياراً لها. فينشأ عنها الصداقة الحميمة، والانتماء إلى الجماعة.

تتوجه استراتيجيّة التأدب الإيجابي صوب اهتمامات المرسل إليه ورغباته وحاجاته أثناء عمليّة التواصل، حيث يكون التأدب والتخلّق في الخطاب وسيلة تيسر الفهم وزرع المودة، فهذه الاستراتيجيّة تعنى بالتعامل الأخلاقي دون إغفال الاهتمام بتبليغ القصد والتعبير عنه وفق قوانين معيّنة للتأدب كالتودد واللباقة والتواضع.

إن الأداة اللغوية هي عماد الخطاب، فالأدوات اللغوية والآليات الخطابية التي يستعملها المرسل تبيّن مدى التأدب الإيجابي والتقارب بين المرسل والمخاطَب، فهي استراتيجيّة تفاعلية من شأنها إقامة علاقات الصداقة والمودة بين الأطراف[1].

إنّ استراتيجيّة التأدب الإيجابي من أهم الاستراتيجيات الخطابية في إقامة علاقات اجتماعية حسنة مما يؤدي إلى تماسك المجتمع، وقيام علاقات المودة بين المتخاطبين، ويسعى المرسل في هذه الاستراتيجيّة إلى تبليغ مقاصده بلباقة مع إظهار التواضع وعدم التعالي على المخاطَب.

---

[1] . الشهري، عبدالهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب. ص ٢٥٧ – ٢٦٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يعدّ التصغير أحد الآليات اللغوية التي تؤدي وظيفة تداولية، فهي تخفف من حدّة الأفعال اللغوية كأفعال الطلب، ويعدّ استخدام هذه الآلية ضرباً من التأدب غير الرسمي، فهو تعبير عن الألفة، ويقوّي درجة المودّة بين المرسل والمخاطَب، ولأن التصغير ينسجم مع قاعدة التواضع[1].

فقد استعمل التصغير في قوله تعالى:﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ ﴾(الآية ٥) خطابُ تحنينٍ، إذ يدل على القرب من القلب[2]، وفي هذا الخطاب نلمح التأدب الإيجابي من سيدنا يعقوب في خطاب ابنه يوسف بتودد، حيث استخدم آلية التصغير في خطابه، فهذا الأسلوب في الخطاب يعمل على إشاعة روح المحبة والمودة بينه وبين ابنه، وتقرب المرسل من المرسل إليه بمجرد التلفّظ، وتخفف حدّ النهي، مما يدفع الابن إلى الاستجابة إلى نهي الأب.

إنّ التصغير هنا عمل على سيادة جو من المودة، مشعراً المخاطَب بحبّ الأب له وحرصه عليه، كما أضفى على الخطاب الحميميّة، كما يعدّ آليّة فعّالة بإيصال القصد والتعبير عنه خير تعبيرٍ، فيدرك المخاطَب القصد من الخطاب باستشعاره لمقدار المودة من المرسل.

وفي آلية لغوية أخرى تظهر استراتيجيّة التأدب الإيجابي في أسلوب النداء الذي ورد على لسان أبناء يعقوب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴾ (الآية١١)، فالتأدب ظهر في نداء الأبناء التوددي، وذلك

---

[1] . الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب. ص ٣٠٨ – ٣٠٩

[2] . الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. مج١١، ص ٦٨٤٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ليظفروا بمرادهم، فالنداء المتودد يقصد منه المرسل إيصال قصده إلى المخاطب، بحيث لا يملك المخاطب مع هذا النوع من الخطاب إلا الاستجابة لطلب المرسل.

إن خطاب التأدب الإيجابي المتسم بالتودد قد جعل الأبناء بلباقتهم يحققون مرادهم، وذلك بكسبهم ودّ والدهم عند ندائهم إليه بتودد وتلطّف، لامسين حقيقة عدم ائتمانهم على يوسف، فإثارة هذه المسألة ببراعة، يعدّ من باب اللباقة، وضماناً بعدم رفض طلبهم.

ويستعمل مرسل الخطاب الاسم الأول للمرسل إليه عند ندائه وهذا الاستعمال له دلالات معيّنة كما في قوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ (الآية ٢٩) حيث يتضح من نداء الاسم الأول أن المرسل أعلى مرتبة من المرسل إليه، إلا أن المنادى إليه قريب من نفس المرسل، وقد تنامت المودة بين الطرفين فكانت سبباً في تضامن العزيز مع يوسف والطلب إليه أن يعرض عما رمته به، وتستدلّ الباحثة على القرب النفسي الحاصل بين العزيز ويوسف من حذف أداة النداء، ويظهر تعاطفه مع يوسف مما رمته به زوجته[1].

إنّ خطاب التأدب الإيجابي يظهر في قوله:﴿ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ ﴾ فقد استخدم اسم الإشارة للقريب في حين أنه نزّه يوسف عن ذلك الأمر وعدّه بعيداً عنه أن يفعل ذلك. إنّ دلالة استخدام اسم الإشارة للقريب أن ذا القرب ينوب عن ذي البعد، فاستخدام اسم الإشارة للقريب، تأدباً من المرسل لما للمرسل إليه من مكانة كبيرة في نفسه، ولقرب حدوث الأمر وهذا ما دلت عليه البنية السطحية، أما في البنية العميقة فإنّ القصد منه الإشارة إلى بُعد هذا الأمر عنه، لترفّعه عنه وسمو أخلاقه، لذا طلب إليه عدم الاهتمام به وكتمه.

---

[1] . الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب. ص ٢٧٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فالتأدب الإيجابي والنية الصادقة في دعاء يوسف لربّه كان سبيلاً إلى الاستجابة وذلك ظاهر كما في قوله:﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (٣٤- ٣٥) فقد ظهر في قول ربّ العزّة على لسان يوسف تودد بالدعاء إليه وذلك تأدب إيجابي معه، حيث يلجأ الإنسان إلى خالقه وقت الشدائد ليفرّج عنه محنته، كما وتستخلص الباحثة من قوله: " فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ" أنه أضافه إلى نفسه حيث أحال الضمير إليه في صرف الكيد عنه، ولمّا ذكر السجن أحال الضمير إليهم، فقال: "لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ "، وإن كان سبحانه هو الذي سبّب السجن له، وأضاف ما منه الرحمة إليه، وما منه الشدة إليهم.

وترى الباحثة أنّ الإحالة كانت من وسائل استراتيجيّة التأدب الإيجابي، فقد أظهرت أدب الخطاب بصورة جليّة عندما أحال الخير والرحمة واللطف إلى نفسه، في حين أن الشدة والظلم لا يأتيان إلا من الناس. ففي هذه المفارقة أدب عظيم فاستخدام الضمائر عمل على تغيير دلالة الألفاظ، ومن هذا تتبيّن الباحثة أهمية العناصر الإحالية في تشكيل أدب الخطاب.

يستخدم المرسل الألقاب تأدباً في خطابه، حيث يستخدمه بتنغيمٍ معيّنٍ مناسب للمعنى أو القصد المراد. ويستخدم في خطاب النصح، ليدلّ به المرسل على أنه يعمل لصالح المرسل إليه مثل خطاب الدعوة إلى الله[1]، كما في قوله تعالى:﴿ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ (الآية ٣٩). إنّ الخطاب الموجه إلى الفتيين

[1] . الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب. ص ٢٧٥ -٢٧٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بطريق النداء المسترعي سمعهما إلى ما يقوله للاهتمام به، وعبّر عنهما بوصف الصحبة في السجن دون اسميهما، للإيذان بما حدث من الصلة بينهما وهي صلة المماثلة في الضراء والإلف في الوحشة، فإن الموافقة في الأحوال صلة تقوم مقام صلة القرابة أو تفوقها[1]. فاستخدام النداء باللقب فيه تأدب إيجابيّ، حيث أشعرهما بقربهما منه وأنه يحرص على الخير لهما.

إنّ استخدام هذه الآلية في الخطاب قد أظهر أدباً إيجابياً في خطاب يوسف لصاحبي السجن، حيث قصد من استخدام هذه الآلية إقناعهما بأن حال المنفرد بالإلهية أعظم وأغنى، فيرجعان عن اعتقاد تعدد الآلهة، فكان استخدامها مصدر إقناع لهما، كما تعدّ أداة من أدوات أدب الخطاب، فإذا أحسن المرسل الافتتاح في خطابهما كان لما سيلقيه عليهما أثر كبير في نفسيهما، لشعورهما بحرصه على مصلحتهما.

إن هذه الآلية أظهرت التودد للفتيين كما أظهرت لباقة سيدنا يوسف عليه السلام في حرصه على صحبتهما وانتمائه إليهما، والدليل على ذلك ما طرحه عليهما من تساؤل. وتظهر لباقة سيدنا يوسف في طريقة تبليغه القصد المراد، عن طريق التأثير عليهما في الجانب الذي يريد تحقيقه من خلال الفعل التواصلي، فقد ترك لهما حريّة القرار بعدما وجّه إليهما سؤالاً لا يتوصل إلى الإجابة عليه إلا بعد المرور بعمليات ذهنية، كالتفسير والتحليل والبرهنة، ثمّ الاستنتاج.

وفي قوله تعالى نلمح استراتيجيّة التأدب الإيجابي، وذلك في خطاب الملك للنسوة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ٦٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

(الآية ٥١) ففي خطاب الملك وزوجة العزيز تأدب إيجابيّ، فقد استدعى الملك النسوة، وعند سؤالهنّ أشركهنّ جميعاً في فعل ذلك الأمر العظيم، لحفظ هيبة المراودة من بينهن، وقد استخدم ضمير جماعة المخاطبات، فهذا يعني أنّ الخطاب كان مباشراً لهنّ، في حين أن الحديث كان عن يوسف عليه السلام باستخدام ضمير المفرد الغائب لبعد التصديق بما رمي به، فالتأدب الإيجابيّ يظهر في أنّ الملك، فعلاً نفّذ رغبة يوسف في معرفة حقيقة الأمر، فلم يعقد المواجهة بين الطرفين، ويعود ذلك لإقرار الملك بصدقه، وعدم تصديقهنّ.

ويظهر التأدب الإيجابي في استخدام زوجة العزيز ضمير المتكلم المفرد، وفي هذا إبعاد للتهمة عن بقية النسوة، وتبرئتهنّ من مراودة يوسف، وأن المراودة لم تحدث من غيرها، وأنّ يوسف بريء مما رمته، وتأتي بالمؤكّد لتأكيد براءته.

إنّ استخدام ضمير جماعة المخاطبات، دال على فراسة المرسل وحكمته، بأنه أشرك الجميع في الأمر، فلم يخصّص واحدة بعينها، وغاية ذلك عدم التشهير بالمراودة منهن، وحفظ هيبتها، إلا أنّ استخدام ضمير المفرد الغائب يعني الاعتراف له بالصدق والنزاهة عن أن يفعل السوء، فهو بعيد عن المنكر والفحشاء، أما استخدام ضمير المتكلم المفرد ففيه دلالة على يقظة الضمير والعودة إلى الحق، والرجوع عن الباطل، ومحاسبة الإنسان لنفسه، فالضمائر هنا قد عملت على إنشاء خطاباً متلطّفاً.

لقد أظهرت الضمائر بدورها تأدباً في خطاب يوسف عليه السلام لأخيه كما ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَنَآ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ (الآية ٦٩) إذ إنّ استخدام الضمير المؤكّد للضمير المتصل فيه تأدب إيجابيّ حيث ترى الباحثة أن

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المخاطِب أراد أن يكشف عن ذاته للمخاطَب فجاء بضميرين يؤكدان له الخبر، فقد عمد المخاطِب إلى الكشف عن نفسه بقوة حتى لا يتسلل الشكّ في نفس المخاطَب بصحة الخبر، وليزرع الثقة ويبث الطمأنينة في نفسه، مما ينعكس أثره إيجابياً على تقبل ذلك النبأ، مما يؤدي إلى نشوء المحبة والمودّة في نفسه إزاء المخاطِب.

إنّ التوكيد للخبر باستخدام الضمائر المنفصلة والمتصلة أدّى إلى التقارب بين المتكلم والمخاطَب وهذا من أشكال التأدب الإيجابي، وعليه فإن المرسل أراد أن يذيب الفوارق بينه وبين المخاطب، "وفي هذا تهيئة لنفس أخيه لتلقي حادث الصُّوَاع باطمئنان، حتى لا يخشى أن يكون بمحل الريبة من يوسف عليه السلام"[1].

تعددت مواطن التأدب الإيجابي فقد قال تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾(الآية٩١-٩٢) إذ ترى الباحثة بالنظر إلى هذه الآية أنّ الإخوة أظهروا لباقة عند العفو والصفح عنهم، فقد أظهروا تأدباً في الخطاب، واعترفوا بفضل يوسف عليهم، ويأتي هذا الاعتراف من باب التأدب الإيجابي. وهنا سار الطرفان وفق قانون الربح فكلّ طرف خاطب الآخر بتلطّف ولين، فيوسف عفا وصفح عنهم، في حين أنّ الإخوة اعترفوا بإحسانه وأنّ الله آثره عليهم، وأنّ الاستغراق في همزة المدّ هنا تبيّن مقدار ندم الإخوة وثقتهم بفضله عليهم.

يظهر التأدب الإيجابي على لسان يوسف عليه السلام، فقد أظهر يوسف اللباقة في العفو والصفح عمن أساء إليه، وهنا أراد أن يكسب ودّ إخوته وينهي روح الحسد

---

[1] . نقلاً عن ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ٩٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

والبغضاء من نفوسهم. ولم يضع إخوته موضع المذنب الذي يتلقّى حسابه، بل جنّبهم الحرج من سوء ما فعلوه به. وهنا نجد أن يوسف عليه السلام قد استعمل مبدأ التأدب الأقصى في الصفح عن إخوته فأعلمهم أنّ الذنب غُفِر لهم ورُفِع عنهم[1].

لقد اتسم خطاب يوسف عليه السلام بأدب النبوّة كما ظهر في قوله تعالى:﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (الآية ١٠٠) ومن وجهة نظر الباحثة أن خطاب يوسف عليه السلام المتصف بالتأدب الإيجابي قد ظهر عندما اجتمع إليه أبوه وإخوته قال: "إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ" ولم يقل من الجب مع أن الخروج منه أعظم من الخروج من السجن، فقد فضل ذكر السجن" لسببين أحدهما: إن في ذكر الجب تجديد فعل إخوته وتقريعهم بذلك وتجديد تلك الغوائل، والثاني أنه خرج من الجب إلى الرق ومن السجن إلى الملك والنعمة هنا أوضح، ولأن بين الحالين ثلاثة أوجه قصر المدة في الجب وطولها في السجن وإن الجب كان في حال صغره، ولا يعقل فيها المصيبة ولا تؤثر في النفس كتأثيرها في حال الكبر، والثالث إن أمر الجب كان بغيا وظلما لأجل الحسد وأمر السجن كان لعقوبة أمر ديني هو منزه عنه وكان أمكن في نفسه"[2].

---

[1] . الشهري، عبد الهادي بن ظافر الشهري. استراتيجيات الخطاب. ص ١١١- ١١٢

[2] . نقلاً عن ابن عطية. المحرر الوجيز. ج٣، ص ٢٨٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويظهر التأدب الإيجابي في رفع يوسف أبويه على العرش، فقد تحلى يوسف بالتواضع أمام والديه، وأجلسهما على كرسي الوزارة، تكريماً لهما وهذا من باب برّ الابن الصالح بوالديه، وقد جاء الفعل هنا بصيغة المفرد للدلالة على انفراد يوسف ببرّ أبويه.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الرابع:

استراتيجيّة التضام

تعدّ استراتيجيّة التضام واحدة من الاستراتيجيات التي تؤدي دوراً هاما في إنتاج دلالة الوحدة النصية الناشئة من تفاعل معاني مكوناتها، ومن علاقات الارتباط المنطقي بين معاني ألفاظها؛ لأنّ تآلف هذه المكونات يؤدي إلى أن يتلاحم الجانب الدلالي لها بعد أن ائتلفت ألفاظها، حيث تنتقل كل لفظة من دلالتها المعجميّة الذاتية إلى دلالة جديدة يحددها ائتلافها مع المكونات اللفظية الأخرى ضمن السياق الجديد، فعماد الاتساق النّصي التقارب بين وحداته من العلاقات التي تحقق للنص قوّة ومتانة[1].

وفي معجم لسان العرب ورد في مادة (ضمم) ضَمَمْتُكَ الشيءَ إلى الشيء وقيل قَبْضُ الشيء إلى الشيء وضَمَّه إليه يَضُمُّه ضَمّاً فانضمَّ وتَضامَّ تقول ضَمَمْتُ هذا إلى هذا فأنا ضامٌّ وهو مَضْموم[2]. فالتضام يعني التلاصق والتزاحم.

أما في لسانيات النص فإن المصاحبة المعجميّة أو التضام "هو ورود مفردات على نحو مطردٍ؛ أو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو القوة نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"[3]. إن العلاقات التلاؤمية التي تربط بين الوحدات اللغوية يأتي جزء منها مقترناً بآخر، بحيث إذا ذكر الأول ورد الثاني، ويأتي قسم منها بمصاحبة الآخر، بحيث إذا ورد الأول استدعي الآخر وهذه العلاقات هي ما أطلق عليها التضام أو المصاحبة المعجميّة[4].

---

[1] . أبو زنيد، عثمان. نحو النص. ص ١٣٧ – ١٣٩

[2] . ابن منظور. لسان العرب. مادة (ضمم)

[3] . نقلاً عن خطابي، محمد. لسانيات النص. ص ٢٥ ونقلاً عن أبو زنيد، عثمان. نحو النص. ص ١٤٠

[4] . أبو زنيد، عثمان. نحو النّص. ص ١٥٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إن للتضام أو المصاحبة المعجميّة أثراً في تقريب المعنى المراد عندما يكون لبعض الألفاظ أكثر من معنى، وهي بموقعها تقوم بما يحتاجه النص من قرائن مقالية وعقلية وحالية[1]. فقصد المتكلّم ومقتضيات الأحوال قد تستدعي استخدام وحدات معجميّة تسير في اتجاهين التقابل والتكامل، وقد تكون العلاقة بين هذه الوحدات علاقة تعارض، أو علاقات أخرى كعلاقة الكل- الجزء، الجزء – الجزء، أو عناصر نفس القسم العام، ويعدّ التضام وسيلة من وسائل الاتساق الذي يعتمده النص في تماسكه[2]. إنّ ظاهرة التضام لها صلة وثيقة في العلاقة التقليبية فالتقابل (بالمعاقبة أو التبادل والتضاد بالتنافي) والتكامل كلّها فروع على التقاليب، فتضافر هذه العلاقات المعجميّة يؤدي إلى اتساق النص وانسجامه[3].

وترى الباحثة أن التضام يقع في جميع مستويات اللغة ولا يقتصر على أحد مستويات اللغة، فقد يقع التضام في المستوى النحوي والصرفي والمعجمي والدلالي، كالتصاق أداة النداء بالمنادى، والصفة بالموصوف، وحرف الجر بالاسم المجرور[4]. إلا أنّ ما يعنينا في هذه الدراسة تضام العلاقات في المستوى المعجمي. وباستطاعة الباحثة الربط بين هذه العلاقات بما ينسجم وموضوع الدراسة.

لقد ذكر يوسف مجموعة مكونات النظام الفلكي عندما قال:﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾(الآية ٤) ففي استخدام "أحد عشر كوكباً والشمس والقمر"، كناية عن موجودات شريفة، وأنّ سجود المخلوقات الشّريفة له كناية عن

---

[1] . أبو زنيد، عثمان. نحو النص. ص ١٤٠

[2] . خطابي، محمد. لسانيات النص. ص ٢٥

[3] ، حسان، تمام. البيان في روائع القرآن. ص ١٥١– ١٥٤

[4] . حسان، تمام. اللغة العربية مبناها ومعناها. ص ٢١٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

عظمةُ شأنه. ولعلّهُ علم أنّ الكواكب كنايةٌ عن موجودات متماثلة، وأنّ الشمس والقمر كناية عن أصلين لتلك الموجودات فاستشعر على الإجمال دلالة رؤياه على رفعة شأنه فأخبر بها أباه[1].

إنّ استخدام هذه المجموعة المنتمية إلى مجموعة عامة تسهم في إنشاء أدب خطاب عظيم، ففي استخدام أحد عشر كوكباً إشارة إلى تعدد الفروع وتفاوتها بصفاتها، وفي ذلك إشارة إلى صفات إخوته وتفاوتهم في الحسد والبغضاء له، وصحوة الضمير لدى بعضهم، ومواقفهم المختلفة منه. أمّا الشمس والقمر فهما دلالة على رفعة شأن والديه المماثلين لهما بنظر يوسف عليه السلام، فالشمس والقمر أصلا النور، و الهداية والدفء والأمان بالنسبة إلى يوسف عليه السلام.

وتستخلص الباحثة من استخدام مجموعة هذه الكلمات أنّ المرئيين في رؤيا يوسف عليه السلام لهم شأن عظيم في نفسه، إضافة إلى مكانتهم عند الله عزّ وجلّ على الرغم من اختلاف أحوالهم بين الحين والآخر، وعلى الرغم من تفرقهم وابتعادهم عن يعقوب وولده يوسف إلا أنهم لا يخرجون عن إرادته، لأنهم يتمتعون ببذرة الخير والصلاح، فلا بدّ أن يكون لهم قدْر كبير ومكانة عظيمة. فالعناية الربانية ستجمع هذه الكواكب في مدار واحد مدار الهداية، وسيجتمع شملهم مع يوسف، كما تجتمع مجموعة الكواكب والنجوم في نظامها الفلكي.

ويظهر من قول ربّ العزّة على لسان سيدنا يعقوب: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ١٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(الآية٦) أنّ التأويل هو إرجاع الشيء إلى حقيقته ودليله أي إرجاع الحوادث إلى عللها وأسبابها بإدراك حقائقها على التمام. وهو المعني بالحكمة، وذلك بالاستدلال بأصناف الموجودات على قدرة الله وحكمته[1].

ومن وجهة نظر الباحثة أنّ التأويل ناجم عن التعليم، فحدوث التعليم أولاً، ثمّ مرحلة التأويل القائمة على الاستدلال، بعد الارتكاز على قواعد علميّة دقيقة ثانياً. وفي ذكر التأويل بعد التعليم أدب خطاب عظيم، لأنّ التأويل لا يحدث إلا وقت نضوج العقل، وبعد بلوغ الحكمة. وفي كلام يعقوب لابنه تهدئة للنفس وتهيئة لها بأنّ لها مستقبلاً عظيماً، وبذلك فإنّ ما يحدث لها من سوء ما هو إلا مقدمات لنعمة الاجتباء الأخروي، والتأويل الذي سيوصله بنعمة المجد الدنيوي. فخطاب يعقوب لابنه خطاباً إقناعياً قائماً على الاستدلال والبرهنة؛ لذا اتسم بسموّه لأنّ يعقوب عقد مقارنة بإتمام النعمة على ولده كإتمامها على أبويه إبراهيم وإسحاق.

والتوكيد بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ جاء للاهتمام فالله عالم بالنفوس الصالحة لهذه الفضائل، لأنه هو من خلقها وهيّأها لقبول العلم والحكمة[2]. وأرى أن العلم والحكمة من صفات الله عزّ وجلّ المتقاربة في المعنى حيث تترابطان بعلاقة قائمة على المعرفة الدقيقة لهذه النفوس، والحكمة، وفي تقديم العلم على الحكمة سموّ في الخطاب، لأنّ المعرفة تنتقل للإنسان عبر العلم، وبعد الإلمام بالعلم، تتكوّن الحكمة التي لا تكون إلا ثمرات عقل الإنسان وخلاصة تجاربه.

---

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ١٩ -٢٠

[2] . المرجع السابق. ص ٢١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

إنّ في استعمال الكلمتين " ألقوه و يلتقطه" في قوله تعالى:﴿ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ (الآية ١٠) أدب خطاب عظيم، ففي اللفظة الأولى امتصاص لغضب الإخوة الحانقين على أخيهم ومجاراة لهم في تنفيس أحقادهم، فهو يعمل لصالحهم، في حين أنه يأتي بلفظة تتضمّن الرحمة والرأفة بيوسف. إنّ هذا الموقف المتوسط المعتدل يبيّن اتزان هذا الأخ وحكمته في اتخاذ القرار عند الغضب. ودقته في اختيار الألفاظ التي تناسب جميع الأطراف، يعد من أروع مواطن أدب الخطاب بأن استطاع احتواء الموقف وتخفيف الجرم بحقّ أخيه يوسف.

ويشير استخدام هاتين اللفظتين إلى الصلاح والتقوى عند هذا الأخ أكثر من غيره من الإخوة، والحكمة في تقدير عواقب الأمور، وبنظرته المستقبلية الثاقبة. فهاتان الكلمتان باختلافهما من حيث المعنى أشارتا إلى مقاصد عظمى حققت هدف المرسل الذي أراد أن يوصله إلى المتلقي إليه.

ويظهر في قوله تعالى:﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾(الآية٢٤) أنّ " السوء هُو ما كان همَّ به من أذاها، وهو غير الفحشاء"[1]. فالسوء والفحشاء هما من الباطل والمكروه، ودلالة الاثنتين مختلفة فقد جاء بالسوء أولاً، لأنّ ذلك كان على وشك الحدوث من يوسف عليه السلام والاستجابة للإغراء وخيانة من ائتمنه، إلا إنها ارتدعت من نفسها.

فعلى الرغم من أنّ السوء والفحشاء كلاهما من الباطل والمكروه إلا أن الفحشاء لم تكن صادرة عن نبي الله يوسف عليه السلام، فقد همّ هو بالسوء، ليدفع عن نفسه ما أرادته

[1] . الطبري. جامع البيان في تأويل القرآن. ج١٦، ص ٣٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من فحشاء. فالسوء هنا هو العمل غير المستحب إلا إذا كان هناك خيار حسن للتفاهم، بديلاً عنه، فأدب الخطاب نجده في قول ربّ العزّة عندما قدّم ذكر السوء على الفحشاء، لأن السوء دلالته مذكرة وهو الاستجابة النفسية للإغراء والوقوع في المنكر، في حين أن الفحشاء ذات الدلالة المؤنّثة هي الفعل الذي ينتهي إليه الإغراء والذي يدلّ على عظمة الباطل الذي أرادته وعدم القدرة على احتماله.

ويظهر التقارب في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾ (الآية ٤٣-٤٤). فلقد جاء التضام في كلمتي "للرؤيا والأحلام" ففي هاتين الكلمتين تماثلاً وتشابهاً، فالرؤيا هي واحدة في حين أن الأحلام عدة رؤى[1]. وقد جاء التضام ليبيّن أهميّة الرؤيا فقد جاء ذكرها مفردة وهذا لبيان أهميّتها، والذي دلل على ذلك اهتمام الملك بتعبيرها، في حين جاءت الأحلام مجموعة للدلالة على عدم تميّزها عند من يراها، وتكون الأحلام متعددة الرؤى متشابكة، في حين أن الرؤيا تكون واضحة، فما يراه النائم بوضوح يتفكّر به في حال اليقظة، بينما الأحلام المتشابكة لا يستطيع النائم عندما يستيقظ أن يتذكّرها بكلّ تفاصيلها فيصعب عليه تفسيرها، فالقصد من استخدام هذا الزوج من الكلمات ذات العلاقة المتماثلة للدلالة على أهميّة المرئي فوصفها بالرؤيا هذا من لطف الخطاب، لأنها ذات دلالة محققة في أي زمن.

---

[1] . ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢، ص ٧٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

إن التـــضام فـــي قولـــه تعـــالى:﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾

(الآية٥٧) قد وقع في " آمنوا، يتقون" حيث إن التقابل والتكامل بين هذا الزوج من الكلمات قد أظهر براعة الخطاب، ومدى الاتساق في قصد المرسل، فالتقى لا يتحقـق إلا بوجـود الإيمان، والتقى أعلى مراتبه.

ويعدّ التقابل في قوله تعالى:﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ ﴾(الآية ٧٧).أحد أدوات استراتيجيّة التضام التي تكشف عن روعة الخطاب فالإسرار وعدم الإبداء يكشف عن أدب النبوّة الراسخ لدى سيدنا يوسف عليه السلام. حيث يأتي المقابل لم يبـــدها مؤكّداً لحسن تصرّف يوسف وكظمه للغيظ، فالصمت حكمة وغاية أدب الخطاب.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخاتمة والنتائج

سعت هذه الدراسة إلى دراسة أدب الخطاب في سورة يوسف، ووضع مفهوم لـــه، ثم ربط هذا المفهوم بلسانيات النص، وبيان أثر المظاهر اللسانية والاستراتيجيات اللغويـــة في تحديد مواضع أدب الخطاب، وقد جرى تتبع مواطن أدب الخطاب في سورة يوســف، وإظهارها بالاعتماد على المستويات اللغوية المختلفة، وإظهار البعد التـــداولي فـــي كـــلّ موضع من مواضع أدب الخطاب في السورة الكريمة، وقد وقفت هذه الدراسة على الأفكار الآتية.

- تباينت الدراسات في تعريف مفهوم الخطاب في الأطر الثانوية، واشـــتراكها فـــي أن الخطاب عملية عقلية، واختارت الباحثة الفكرة القائلة إنّ الخطاب هو كل ما يـــصدر عن العقل من كلام سواء أكان منطوقاً، أم مكتوباً، أو كان إشارة، أو إبداعاً فنيّاً، حيث يعدّ خطاباً أو مؤسساً له.
- إنّ الخطاب نشاط عقلي ذهنيّ مركّب وأنساق لغوية، ولذلك فإنّ أدب الخطاب نـــشاط عقلي ذهني مركّب وأنساق لغوية خاصة، وأنه الصورة المثلى للنشاط العقلي. حيـــث يمثل التفكير الأعلى في السلوك الفكري فهو والخطاب نموذجان ذهنيان. وكلّ منهمـــا يمثل شخصيّة صاحبه وطريقته في التفكير.
- إنّ دائرة الخطاب أعمّ وأشمل من دائرة أدب الخطاب. فالعلاقة بينهما علاقة احتـــواء وتضمّن إلا أن أدب الخطاب انتقائيّ بألفاظه وتراكيبه وأنساقه، لأنـــه تكـــوّن بفعـــل العمليات العقلية العليا، ولا يصدر إلا عن مرسلٍ مميّز، حيث يحتفظ بلغـــة متجانـــسة ذات نموذج لغويّ راق.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

- إنّ لقصد المرسل والسياق الذي جاء به الخطاب الأثر الأكبر في إظهار أدب الخطاب في خطاب ما، ولتأويل هذا الخطاب والكشف عن الأدب فيه لابدّ من الاستناد على المعرف اللسانية وغير اللسانية.
- تناولت الدراسات العربية الحديثة مفهوم الخطاب، وعناصره ومكوناته، وتحليله وفق لسانيات النص. إلا أنها لم تضع مفهوماً خاصاً بأدب الخطاب. لذا عملت هذه الدراسة على وضع مفهوم لأدب الخطاب من وجهة نظرٍ عقلية ومن وجهة نظر لسانيّة، ثم الوظائف الاجتماعية لأدب الخطاب، حيث طبّق ذلك على لآيات السورة الكريمة.
- إنّ الدوافع النفسية هي المحرّك الأساسي للسلوك الإنساني سواء أكانت دوافعَ مباشرة أم غير مباشرة، حيث كشفت عن مواضع أدب الخطاب في السورة الكريمة مبيّنة نمط أدب الخطاب في كلّ موضع فيها.
- تظهر صلة الخطاب بأدب الخطاب من وجهة نظر اجتماعية، أن كليهما ذو وظائف اجتماعيّة. فالبعد الاجتماعي للّغة يتجسّد في الخطاب، من حيث إنّ له قطبين اجتماعيين: المرسل والمستقبل، ومن حيث إنّ وظيفة الخطاب في الأصل وظيفة اجتماعيّة، تهدف إلى التواصل
- يعدّ أدب الخطاب جزءاً من اللسانيات التواصلية التي هي أحدث صورة للسانيات الاجتماعية. وأنّ أدب الخطاب له دور كبير في توطيد العلاقات الاجتماعية بين الأفراد ويسهم في بناء مجتمع متآلف خالٍ من الأحقاد والضغائن. فقد كان للدوافع الاجتماعية دور رئيس في إظهار أبعاد أدب الخطاب وغاياته وأهدافه.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- إنّ للدوافع النفسية والاجتماعية علاقة كبيرة في إنتاج أدب الخطاب وأنواع أخرى من الخطابات، فالعوامل النفسية تؤثر في الملفوظ عند المرسل، كما أنّ للعلاقات الاجتماعية دوراً في تحديد نمط الخطاب.
- تسهم المظاهر اللسانية في تأويل المقاصد من القصص القرآني والكشف عن أدب الخطاب في السورة الكريمة، مما يؤدي إلى فهم النص القرآني وتبيّن مواضع الإعجاز اللغوي فيه.
- توصّلت الاستراتيجيات اللغوية وغير اللغوية إلى أدب الخطاب في السورة ، وكان لاستراتيجيّة الإقناع الدور الأكبر في تحديد الأنساق اللغوية الراقية في السورة، حيث إنّ استراتيجيّة الإقناع استراتيجيّة تداولية تكتسب اسمها من هدف الخطاب، وتعتمد على معيار شكل الخطاب اللغوي للدلالة على قصد المرسل. وقد اعتمدت هذه الاستراتيجيّة على المدخل النفسي والاجتماعي لتحليل الظاهرة اللغوية "أدب الخطاب"؛ ولأنّ تأثيرها التداولي في المرسل إليه أقوى، ونتائجها أثبت حيث تدفع المرسل إليه إلى الاقتناع الذاتي لذا كانت من أكثر الاستراتيجيات استخداماً في السورة حسب رأي الباحثة.
- إنّ استراتيجيّة التلميح من أكثر الاستراتيجيات المستعملة تداولياً حيث يستطيع متلقي النّص تأويله وتفسيره وفقها حسب الموقف والقصد منه، حيث تمّ بيان مواضع التلميح في السورة وفائدتها في إنشاء أنساق لغوية خاصة بأدب الخطاب.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أمّا النتائج التي توصّلت إليها الدراسة فهذه أظهرها:

- استُخرجت الدراسة مواطن كثيرة من أدب الخطاب من سورة يوسف.
- أدب الخطاب أسرع في الوصول إلى الغايات والمقاصد التي يريد المرسل إيصالها بدقة إلى المتلقي، إذ ظهر ذلك جليّاً في السورة الكريمة.
- كان للدوافع النفسية والاجتماعية دور كبير في الكشف عن مواطن أدب الخطاب في السورة الكريمة.
- إن للمظاهر اللسانية اللغوية مجتمعة الدور الأكبر في إظهار قيمة الخطاب، وجمال أدب الخطاب في السورة الكريمة والغاية منه، حيث كشفت هذه المظاهر عن الإعجاز العظيم في كتاب الله تعالى.
- أسهمت استراتيجيّة الإقناع إسهاماً متميّزاً في تحديد مواضع أدب الخطاب في سورة يوسف.
- توصّلت الدراسة إلى أن استراتيجيّة التأدب الإيجابي كان الأكثر استخداماً في المواقف المعبرة عن الصلات الاجتماعية ذات العلاقة الحميمية.
- شكّل المستوى المعجمي من خلال استراتيجيّة التضام حضوراً واضحاً وإسهاماً متميّزاً في بيان عدد من مواضع أدب الخطاب في السورة الكريمة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قائمة المصادر والمراجع

١. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. ***تهذيب اللغة***. تح: عبد السلام هارون، ج٧، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٤.

٢. استيتيّة، سمير. ***اللسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج***. عالم الكتب الحديث، إربد، ط١، ٢٠٠٥.

٣. استيتيّة، سمير. ***اللغة وسيكولوجيّة الخطاب بين البلاغة والرسم الساخر***. إصدار اللجنة الوطنية العليا، عمّان، ط١، ٢٠٠٢.

٤. استيتيّة، سمير. ***منازل الرؤية منهج تكاملي في قراءة النص***. دار وائل للنشر، عمان، ط١، ٢٠٠٣.

٥. باجودة، حسن محمد. ***الوحدة الموضوعيّة في سورة يوسف عليه السلام***. دار الكتب الحديثة، مكة المكرمة، ١٩٨٣.

٦. باطاهر، بن عيسى. ***أساليب الإقناع في القرآن الكريم***. دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٦.

٧. براون، ويول. ***تحليل الخطاب***. ترجمة منير التريكي ومحمد لطفي الزليطي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٨. البطاشي، خليل بن ياسر. ***الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب***. دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٩.

٩. البغدادي، علاء الدين بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن. ***تفسير الخازن المسمّى لباب التأويل في معاني التنزيل***. ج٣، دار الفكر، ١٩٨٥.

١٠. البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر. ***نظم الدرر في تناسب الآيات والسور***.ج١٠، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢.

١١. بوعزيزي، محسن. ***السيميولوجيا الاجتماعية***. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠١٠.

١٢. بوقرة، نعمان. ***المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية***. جدارا للكتاب العالمي، عمان، ط١، ٢٠٠٩.

١٣. بومزبر، الطاهر بن حسين. ***التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان ياكوبسون***. الدار العربية للعلوم _ ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.

١٤. التهانوي، محمد علي. ***موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم***. تح: علي دحروج.ج١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت،ط١، ١٩٩٦.

١٥. جامعة فيلادلفيا. ***تحليل الخطاب العربي (بحوث مختارة)***. منشورات جامعة فيلادلفيا، المؤتمر العلمي الثالث، ١٩٩٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٦. جرار، مأمون فريز. *لمسات قدريّة في سورة يوسف*. دار المأمون للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ٢٠٠٩.

١٧. الجوهري، إسماعيل بن حماد. *معجم الصحاح تاج العربية وصحاح العربية*. تح: أحمد عبد الغفور عطار. ج١، دار العلم للملايين، بيروت،ط١، ١٩٥٦.

١٨. حسان، تمام. *البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني*. عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٣.

١٩. حسان، تمام. *اللغة العربية معناها ومبناها*. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٧٩.

٢٠. الحلو، عبده. *معجم المصطلحات الفلسفية*. مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٤.

٢١. خطابي، محمد. *لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب*. المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١.

٢٢. رضا، محمد رشيد. *تفسير سورة يوسف عليه السلام*. دار النشر للجامعات. القاهرة، ط١، ٢٠٠٧.

٢٣. الزبيدي، محمد مرتضى بن محمد بن الحسيني. *تاج العروس من جواهر القاموس*. ج٢.دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٢٤. الزحيلي، وهبه. ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***. ج١٢-١٣، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩١.

٢٥. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. ***أساس البلاغة***. ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٨٥.

٢٦. الزمخشري الخوارزمي، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. شرح يوسف الحمادي. ***الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل***.ج٢، مكتبة مصر، القاهرة، ط١، ٢٠١٠.

٢٧. الزناد، الأزهر. ***نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصّاً)***. المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣.

٢٨. أبو زنيد، عثمان. ***نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية***. عالم الكتب الحديث، إربد، ط١، ٢٠٠٩.

٢٩. الشعراوي، محمد متولي. ***تفسير الشعراوي***. مج١١،مج١٢، دار أخبار اليوم قطاع الثقافة والكتب والمكتبات، القاهرة، ١٩٩١.

٣٠. الشهري، عبد الهادي بن ظافر. ***استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية***. دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.

٣١. الصابوني، محمد علي. ***صفوة التفاسير***. مج٢، دار الصابوني، القاهرة، ط٩، ١٩٧٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣٢. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب. ***التفسير الكبير تفسير القرآن العظيم***. مج٣، دار الكتاب الثقافي، إربد، ط١، ٢٠٠٨.

٣٣. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. ***جامع البيان عن تأويل آي القرآن***. ج١٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.

٣٤. طهماز، عبد الحميد محمود. ***الوحي والنبوّة والعلم في سورة يوسف***. دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٠.

٣٥. ابن عاشور، محمد الطاهر. ***تفسير التحرير والتنوير***. ج١٢، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.

٣٦. عباس، فضل حسن. ***إعجاز القرآن الكريم***. دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ط٤، ٢٠٠١.

٣٧. عبد الرحمن، طه. ***في أصول الحوار وتجديد علم الكلام***. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٠.

٣٨. عبدالمطلب، محمد. ***البلاغة والأسلوبية***. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.

٣٩. عشير، عبد السلام. ***عندما نتواصل نغيّر مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل و الحجاج***. أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٤٠. ابن عطية الأندلسيّ، أبو محمد عبد الحق بن غالب. ***المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز***. تح: عبد السلام عبد الشافي محمد. ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١.

٤١. العلمي، عبدالله. ***مؤتمر تفسير سورة يوسف عليه السلام***.ج١،وج٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٩.

٤٢. علوي، حافظ إسماعيلي. ***الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة***. ج١، الحجاج: حدود وتعريفات، عالم الكتب الحديث، إربد، ط١، ٢٠١٠.

٤٣. القرطاجنّي، حازم. ***منهج البلغاء وسراج الأدباء***. تح: محمد بن الخوجة. دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦.

٤٤. القطان، إبراهيم. ***تيسير التفسير***. مج٢، عمّان، ط١، ١٩٨٢.

٤٥. قطب، سيد. ***في ظلال القرآن***. المجلد الرابع، دار الشروق، ط١٧، ١٩٩٢.

٤٦. الكبيسي، عبد الواحد حميد. ***الدروس التربوية والعلميّة المستنبطة من القرآن الكريم (سورة الكهف وسورة يوسف)***. مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ٢٠٠٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

٤٧. الكعبي، ضياء. ***السرد العربي القديم الأنساق الثقافية إشكاليات التأويل***.المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

٤٨. لالاند، أندريه. ***موسوعة لالاند الفلسفية***. تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت باريس، ط٢، ٢٠٠١.

٤٩. مداس، أحمد. ***لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري***. عالم الكتب الحديث، إربد، ط١، ٢٠٠٧.

٥٠. مصطفى، معتصم بابكر. ***أساليب الإقناع في القرآن الكريم***، دار الكتب القطرية، الدوحة، ط١، ٢٠٠٣.

٥١. المعلّمي، عبد الرحمن عبد القادر. ***دروس وعظات وعبر في سورة يوسف عليه السلام***. دار الإيمان، الإسكندريّة، ٢٠٠٣.

٥٢. مفتاح، محمد. ***تحليل الخطاب الشعري (استراتيجيّة التناص)***. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٨٥.

٥٣. مفتاح، محمد. ***دينامية النص (تنظير وإنجاز)***. المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،ط٣، ١٩٨٧.

٥٤. مكرم، عبد العال سالم. ***الترادف في الحقل القرآني***. علم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٥٥. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري. ***لسان العرب***. مج١، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٠.

٥٦. ميشال، فوكو. ***حفريات المعرفة***. ترجمة سالم يفوت. المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٧.

٥٧. ميشيل، فوكو. ***نظام الخطاب***. ترجمة محمد سبيلا. دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٤.

٥٨. النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل. ***إعراب القرآن***. ج٢، تح، زهير غازي زاهد. مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٧.

٥٩. نكري، عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد. ***جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، دستور العلماء***. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٩٧٥.

٦٠. نوفل، أحمد. ***سورة يوسف دراسة تحليلية***. دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ١٩٨٩.

٦١. الهواوشة، محمود سليمان حسين. ***أثر عناصر الاتساق في تماسك النص سورة يوسف مثالاً***. دار عماد الدين للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٩.

٦٢. يقطين، سعيد. ***تحليل الخطاب الروائي***. المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٩٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٦٣. يوسف، أحمد. *القراءة النسقية، سلطة البنية ووهم المحايثة*. الدار العربية للعلوم- ناشرون، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧.

الرسائل الجامعيّة والبحوث

١. الأبالق، أحمد محمد. *أسرار علم المعاني في سورة يوسف عليه السلام*. رسالة دكتوراة، إشراف أ.د فضل حسن عبّاس، جامعة اليرموك، ٢٠٠٥.

٢. الجراح، عبد المهدي هاشم. *الخطاب وأثره في بناء نحو النّصّ تطبيق على المعلّقات السبع*. رسالة دكتوراة، إشراف أ.د سمير استيتيّة، جامعة اليرموك، ٢٠٠٢.

٣. الزبيدي، نضال حمد. *سورة الكهف دراسة تحليلية*. رسالة دكتوراة، إشراف أ.د فايز القرعان، جامعة اليرموك، ٢٠١٠.

٤. العموش، أحمد محمد فليّح. *التلطّف في القرآن الكريم*. رسالة ماجستير، إشراف الدكتور سعيد جبر أبو خضر، جامعة آل البيت، ٢٠١١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ABSTRACT

Moral Discourse in Surat Yousuf
In Light of Discourse Analysis

By
Hajar Ahmad Rasheed Al-momani

Supervisor
Professor Dr. Samir steitiya

This study aims at classifying and analyzing the linguistic style of politeness in surat Yousuf in light of the linguistic، pragmatic، and discourse concepts. The study consists of an introduction and three chapters.

The first chapter of this study deals with the concepts of discourse، politeness، cohesion، connection، and pragmatics as they have been studied in analyzing texts. The chapter explores the mental، social، and psychological components of politeness. All of these components were studied theoretically and practically throughout this surat. The chapter also deals with the relationship between the linguistic components of context and its practical models.

The second chapter deals with the linguistic motives of the text and its manifestations in this surat. The psychological and social motives seem to be essential in creating the language of politeness in dealing with the other despite the fact that behavior of the other does not deal with the same moral criterion of behavior. The prophet Jacob and his son Yousuf seem to be on the very highest degree in politeness and creating the suitable language for this purpose.

The third chapter deals with discourse strategies. These strategies seem to be very clear in this surat. The strategy of logical persuasion seems in all narrated situations. The strategy of politeness which is the main purpose of this study shows that dealing with others should be built on this concept. The third is the convergence strategy which is very important to deal with people.

This study is built on the analytical descriptive methodology due to the fact that analyzing language of politeness should be built on this methodology.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University